نظرات في معجم البلدان

تصحيح مواضع هامة في نجد

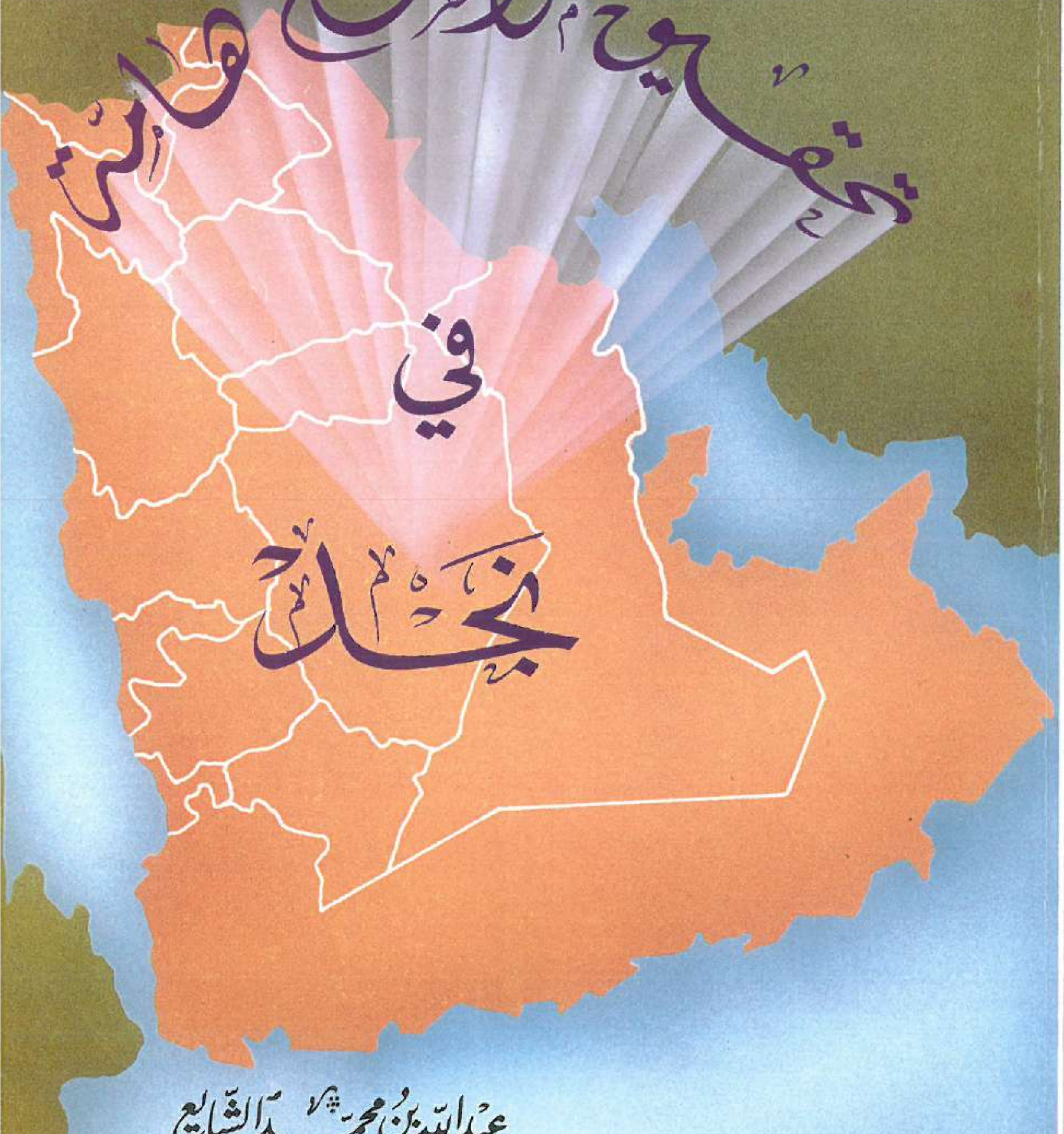

عبدالله بن محمد الشايع

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في معاجم البلدان،

تحقيق مواضع هامة في نجد

عبد الله بن محمد الشايع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
إذن وزارة الإعلام
رقم ٨٩٧٦/م وتاريخ ١٤١٢/١٢/٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

« تمهيد »

الحمد لله القائل : وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾[١]

والقائل : وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾[٢]

وأصلي وأسلم على النبي الهادي محمد بن عبّد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وبعد :

عندما خلق الله الأرض التي نعيش عليها ذللها بالجبال الرواسي ، وأوجد فيها من كل شيء بمقدار وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ [٣]

وقد أدرك العرب منذ القدم بعض فوائد الجبال فاتخذوها علامات يستدلون بها في أسفارهم، كما اتخذوا من كهوفها أكناناً وملاذاً عند اشتداد الحر أو القر ، وفيها مخازن مياهم من قلات، وثماد ، وأوشال .

واعتبروا بعض تلك الجبال بمثابة المعاقل والحصون عند الخوف من الأعداء كما قال زهير بن أبي سلمى :

بأوديـــــة أسافلـــهن روض وأعلاهـــا اذا خفـنا حصـــون

وكما قال الآخر :

لقد كان بالضمـرين والنير معقل وفـــي نَمَلَى والأخرجـين منيـــعُ

ولذا أكثر شعراء العرب من ذكرها والحنين إليها في أشـعارهم الأمـــر

---

(١) سورة الأنبياء .
(٢) سورة ق .
(٣) سورة الحجر .

الذي حفظ لنا الكثير من أسماء الجبال حتى وقتنا الحاضر ؛ تلك الأشعارالتي جادت بها قرائح فتقتهاالصحراء الجميلة فصارت قصائدهم درراً وقلائد تعلق على أعناق الإبل والجياد فينشدها السارح ويشدو بها الساري فتناقلتها الأجيال شغفاً بسبكها ولغتها البليغة التي صيغت بها .

وكان لجبال نجد ، ومرابعه النصيب الأكثر من تلك الأشعار فكم تغنى الشعراء بنجد وجباله وأوديته ، ورمثه وعراره . فاسمع هذاالأعرابي يقول :

لم يبق من نجد هوىً غير أنني تذكرني ريح الجنوب ذرى الهضب
وإنـي أحب الرمث من بطن عاقل وصوت القَطَا في الطَّلّ والمطر الضَّربِ

وقال آخر :

أكرر طرفي نحو نجد وإنني إليه وإن لم يدرك الطرف أنظرُ
حنيناً إلى أرض كأن ترابها إذا مطرت عود ومسك وعنبرُ

وقول الصمة بن عبد الله القشيري لصاحبه وقد أوشكا على فراق نجد :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عَرَارِ
الا ياحبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطارِ

وقول صدقة بن نافع وقد نأى عن مرابع صباه :

وهل ترجعن أيامنا بمتالع وشرب بأوشال لهن ظلال

وأمثال هذه الأبيات من الشعر خطرت ببال فضيلة الشيخ علي الطنطاوي وهو يقطع الدهناء والصمان في طريقه من الرياض إلى الظهران. إنه لم يقطع تلك الرمال والفيافي على صهوة جواد أو ظهر بعير كما فعل الأسلاف ، ولكنه قطعها على متن قطار في وقت الظهيرة عندما انتعل كل شيء ظلَّه.

إستعاد الشيخ وهو على مقعده الوثير داخل القطار ما سبق أن حفظه من أبيات الشعر التي تغنى قائلوها[1] بنجد ونسيمه العليل المشبع برائحة العرار والشيح .

وبعد ترنمه ببعض الأبيات أطلق نظرة من وراء بلّور النافذة عله يرى شيئاً مما وصفه الشعراء ، ولكن وهج الشمس الساطع على الرمال الملتهبة أعشى بصر الشيخ مما جعله يتساءل مع نفسه تلك التساؤلات :

(أين الصبا الذي كان يهب على قلوب الشعراء ، فيذيبها من الحنين شعراً يترع البيد والحضر ؟

أين الصبايا اللواتي خلدن في الأدب قصائد لا تفنى وإن فني العمر ؟

كيف أوحت هذه التلال المقفرة ، وهذه الرمال المستعرة بما لم توح بمثله جنات الشام ، وأودية لبنان حيث الظل والماء ، والأيكة الغناء ... ؟

كيف كسوا تلك الصحاري من أدبهم ثوب الخلود ، وقالوا فيها مالم نقل مثله وعندنا هذه الجنات؟ .

ألأنَّ القوم كانوا أمة البيان ، كانت لهم عيون تتبع الحسن ، وقلوب تهيم بالجمال ، وألسنة تصف ما ترى العيون وتحس القلوب ، فما لشعرائنا في هذا الزمان ؟!)

وردت تلك التساؤلات في مقالة كتبها الشيخ الطنطاوي عن رحلته تلك .

وقد ضمن تلك المقالة مشاعره التي هاجت وهو يعبر صحراء نجد وجمع لنا في إضمامــة لا تزيد صفحاتها عن أربعين صفحة أبياتاً من أجود ما قاله الشعراء في ذكر نجد والحنين إليه .

قرأت في هذا الكتيب ما كتبه هذا العالم الأديب عن نجد ومرابعه بأسلوب رصين قوي ممتع واسم هذا الكتيب « حلم في نجد » .

ولعلي أجد عذراً للشيخ عندما رسم علامات الاستفهام الكثيرة واستغرابه من أن تجود قرائح الشعراء بالتغني في مثل تلك الصحراء القاحلة فقد يكون فيما قاله بلاغة في الأسلوب لم يصل إليها فهمي القاصر، ولكني أطمئن الشيخ أن ما قاله شعراؤنا في وصف نجد حقيقة لا حلم منام أو خيال شاعر . ولكن من يركب القطار في فصل الصيف ويعبر الدهناء والصمان فلن يشاهد إلا التلال المقفرة والرمال المستعرة .

وهذه طبيعة تلك المناطق فعرب الجزيرة منذ القدم يرتبعون تلك التلال والرمال في فصلي الشتاء والربيع وذلك عندما تلبس الأرض حلتها ، وعندما يحل الصيف وتجف الغدران ويتصوح النبات يعودون إلى منازلهم قرب موارد المياه ليصطافوا هناك ، وهذا ما جعل الشيخ عندما مر بتلك المرابع في هذه الفترة من السنة لا يرى وجوداً لصباياها ولم يحس بريح صباها وليت وهل ينفع شيئاً ليت ؟

ليتني أصحب الشيخ في فصل الربيع عندما تأخذ الأرض زينتها فتتفتح عيناه مع إطلالة الصباح الباكر بعد نوم عميق في « سقط اللوى بين الدخول فحومل » لأسمع ما سيقوله الشيخ من شكر للخالق المبدع على ما أودع في تلك الناحية من أسرار الجمال .

أو أقضي معه وقتاً ممتعاً في واد من أودية « شعب الشموسين » الواقع على ضفاف وادي «الجريب » لأرى تعابير الدهشة مرتسمة على محياه عندما يرى جمال المنطقة هناك بهضابها ذات المناظر الخلابة .

أو أتجول معه بين هضاب « قُطَيَّاتٍ » الواقعة في وضح الحمى « حمى ضرية » تلك الهضاب الحمراء الملساء التي يخيل للناظر إليها عندما يداعب النسيم نبات « النَّصِيِ » فتبدو وكأنها أواني ذهبية كفئت على بساط مزركش .

أو نتجول سوياً في هضاب المخامر « هضب الأشيق » قديماً هذا الهضب الذي وصف الهجري رحمه الله تربته بالكافور .

أو نقوم برحلة إلى وادي « الشَّوْكي » الواقع شمال شرق « الرياض » عندما يكتسي بأنوا ع النباتات وتتفتح أزهارها فكأني بالشيخ وقد وقف مبهوراً لترتسم في ذهنه صورة لن ينساها وقد تنسيه ما شاهده من جنان الشام ، وأودية لبنان .

وحينئذ يتأكد له أن القوم لم يكن تغنيهم بنجد ضرباً من الخيال . ولكن لو أن الشيخ شاهد تلك المرابع لأشغلته الحقيقة عن الخيال فلم يحصل هذا الحلم الجميل الذي رآه وهو جالس في مقعد القطار، وكم من حلم أمتع من حقيقة .

وكأني بالشيخ وقد شدني بحلمه هذا أشغلني عما سأقول فلنتركه عسى أن يحلم حلماً آخر عن نجد ومرابعه .

كان اهتمامي بجبال نجد ومواضعه يرجع إلي أيام الدراسة حيث كان مقرر علينا في مادة « الأدب العربي » حفظ بعض القطع النثرية من أقوال العرب ، وبعض النصوص الشعرية ، وكان مدرس المادة أستاذاً فاضلاً ممن ولد ونشأ خارج الجزيرة العربية ، وذات يوم كان يشرح لنا أبياتاً من قصيدة « أبي البقاء الرندي » في رثاء الاندلس التي من ضمنها هذا البيت:

دهى الجزيرة أمرٌ لاعزاءَ له　　　هوى له أُحُدٌ وانهدَّ ثَهْلاَنُ

وعند شرحه للمواضع الواردة في القصيدة قال : أُحُدٌ ، وثَهْلاَنُ : جبلان حول المدينة المنورة فقلت له هامساً : ياأستاذي أوافقك على أن « أحداً » جبل من جبال المدينة أما « ثهلانُ » فإنه يبعد عنها كثيراً حيث يقع في وسط عالية نجد . فلم يلتفت إلى ماقلته واستمر في شرحه وبعد نهاية الدرس قلت له على انفراد : إني متأكد مما قلته بالنسبة لموقع جبل «ثهلان» وأنه ليس من جبال المدينة ، فأصر على قوله الأول . فقلت له :

وإذا قلت لك إن جبل ثهلان الذي تتكلم عنه يعتبر من الأعلام الشهيرة

في نجد وقد أكثر الشعراء من ذكره ، وأنا ولدت في قرية في سفح هذا الجبل يظللها ظله بعد العصر لقربها منه .

عند ذلك أخذته الدهشه فابتسم وقال : إذاً أنت أدرى .

بعد تلك المناقشة صار لدي بعض الاهتمام بمعرفة ما يرد في أبيات الشعر العربي من المواضع . ولست هنا أتكلم بصفتي رائداً من رواد هذا العلم ، ولكني أتكلم كتلميذ في تلك المدرسة وقد يكون من المسموح به أن يناقش التلميذ أستاذه عسى أن يظفر منه بحصيلة أكبر من المعرفة .

وفي وقتنا الحاضر يعيش بيننا نخبة ممتازة من العلماء في هذا المجال ممن أثروا المكتبات بمؤلفاتهم سواء في مجال جغرافية وتاريخ الجزيرة العربية أو غيرها من العلوم فأجادوا وأفادوا وهم أشهر من أن يعرَّف بهم .

وإلى جانب ما ألفوه في هذا المجال لم يفت على بعضهم العمل على إحياء ما اندثر من مؤلفات الأقدمين الخاصة بجغرافية الجزيرة وتاريخها فعملوا على إخراج وتحقيق العديد من المؤلفات القديمة بثوب قشيب يرغب في قراءتها . واضنوا أنفسهم في التنقل والترحال بين بلدان الشرق والغرب لينفضوا الغبار عن المخطوطات القديمة المكدسة هنا وهناك على أرفف المكتبات ، فحققوا لنا الكثير منها ، وبفعلهم هذا سهل على طالب المعرفة مبتغاه .

وإني أرجع الفضل فيما توصلت إليه إلى تلك النخبة الطيبة حيث أناروا الطريق أمام من ينشد الحقيقة على أنه يمكنني القول بأن بعض المواضع التاريخية في عالية نجد ولا سيما تلك المواضع التي حدثت فيها كبريات أيام العرب ، أو ذكرها الشعراء في قصائدهم لم تحدد أماكنها بدقة ، وعندما تكلم عنها علماء البلدان في وقتنا الحاضر حصل بينهم خلاف في تحديدها ، ويبدو لي أنه رغم هذا الاختلاف فإن الكثير من تلك المواضع لم يحدد مكانها الصحيح .

وهذا ما حملني على تحمل عبء البحث والتحري عن تلك المواضع وقد حرصت كل الحرص على إلقاء نظرات فاحصة ودقيقة على ما كتبه مؤلفو عصرنا عن تلك المواضع ، ووجهة الخلاف بينهم حولها.

فتبين لي أن كثيراً من المواضع المختلف بشأنها لم تحدد أماكنها بدقة سواء من قبل من قام بتحديدها أصلاً أو من خالفه الرأي وجاء بتحديد يناقضه .

ولما كانت مهمة القيام بتحديد الأماكن الصحيحة لتلك المواضع يعتورها بعض المصاعب خاصة وأن من قام بتحقيقها لهم با ع طويل في هذا المجال فقد تطلب الأمر مني إلقاء نظرات متأنية في معاجم البلدان القديمة ، وكذا المراجع التاريخية ، ومعاجم اللغة العربية ، ودواوين الشعراء المعروف عنهم كثرة ذكر الديار والمواضع .

وعلى ضوء تلك النظرات مجتمعة خرجت بنتائج واضحة لا غموض فيها مما شجعني على القيام برحلات ميدانية إلى مظان تلك المواضع للبحث عنها وتطبيق ما تجمع لدي من نصوص بشأنها ، وقد اهتديت بحمد الله إلى تحديد أماكنها بدقة ودعمت ما توصلت إليه بالصور الفوتوغرافية لكل موضع وما يتعلق به ، وأوضحت الطريق إليها بحيث يسهل على ذوي الاختصاص التحقق مما توصلت إليه من نتائج .

وقد أسميت كتابي هذا (نظرات في معاجم البلدان - تحقيق مواضع هامة في نجد-) ولي رجاء بأن تحظى هذه التحقيقات بنظرة فاحصة من قبل المتخصصين في هذا المجال فإن كنت أصبت الحقيقة فهذا توفيق من الله سبحانه وتعالى ، وإن لم يكن الأمر كذلك أن يعمل على إعادة أي موضع إلى مكانه الصحيح حيث أنني بما توصلت إليه .

شَرَّقْتُ بـ « ثهمد » ، وَغَرَّبْتُ بـ « هضب القليب » وأشملت بـ « هضب متالع » ، وأجنبت بـ «إمَّرَةَ».

كما أرجعت « قُطَيَّات » إلى أفحوصاتها في وضح الحمى « حمى ضرية» ، وذلك بعد إجلاء « الخنافس » إلى مكانها في شمال الجزيرة العربية .

أرجو أن أكون وفقت إلى الصواب فيما حققته من تلك المواضع ، وما توفيقي إلا بالله هو حسبي ونعم المستعان .

عبد الله بن محمد الشايع

شهر ذي الحجة عام ١٤١٢ هـ

الدوادمي / عالية نجد

الموضع : (الأول)

« هضب القليب »

تحقيق :

١ – هضب القليب

٢ – ذات الاصاد (القليب)

٣ – النقيرة (الردهة)

٤ – شعب الحيس

٥ – جفر الهباءة

ومواضع أخرى

هضب القليب

إن معرفة مواضع الأحداث التاريخية وتصورها يزيد القارىء فهماً لما يقرأ بحيث ترتسم في ذهنه صورة المكان والأحداث الجارية فيه ، ولذلك اهتم المربون والمؤلفون مؤخراً برسم اللوحات والخرائط التوضيحية في المقررات المدرسية والكتب لتساعد الطالب والقاريء على تصور مجريات الأحداث التي يقرأ عنها ؛ وقد يختلف الناس في الاستيعاب عند القراءة فمنهم من لديه الاستعداد التام لحفظ ما يمر عليه بدون تلك الوسائل التوضيحية ، ومنهم من تكون تلك الوسائل ضرورية لترسيخ المادة لديه وتصور الأحداث الجارية على ضوئها . وأنا من هذا النوع الأخير .

فعندما نقرأ عن حدث من الأحداث أو معركة من المعارك التي خاضها الحق ضد الباطل في صدر الاسلام أو معركة من المعارك التي حدثت قبل الاسلام على صعيد تلك الأرض التي نعيش عليها ونسأل عن مكان هذا الحدث أو ذاك فقد لا نحصل على نتيجة واضحة تدلنا على هذا المكان . خاصة المواضع التي طرأ على أسمائها تغيير فأصبحت تسمى بغير أسمائها القديمة .

وقد يبدو على البعض الاستغراب عندما يقال له إن الموضع الذي جرت فيه معركة « حنين » هو ما يسمى حالياً « الشرائع » ، أو أن « بئر معونة » التي قتل فيها القراء - يرحمهم الله - واقعة في نجد . إذ أن البعض يتصور أن بئر معونة من الآبار الواقعة بأطراف المدينة وهكذا .

وموضوع بحثنا هذا حول « هضب القليب » الذي جرت فيه أحداث داحس والغبراء وعندما يثار سؤال : أين مكان هذا الموضع بالتحديد؟ فقد نجد صعوبة في الحصول على الإجابة الدقيقة لهذا السؤال في عصرنا هذا .

وعند ذكر « هضب القليب » يسرع الخيال في رسم صورة لهذا الهضب وما دار حوله من حروب طاحنة أوقد نارها رهان على فرسين هما «داحس والغبراء » تلك الحروب التي دارت رحاها فطحنت مع ثفالها الأبطال الذين أوقدوا نارها . ولم تتوقف تلك الحروب إلا بعد أن فُلَّت السيوف ، وكَلَّت السواعد ، وحار فيها اللبيب وأفنت أحد الممسكين بقطبها ، وفرار الثاني من الميدان بعد ما تقدمت به السن وأضناه خوض المعارك ومقارعة الأبطال في ساحات القتال ؛ أو الشفقة المتأخرة على بقية قومه من أن تعركهم تلك الرحا الدائرة في نهاية المطاف كما قال زهير بن أبي سلمى :

فتعرككم عرك الرحا بثفالها　　　وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم

إن حوادث داحس والغبراء لا تهمنا هنا بقدر ما يهمنا معرفة المكان الذي حصلت فيه بداية تلك الأحداث وهو « هضب القليب » فقصة تلك الحروب مبسوطة في أمهات كتب التاريخ فأين ياترى يقع هذا الهضب ؟!.

إن أصحاب معاجم البلدان القديمة وصفوا لنا هذا الهضب وصفاً دقيقاً ولكنهم لم يوضحوا مكانه بأكثر من أنه يقع في أرض « الشَّرَبَّةِ » من عالية نجد .

وهم ليسوا بحاجة إلى الإسهاب في تحديد موقعه بأكثر مما قالوه لأن الناس في عصرهم يعرفون هذا الهضب بعينه ومن لم يعرفه يصفه له من يعرفه لأن اسمه لم يطرأ عليه تغيير آنذاك .

أما في وقتنا الحاضر فإن كثيراً من المواضع سميت بغير أسمائها ومن ضمنها هضب القليب . ولهذا السبب اختلفت آراء علماء البلدان في عصرنا الحاضر حول بعض المواضع ومن بينها هضبنا هذا وكل منهم اجتهد حسبما توفر لديه من نصوص وما فهمه منها .

وممن اجتهد منهم في تحديد « هضب القليب » بصفة مباشرة وجادة اثنين ممن كتبوا عن جغرافية الجزيرة العربية وخاصة عالية نجد وهما :

الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد رحمه الله ، والاستاذ سعد بن عبدالله بن جنيدل أمد الله في عمره مع حسن العمل .

أما من عداهما من مؤلفي عصرنا فيظهر لي مما قرأته أن تحديدهم لهذا الهضب إما جاء عرضاً أو متأثراً بأحدهما .

وبعد اطلاعي على النصوص القديمة الواردة في معاجم البلدان ، والمراجع القديمة ، وفي الشعر العربي ومقارنة تلك النصوص بآراء من كتبوا في وقتنا الحاضر ظهر لي أننا لا زلنا بحاجة إلى بحث جاد ودقيق لتحديد مكان « هضب القليب » والكاتبان المشار إليهما بذلا جهداً مشكوراً ورغم ذلك يبدو لي أن الأول حدد الموضع ولكن بشكل غير دقيق بحيث يبقى السؤال قائماً أمام القارىء أو الباحث .

أما الثاني : فإنه بَعُدَ كثيراً عن تحديد المكان الصحيح لهضب القليب .

وكأني بالقارىء يقول : مادمت قلت هذا فما هى إجابتك على السؤال الذي قلت إنه لازال قائماً ؟ وأين إذاً يقع هضب القليب الذي حدثت فيه أيام « داحس والغبراء » ؟

فأقول : أرجو من الله العون في التوصل إلى إجابة صحيحة عن هذا التساؤل وأن أصل إلى نتيجة ترضي من يتطلع إلى معرفة المواضع التاريخية التي حصلت فيها أيام العرب سواء في الاسلام أو العصر الجاهلي .

وقبل أن استعرض أقوال وآراء من كتبوا عن « هضب القليب » من المؤلفين قديماً وحديثاً يحسن أن أورد بين يدي القارىء نبذة موجزة عن هذا الهضب كمدخل للموضوع .

يقول ياقوت الحموي في معجمه : (هضب القليب علم فيه شعاب كثيرة. قال الأصمعي : هضب القليب بنجد ، والهضب جبال صغار ، والقليب علم

في وسط هذا الموضع يقال له ذات الاصاد وهو من أسمائها وعنده جرى داحس والغبراء) (١)

ومن هذا وغيره من النصوص التي سترد معنا في هذا البحث يكمنني أن أصف هضب القليب بأنه :

علم أحمر أو جبال صغار ، فيه شعاب كثيرة ، وفي وسطه قليب تسمي ذات الاصاد وفيه ردهة وهي نقيرة يجتمع فيها ماء المطر . وهذا الهضب واقع في أرض الشَّرَبة من نجد .

أما عن الحادثة التي حصلت في هضب القليب فيمكن إيجازها بمايلي :

نزل قيس بن زهير العبسي وإخوته بجوار بني بدر وهم بطن من فزارة ينزلون هضب القليب وكان مع قيس أفراس له ولإخوانه يندر وجود مثلها عند غيرهم ، وكان مجيرهم حذيفة بن بدر يحسدهم عليها . وبطريقة أو بأخرى تراهن قيس وحذيفة على سباق « داحس والغبراء » داحس فرس لقيس ، والغبراء لآل بدر – على خلاف في ذلك – واتفق الطرفان على أن تكون الغاية مائة غلوة . واجتمع القوم وتم السباق إلا أن أحد الطرفين أضمر سوء النيَّة فدبر مكيدة لإعاقة داحس إذا جاء سابقاً ، وفعلاً تم لطمه عن الغاية عندما جاء سابقاً .

وحصل التنازع إذ كل يدعي السبق ونتيجة للصلف والعناد سال الدم بين الفريقين بسبب ذلك ، وتوالى أخذ الثأر بينهم على شكل فردي ثم نشبت المعارك بينهم ودامت كما قيل أربعين سنة .

من هذين الإيجازين عن هضب القليب وما دار فيه يمكنني الدخول في استعراض ما قاله بعض من كتبوا عن هذا الهضب في عصرنا الحاضر ، ومن ثم المقارنة بين جميع الآراء التي قيلت للاتفاق مع أحدها أو الخروج برأي آخر ربما يحدد موضعه بشكل أوضح وأدق . فأقول :

---

(١) معجم البلدان : ص ٥/ ٧٠٥

أولاً : رأي الشيخ محمد بن عبد الله البليهد ، وهو أول من تكلم عن تحديد مكان هضب القليب في عهدنا وله أكثر من رأي في ذلك .

أ - يقول في كتابه « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » :

(القليب : وأما القليب فمعروفة عند العرب وقد يضاف إليها فيقال «هضب القليب » وهى تقع عن جبل كشب في جهته الشمالية الشرقية في أعلى الشَّرَبَّة ، والقليب هذه هى التي أجريت فيها داحس والغبراء ، وكانت الحرب بين فزارة وبني عبس ... وهضب القليب بهذا الاسم قد اندرس والباقي من اسمه يقال له « هضب الشرار » وليس للقليب فيه ذكر .) [1]

وأقول تعليقاً على هذا النص : إنني اتفق معه رحمه الله بأن هضب القليب يقع شمال كشب أما كون اسمه قد إندرس وما بقي منه يقال له « هضب الشرار » فالذي أراه أن هضب الشرار ليس بهضب القليب لأن هضب الشرار لا زال محتفظاً باسمه هذا . قديماً وحديثاً وإنما دخل عليه شيء من التعديل حيث أصبح يسمى في وقتنا الراهن « هضب الشرار » بينما مسماه قديماً « هَضْبُ شَرَوْرَى » ولا خلاف بين البلدانيين في ذلك .

أما كونه هضب القليب فهذا ما ينفيه المؤلف نفسه فيما سيأتي :

ب : يقول في كتابه « ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه » وهو يتكلم عن المواضع التي تسمى : « الهضب » قال :

(الهضب سبعة مواضع مضافة)

الأول منها : هضب شرورى وهو الذي يقال له في هذا العهد هضب الشرار يقع في عالية نجد الشمالية شرقي « أبلى »

الثاني : هضب القليب : وهذا الهضب هو الذي أجريت فيه داحس والغبراء

---

(١) كتاب صحيح الأخبار ص١/١٨

وكان سبب الحرب التي تسميها العرب حرب داحس والغبراء ، وكـانت هذه الحرب بين عبس وذبيان ...

وهذا الهضب غربي هضب شروري ولا يعرف في هذا العهد إلا بهضب الدياحين يختصون به لانهم يطيلون الإقامة به .

الثالث : هضب القتاد واسمه في الجاهلية هضب القتام يقع بين الهضبين سالفي الذكر[1])

وتعليقي على ذلك : كأنه رحمه الله عدل عن قوله : إن هضب الشرار هو هضب القليب في النص السابق ، فقال هنا : إنه ما يسمى في وقتنا الحاضر « هضب الدياحين » .

ولي ملاحظة حول تحديد هضب الدياحين بالنسبة إلى هضب شرورى حيث قال : إنه يقع غرباً منه ، والصحيح أن هضب الدياحين يقع جنوب هضب شرورى بمسافة عشرين كيلاً .

وكذلك قوله (إن هضب القتاد يقع بين الهضبين السالفي الذكر) .

يعني أنه واقع بين هضب الشرار ، وهضب القليب ، والذي ظهر لي من المشاهدة على الطبيعة أن هضب القتاد ليس واقعاً بينهما وإنما هو واقع شرق هضب الدياحين الواقع جنوب هضب الشرار « شرورى » ، ويعتبر جزءاً منه .

أما قوله : إن هضب القتاد كان يسمى في الجاهلية هضب القتام فلا أعلم مرجعه في ذلك .

ج : في كتاب صحيح الأخبار : قال رحمه الله في معرض كلامه وهو يحدد « الشَّرَبَّة » .

علق في الهامش بقوله : (٢) وهضب القتاد هو الذي كان يسمى فيما سبق « هضب القليب » وأهل نجد يسمونه اليوم « هضب القتاد [2] »

(١) ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه : ص ٧١

(٢) صحيح الأخبار : ص ٨٧/١

وتعليقي على هذا التهميش : مرة قال : إن هضب القليب هو هضب الشـرار ، ومـرة ثانية قـال : إنه هضـب الدياحـين ، وأخيراً قال : إنه هضب القتاد.

ولم أجد تعليلاً للتباين بين الأقوال الثلاثة ،

وفيما يبدو لي إذا استبعدنا هضب الشرار أنه ليس هناك فرق كبير بين تسميته بهضب الدياحين ، أو هضب القتاد وهذا ما سيتضح للقارىء لاحقاً.

ثانياً : رأي الاستاذ سعد بن عبد الله الجنيدل في كتابه « معجم - عالية نجد » يقول في « رسم هضب القليب » :

أ - (هضب القليب : هضب له شهرة في أشعار العرب وأخبارهم غير أن اسمه قد تغير في هذا العهد ، وهو قريب من جبل المضيح يقول ابن مقبل :

سل الدار من جنبي حِبْرٍ فواهب إلى ما رأى هضب القليب المضيحُ

المضيح وحبر جبلان معروفان باسميهما وقد استوفيت ما يخص هضب القليب في رسم طخفة فانظره لأنه أصبح في هذا العهد يدعى بهذا الإسم)

تعليقي على هذا النص : أن الاستاذ سعد خلص إلى أن هضب القليب هو ما يسمى في وقتنا الحاضر بـ « طخفة » إذاً لنلق نظرة على ما قاله هناك :

ب - يقول : (طخفة هضاب حمر كبار تقع غرب هضاب شعب العسيبيات يمر وادي الجرير بينها وبين هضاب الشعب واقعة في بلاد بني الأضبط. أما في هذا العهد فإنها واقعة في بلاد الروقة من عتيبة ولم أر لها ذكراً بهذا الاسم في كتب التاريخ .

ويبدو لي – الكلام لمؤلف معجم العالية – أن هذه الهضاب هى هضب القليب ، وأن تسميتها طخفة تسمية حديثة ويحتمل أن العضيان من الروقة سموها بهذا الاسم لأنها تناوح هضاب الشعب – شعب العسيبيات – ويقال له أيضاً شعب العضيان وهو من بلادهم تشبيهاً لها بهضبة طخفة الواقعة شرق ضرية ...

ولإيضاح انطباق تحديد هضب القليب على هذه الهضاب أذكر هنا ما ورد فيه من الأقوال والشواهد من شعر العرب .) (١)

وقد أورد المؤلف بعض أقوال أصحاب معاجم البلدان وسأقتصر هنا على استعراض النصوص التي كان له رأي بشأنها ، واستدل بها على أن «طخفة » هى « هضب القليب » .

وبقية النصوص التي أوردها ستمر بنا كثيراً وسردها فيه إطالة وعلى القارىء الرجوع إلى رسم « طخفة » في معجم عالية نجد إذا رغب الإطلاع على جميع النصوص التي أوردها المؤلف .

وفيمايلي بعض النصوص التي أوردها ومناقشتي لرأيه بشأنها :

١ – أورد المؤلف قول الأصفهاني : (هضب القليب بلاد منقطعة لعمرو بن عبد الله بن كلاب وناحية منها لبني سليم ، وقال العامري : هضب القليب نصف فيما بين بني عامر وبني سليم حاجز فيما بيننا وبينهم والقليب الذي ينسب إليه هضب لهم .

وقال البكري وهو يعلق على شعر ابن مُقْبِلٍ في رسم المضيح :

سل الدار من جنبي حبر فواهب   إذا ما رأى هضب القليب المضيح

وهضب القليب لبني قنفذ من بني سليم وهناك قتلت بنو قنفذ المقصص العامري . قلت : – الكلام لمؤلف عالية نجد – لا اختلاف بينما ذكر الأصفهاني وما ذكره البكري في تحديد هضب القليب . وما ذكراه ينطبق

(١) معجم عالية نجد : ص ٨٧٦/٢ .

على هضب طخفة ، وهضب طخفة قريب من جبل حبر وكذلك من المضيح فجبل المضيح يناوحه من الشمال ويمكن أن ترى ببصرك أحدهما من الآخر ، وحبر والمضيح معروفان باسميهما في هذا العهد وقد زرت هذه الأعلام وشاهدتها) . انتهى

أقول :إنني مع المؤلف من أنه لا اختلاف بين ما ذكره الأصفهاني وما ذكره البكري في تحديد هضب القليب ، ولكني لست معه في أن ما ذكراه ينطبق على هضب طخفة لسببين :

أحدهما : أن طخفة التي أشار إليها ليست هضباً وإنما هى هضبة وفرق بين الهضبة والهضب .

وثانيهما : أن أوصاف هضب القليب الواردة في المعاجم القديمة لا تنطبق عليها لا من قريب ولا من بعيد .

أما بيت ابن مقبل المتقدم : فيظهر لي أنه الدليل الوحيد الذي شد علماء البلدان في هذا العصر حيث فهموا منه أن « المضيح » يرى « هضب القليب » ، ولذا بحثوا عن مكان هضب القليب ضمن حدود مشاهدة أحدهما للآخر ، ولهذا السبب طُوعت بعض النصوص القديمة أو قُدح فيها طبقاً لهذا المفهوم ، وسأتكلم عن بيت ابن مقبل هذا في موضعه إن شاء الله.

٢ – أورد المؤلف قول البكري حول ذات الاصاد ونصه :

(ذات الاصاد موضع ببلاد فزارة وهو الموضع الذي أقعد فيه حذيفة بن بدر فتياناً من بني فزارة لما تفالق هو وقيس بن زهير على داحس والغبراء ، وقال لهم إن مربكم داحس متقدماً فالطموا وجهه وتنهنهوه حتى تقدمه الغبراء ففعلوا ، ثم مضى داحس حتى لحق الغبراء وتقدمها قال بشر بن أبي حمام العبسي :

لطمن على ذات الاصاد وجمعهم يـرون الأذى من ذلة وهـوان

وقال اليزيدي : ذات الاصاد أراد ذات حُسًى ، وقيل : إن ذلك الشعب يسمى شعب الحسى لأن حذيفة أطعمهم هناك حيساً .

وقال الصولي : وقد انشد بيت أبي تمام :

وغادر في صدور الدهر قتلى بنـي بـدر على ذات الاصـاد

ذات الاصاد : الردهة التي قتل عليها قيس بن زهير حذيفة بن بدر وهى موضع ماء بالهباءة .

قلت - القول لمؤلف معجم العالية - ما ذكره البكري من الأقوال في تحديد ذات الاصاد يفيد أنها في عالية البلاد حيث قال إنه موضع في بلاد بني فزارة ، وقال عن الصولي : موضع ماء بالهباءة ويبدو لي أن هذا التحديد بعيد عن الواقع لأن الهباءة واقعة بالقرب من بيضان في شرقي الحجاز وواقعة داحس والغبراء واقعة في نجد)[1] . انتهي

وتعليقي على هذا الرأي هو : إن المؤلف استبعد أن تكون ذات الاصاد في بلاد بني فزارة لأنه حدد مسبقاً هضب القليب الذي تقع في وسطه ذات الاصاد على ضفاف الجريب أي في بلاد بني الأضبط .

أما استغرابه من قول الصولي : إن ذات الاصاد موضع ماء بالهباءة .

فإذا كان المؤلف استغرب هذا القول لأن ذات الاصاد وسط هضب القليب وليست في الهباءة الواقعة بالقرب من بيضان فهذا استغراب في محله ،أما إذا كان استغرب ذكر الهباءة لأنها بالقرب من بيضان الذي يقع شرقي الحجاز، وبالتالي فهى بعيدة عن مكان أحداث داحس والغبراء التي حدثت في نجد فهذا الاستغراب من وجهة نظري في غير محله ، وسأبين لاحقاً أن هضب القليب وبالتالي ذات الاصاد واقعة في بلاد بني فزارة فعلاً، كما سأبين أن حادثة الهباءة واقعة بالقرب من وادي بيضان في

(١) معجم عالية نجد : ص ٢/٨٧٨ - ٨٧٩ .

شرقي الحجاز .

على أنَّ لي تعليقاً على ما جاء في قول اليزيدي ، وكذا ما جاء في قول الصولي :

قال اليزيدي (ذات الاصاد أراد ذات حسى وقيل : إن ذلك الشعب يسمى شعب الحسى لأن حذيفة أطعمهم هناك حيساً .)

فأقول : إن اليزيدي التبس عليه مسمى « ذو حُسىً » ومسمى « شعب الحيس » فلم يفرق بينهما . فذو حُسىً من الثابت أنه موضع من المواضع التي حصل فيها يوم من أيام داحس والغبراء وهو معروف في وقتنا الحاضر بـ « حسو عليا »

أما شعب الحيس فهو الشعب الموجود وسط هضب القليب وسمي بشعب الحيس لأن حمل بن بدر أطعم القوم فيه حيساً بعد نهاية السباق .

أما قول الصولي وقد أنشد بيت أبي تمام : من أن ذات الاصاد الردهة التي قتل عليها قيس بن زهير حذيفة بن بدر وهي موضع ماء بالهباءة .

فيظهر لي أن الصولي التبس عليه الأمر كذلك بين ذات الاصاد ، وماء الهباءة فمن الثابت أن قيس بن زهير قتل حذيفة بن بدر ومن كان معه في جفر الهباءة وليس على ردهة ذات الاصاد ، إذ أن تلك الردهة تقع وسط هضب القليب جاء ذكرها مع بداية الأحداث .

أما واقعة جفر الهباءة ومقتل حذيفة ومن معه فيها فتلت ذلك بزمن طويل والمكانان مختلفان عن بعضهما وسأبين ذلك أكثر في موضعه إن شاء الله .

وحتى لاتتشابه وتتداخل علينا النصوص الواردة حول هضب القليب فسأحاول فيما يلي حصر تلك النصوص قدر المستطاع، إذ هي دليلنا في رحلتنا الميدانية التي نزمع القيام بها للبحث عن الأماكن الصحيحة لهضب القليب، وجفر الهباءة، وغيرها من المواضع .

أذكر فيمايلي ما تمكنت من حصره من النصوص التي تكلمت عن : هضب القليب ، وذات الاصاد ، وشعب الحيس ، والردهة .

وسوف أقتصر قدر الإمكان على ذكر ما يتضمن وصفاً لهذه المواضع بصفة موجزة حتى يتكون لدينا صورة واضحة المعالم لتلك المواضع .

النص الأول : يقول ياقوت الحموي :

(هضب القليب : علم فيه شعاب كثيرة . قال الأصمعي : هضب القليب بنجد ، والهضب جبال صغار والقليب في وسط هذا الموضع يقال له ذات الاصاد وهو من من أسمائها وعنده جرى داحس والغبراء .

قال العامري : هضب القليب نصف ما بيننا وبين بني سليم حاجز فيما بيننا والقليب الذي ينسب إليهم بئر لهم ...

وقال أبو زياد : وبنو وبر بن الأضبط بن كلاب لهم من المياه هضب القليب والقليب ماء ولهم هضاب كثيرة .) [(١)]

النص الثاني : ويقول ياقوت في معجمه:

(ذات الاصاد : اسم الماء الذي لطمت عليه داحس فرس قيس بن زهير العبسي وكان قد أجراه مع الغبراء فرس لحذيفة بن بدر الفزاري ..

وقال أبو عبيدة : ذات الاصاد : ردهة في ديار عبس وسط هضب القليب وهضب القليب علم أحمر فيه شعاب كثيرة في أرض الشربة .

وقال الأصمعي : هضب القليب بنجد جبال صغار ، والقليب في وسط هذا الموضع يقال له ذات الاصاد ، وهو اسم من أسمائها ، والردهة نقيرة في حجر يجتمع فيها الماء [(٢)]

(١) معجم البلدان : ص ٥/ ٧٠٥
(٢) معجم البلدان : ص ١ / ٢٠٥

النص الثالث : يقول ياقوت الحموي أيضاً :

(شعب الحيس : شعب بالشَّرَبَّة بين هضب القليب من أرض فزارة .

وقيل سمي بذلك لأن حمل بن بدر ملأ دلاءً من الحيس ووضعها في هذا الشعب حتى شرب منها قوم ردوا داحساً عن الغاية لما سبق الغبراء يوم رهنهم على السباق وجرت الفتنة بينهم وبين بني عبس أعواماً حتى هلك أولاد بدر .. (١)

النص الرابع : يقول الزمخشري :

ذات الاصاد : ردهة وسط هضب القليب ، وهضب القليب علم أحمر فيه شعاب كثيرة وهى بنجد(٢) .

النص الخامس : يقول البكري :

(ذات الاصاد : موضع ببلاد بني فزارة وهو الموضع الذي أقعد فيه حذيفة بن بدر فتياناً من بني فزارة لما تغالق هو وقيس بن زهير على داحس والغبراء..

وقال اليزيدي : ذات الاصاد : أراد ذات حساً .

وقيل : إن ذلك الشعب يسمى شعب الحيس لأن حذيفة أطعمهم هناك حيساً .

وقال الصولي : وقد أنشد قول أبي تمام :

وغادر في صدور الدهر قتلى بنـــي بدر على ذات الاصاد

ذات الاصاد : الردهة التي قتل عليها قيس بن زهير حذيفة بن بدر ، وهى موضع ماءة بالهباءة (٣).

تنبيه : [سبق أن تكلمت عما حصل من خلط والتباس في نصي : اليزيدي ، والصولي فارجع إليه .]

---

(١) معجم البلدان : ص ٣ / ٣٤٧
(٢) كتاب الأمكنة والمياه والجبال ص ١٠٢
(٣) كتاب : معجم ما استعجم ص ص ١ / ١٦١ - ١٦٢

النص السادس : يقول الهمداني :

(ومعدن الضبيب يسار هضب القليب [1])

وفي موضع آخر من الكتاب قال : (والهضب هضب القليب ، والحفير حفير الضبيب معدن [2])

النص السابع : قال الأصفهاني في كتابه « بلاد العرب » :

(وهضب القليب بلاد منقطعة لعمر بن عبد الله بن كلاب وناحية منها لبني سليم ...

وقال العامري : وهضب القليب نَصَفٌ فيما بين بني عامر وبني سليم حاجز فيما بيننا وبينهم ، والقليب الذي ينسب إليه هضب لهم [3])

تنبيه : [يبدو لي أن كلمة « هضب » في جملة : « والقليب الذي ينسب إليه هضب لهم » صحتها « بئر » ففي رواية ياقوت قال « بئر لهم » وأظنها أصوب] .

هذا ما تمكنت من حصره من النصوص التي تكلمت عن : هضب القليب ، وذات الاصاد ، وشعب الحيس ، والردهة .

وسيكون لنا عودة إلى تلك النصوص لنرى مدى انطباقها على الموضع الذي سنحدده على أنه « هضب القليب » وذلك بعد القيام بالرحلة الميدانية إلى الجهة التي نرجح وجوده فيها .

---

(١) كتاب : صفة جزيرة العرب ص ٢٩٩

(٢) كتاب صفة جزيرة العرب ص ٢٩١

(٣) بلاد العرب : ص ١٤٢

إن النصوص القديمة هى مرشدنا في رحلتنا للبحث عن « هضب القليب» وحتى تكون تلك النصوص واضحة لا غموض ولا لبس فيها فقد برز لي من ثناياها ما يبدو وكأنه تعارض أو غموض ، ولذا أحببت قبل القيام بالرحلة إلقاء الضوء على ما قد يثار من هذا القبيل ومن ذلك : -

١ - ورد في تلك النصوص : أن هضب القليب واقع في ديار « عبس » ومرة أخرى قيل : إنه في ديار « فزارة » فأقول :

يبدو لي أن مثل هذا القول لا يدعو للشك في أحد القولين ، فبنو عبس وبنو فزارة أبناء عمومة ومتجاورون في المنازل ، وبينهم الصلات والروابط قوية ومتينة قبل أحداث داحس والغبراء ، وكانت المصاهرة بينهم قائمة فأحدهم متزوج من ابنة أو أخت الآخر وهكذا ، وعندما حصل السباق بين داحس والغبراء كان قيس بن زهير العبسي وإخوته مقيمين مع بني عمومتهم أبناء بدر من فزارة مجاورين لهم في هضب القليب .

٢ - كما قد يبدو للقارىء أن هناك تعارضاً بين النصين الذي يقول أحدهما:

إن هضب القليب في أرض فزارة . بينما يقول النص الآخر : إنه في بلاد منقطعة لبني عامر نصف بينهم وبين بني سليم وأن القليب المسمى بها الهضب لبني سليم .

أقول : يظهر لي أن النصين لا تعارض بينهما فمن قال : إنه في أرض فزارة فقد أصاب لأن بني فزارة كانوا يقيمون في تلك الناحية وأحداث داحس والغبراء جرت في هذا الهضب وفيما حوله ، وعندما رحل بنو فزارة عنه إلى ناحية أخرى حل مكانهم بنو سليم وبنو عامر .

وكم من قبيلة هجرت ديارها سواء باختيارها أوقسراً عنها نتيجة للحروب

ومن ثم خلفها على ديارها قبيلة أخرى ، ومن المعروف أن ديار عبس وذبيان عرفت فيما بعد ذلك في شمال الجزيرة العربية .

٣ – ورد بعض الالتباس والتداخل بين المواضع مثل عدم التفريق بين « ذو حُسًى » و « شعب الحيس » ، وما قيل من أن حذيفة بن بدر ومن معه قتلوا في جفر الهباءة بينما ورد قول بأنهم قتلوا على ذات الاصاد ، وقد سبق أن تكلمت فيما مر عن ذلك .

٤ – ورد في النصوص بعض الكلمات التي قد يصعب فهم مدلولها مما يتطلب إيضاح معناها مثل : الهضب ، القليب ، ذات الاصاد ، الردهة ، الشعب ، الحيس .

وفيما يلي ما ظهر لي من معاني تلك الكلمات :

أ – الهضب : جمع هضبة . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض ، وقيل الجبل الطويل الممتنع المنفرد . ما ارتفع من الأرض . (المنجد)

ب – القليب : هى البئر قبل أن تطوى . (تهذيب الصحاح)

ج – الاصاد : من الوسط . وقد ورد تعريف الأصيد في تهذيب الصحاح أنه (لغة في الوصيد وهو الفناء) .

د – الردهة : نقرة في صخرة يَسْتَنقِعُ فيها ماء السماء « تهذيب الصحاح »

هـ – الشّعْبُ : بالكسر : الطريق في الجبل والجمع الشعاب « تهذيب الصحاح »

ويقول ياقوت الحموي : قال أبو منصور : ما انفرج بين جبلين فهو شعب.

و – الحيس : الخلط ومنه سمي الحيس ، وهو تمر يُخْلَطُ بسمن و أَقِطْ . «تهذيب الصحاح »

الرحلة الميدانية

كنت غير مقتنع من أن هضب القليب هو ما أخذ شبه الاستقرار لدى بعض من كتبوا عنه في وقتنا الحاضر من أنه ما يسمي بـ « طخفة » الواقعة على الضفة الغربية لوادي الجريب والتي أوضحت فيما مر بنا من الموانع التي تحول بيننا وبين تسميتها « هضب القليب » إلى جانب الموانع الأخرى التي سأتطرق إليها لاحقاً ، والتي سيدركها القارىء بعد أن يصحبنا في الرحلة الميدانية حيث سيتضح له جلياً بإذن الله موقع « هضب القليب » الذي لا يمنع مانع من تطبيق جميع النصوص عليه بحيث لا نحتاج إلى كثرة التعليلات لتطبيق تلك النصوص ، أو القدح في بعضها واعتسافها حتى تنطبق على ما نتوصل إليه :

ففي شهر ربيع الأول من عام ١٤١٢ للهجرة كنت مقيماً في مدينة الطائف لإنجاز بعض الأعمال الخاصة ، وكنت أتحين الفرصة للقيام بالرحلة الميدانية عن طريق «مهد الذهب» المزفت المتفرع من طريق مكة المكرمة والمدينة المنورة لأنه أسهل طريق .

ولما كان ابن العم الأستاذ عبد العزيز بن صالح الشائع مهتماً هو الآخر ومتعاطفاً معي للقيام بتلك الرحلة من الطريق الأقرب وإن كان الأصعب وهو الطريق الذي كان يسلكه حاج العراق قديماً « درب زبيدة » ابتداء من منزل « غمرة » حتى « معدن بني سليم » لكي نصيد عصفورين بحجر واحد على حد قوله ، وهو الخبير بهذا الطريق ، وله مجهود يشكر عليه في سبب تعمير بعض ما انطمر من برك درب زبيدة حتى صارت أجود مما كانت عليه سابقاً وأصبحت تختزن مياه السيول فيرتوي منها سكان تلك النواحي طول العام .

وقد انضم إلينا شيخ الرحلة أبو عبد الله ، وابنا العم : عبد الرحمن ،

وأبو غيث ، فأصبح أعضاء الرحلة خمسة من المهتمين بالاستطلاع عن الأماكن التاريخية وممن يشجع على ذلك .

كان همي منحصراً في البحث عن هضب القليب وما يتعلق به إلا أنني خشيت أن تتحول الرحلة إلى البحث عن مجرى وادي العقيق حيث كان ابن العم عبد الرحمن مشغول الذهن حول مسار هذا الوادي وما قيل بشأنه من آراء : فمن قائل : إنه يتصل بعقيق المدينة ومن قائل بامتناع ذلك ولما كانت رحلتنا ستحاذي مجرى هذا الوادي فقد تخوفت من أن يأخذ منا هذا الأمر مدة الرحلة ، لكن الأخ عبد العزيز طمأنني بأن تحقيق مجرى وادي العقيق يحتاج إلى مدة أطول .

ابتدأنا الرحلة من الطائف باتجاه الشمال مروراً بعشيرة ، ثم البركة «غمرة » ، ثم « المسلح » ومنه إلى « أفيعية » ولما كنت معداً خارطة تقريبية من واقع قراءتي في المراجع والخرائط الجغرافية حددت عليها المواضع التي لها علاقة بهضب القليب وخاصة « هضب الدياحين » و « جفر الهباءة » الذي قتل فيه أحد طرفي النزاع في حوادث داحس والغبراء .

ولما كان علماء البلدان حددوا موضع « جفر الهباءة » قرب « وادي بيضان » حول بلدة « صفينة » فقد فضلنا زيارة هذه البلدة أولاً للسؤال عن وادي بيضان من جهة وللتعرف على تلك البلدة من جهة أخرى خاصة وأن لها ذكر في معاجم البلدان والمراجع التاريخية ، وهذه البلدة تذكرنا بالشاعرة « الخنساء » تماضر بنت عمرو من آل الشريد من قبيلة سليم واشتهرت هذه الشاعرة برثاء أخويها معاوية وصخر حيث أطنبت كثيراً في رثاء أخيها صخر وقد بلغها نبأ مقتله وهى مقيمة في « صفينة » يدل على ذلك قولها :

طرق النعي على صفينة غدوة　　　ونعـي المعمـم من بني عمـرو

كما اشتهرت هذه الشاعرة عندما جاء الإسلام واعتنقته ، وحفظ لها

التاريخ الإسلامي جهادها وصبرها عندما قتل أبناؤها الثلاثة في معركة القادسية .

ولما كنا لم نزر تلك القرية من قبل ونجهل الطريق إليها خاصة وأنها تقع في أحضان حرة بني سليم . فعندما حاذينا منزل « أُفَيْعِيَة » وهي إحدى منازل درب زبيدة اتجهنا يساراً باتجاه الغرب وبالسؤال عن الطريق المؤدي إلى « صفينة » وصلناها قبيل الظهر .

وعند إحدى محطات الوقود سألت رجلاً من البادية عن وادي بيضان وعن بعض الاعلام التي شاهدتها في الطريق وحول صفينة ، وخاصة جبل الزور الواقع شمال غرب صفينة قريباً منها وهو من أشهر الجبال في تلك الناحية .

كما سألته عن قرية « هبا » وكنت قد اهتديت إلى اسم تلك القرية من واقع بيان أسماء المدارس الابتدائية التابعة لمنطقة المدينة المنورة التعليمية ، فوصف الطريق إليها وتبعد عن صفينة ثلاثين كيلاً تقريباً جنوباً .

وقبل أن نصل إلى جبل الزور قطعنا وادي بيضان وسرنا بمحاذاته متجهين جنوباً فوصلنا إلى قرية « هبا » بعد الظهر .

نظراً لحرارة الجو وحاجتنا إلى الراحة بحثنا عن مكان نستظل به فوجدنا بالقرب من مقر المدرسة نخلاً يغري ظلاله والماء المنساب في الجداول بغزارة بالمقيل فيه وحيث لم نجد أحداً نستأذنه ولعلمنا المسبق بكرم سكان المنطقة فقد حطينا الرحال في تلك الظلال والمياه الوافرة بين أحضان حرة بني سليم .

وكنت حريصاً على مقابلة أحد سكان البلدة لأساله عن أشياء حول الهباءة فما دمت في « هبا » فلن يخيبني الله وإلا ذهبت النتيجة من الزيارة هباء .

وبعد وقت قصير جاءنا أحد رجال القرية وظهر لي من كلامه ومن

وأبو غيث ، فأصبح أعضاء الرحلة خمسة من المهتمين بالاستطلاع عن الأماكن التاريخية وممن يشجع على ذلك .

كان همي منحصراً في البحث عن هضب القليب وما يتعلق به إلا أنني خشيت أن تتحول الرحلة إلى البحث عن مجرى وادي العقيق حيث كان ابن العم عبد الرحمن مشغول الذهن حول مسار هذا الوادي وما قيل بشأنه من آراء : فمن قائل : إنه يتصل بعقيق المدينة ومن قائل بامتناع ذلك ولما كانت رحلتنا ستحاذي مجرى هذا الوادي فقد تخوفت من أن يأخذ منا هذا الأمر مدة الرحلة ، لكن الأخ عبد العزيز طمأنني بأن تحقيق مجرى وادي العقيق يحتاج إلى مدة أطول .

ابتدأنا الرحلة من الطائف باتجاه الشمال مروراً بعشيرة ، ثم البركة «غمرة » ، ثم « المسلح » ومنه إلى « أفيعية » ولما كنت معداً خارطة تقريبية من واقع قراءتي في المراجع والخرائط الجغرافية حددت عليها المواضع التي لها علاقة بهضب القليب وخاصة « هضب الدياحين » و « جفر الهباءة » الذي قتل فيه أحد طرفي النزاع في حوادث داحس والغبراء .

ولما كان علماء البلدان حددوا موضع « جفر الهباءة » قرب « وادي بيضان » حول بلدة « صفينة » فقد فضلنا زيارة هذه البلدة أولاً للسؤال عن وادي بيضان من جهة وللتعرف على تلك البلدة من جهة أخرى خاصة وأن لها ذكر في معاجم البلدان والمراجع التاريخية ، وهذه البلدة تذكرنا بالشاعرة « الخنساء » تماضر بنت عمرو من آل الشريد من قبيلة سليم واشتهرت هذه الشاعرة برثاء أخويها معاوية وصخر حيث أطنبت كثيراً في رثاء أخيها صخر وقد بلغها نبأ مقتله وهى مقيمة في « صفينة » يدل على ذلك قولها :

طرق النعي على صفينة غدوة ونعي المعمم من بني عمرو

كما اشتهرت هذه الشاعرة عندما جاء الإسلام واعتنقته ، وحفظ لها

التاريخ الإسلامي جهادها وصبرها عندما قتل أبناؤها الثلاثة في معركة القادسية .

ولما كنا لم نزر تلك القرية من قبل ونجهل الطريق إليها خاصة وأنها تقع في أحضان حرة بني سليم . فعندما حاذينا منزل « أُفَيْعِيَة » وهى إحدى منازل درب زبيدة اتجهنا يساراً باتجاه الغرب وبالسؤال عن الطريق المؤدي إلى « صفينة » وصلناها قبيل الظهر .

وعند إحدى محطات الوقود سألت رجلاً من البادية عن وادي بيضان وعن بعض الاعلام التي شاهدتها في الطريق وحول صفينة ، وخاصة جبل الزور الواقع شمال غرب صفينة قريباً منها وهو من أشهر الجبال في تلك الناحية .

كما سألته عن قرية « هبا » وكنت قد اهتديت إلى اسم تلك القرية من واقع بيان أسماء المدارس الابتدائية التابعة لمنطقة المدينة المنورة التعليمية ، فوصف الطريق إليها وتبعد عن صفينة ثلاثين كيلاً تقريباً جنوباً .

وقبل أن نصل إلى جبل الزور قطعنا وادي بيضان وسرنا بمحاذاته متجهين جنوباً فوصلنا إلى قرية « هبا » بعد الظهر .

نظراً لحرارة الجو وحاجتنا إلى الراحة بحثنا عن مكان نستظل به فوجدنا بالقرب من مقر المدرسة نخلاً يغري ظلاله والماء المنساب في الجداول بغزارة بالمقيل فيه وحيث لم نجد أحداً نستأذنه ولعلمنا المسبق بكرم سكان المنطقة فقد حطينا الرحال في تلك الظلال والمياه الوافرة بين أحضان حرة بني سليم .

وكنت حريصاً على مقابلة أحد سكان البلدة لأساله عن أشياء حول الهباءة فما دمت في « هبا » فلن يخيبني الله وإلا ذهبت النتيجة من الزيارة هباء .

وبعد وقت قصير جاءنا أحد رجال القرية وظهر لي من كلامه ومن

مظهره العام أنه من أعيان تلك القرية وأنه على مستوى من الفهم وإدراك الأمور فاستبشرت خيراً بمقدمه فرحّب الرجل بنا كثيراً ، ولم يخلصنا من كرمه الجم ولباقته، إلا إشعارنا إياه بأننا على استعجال وخلفنا أمور أخرى نود اتمامها في رحلتنا القصيرة .

ولكن الرجل لم يعذرنا إلا بعد أن أخذ وعداً بأن نزوره في المرة القادمة إذا جئنا لهذه الجهة .

وأملنا أن نفي لهذا الرجل الكريم المضياف في أخلاقه قبل دخول بيته بما قطعناه له من وعد . كنت أثقلت عليه بالأسئلة وكان كريماً في كل شيء حتى بالإجابة على أسئلتي الثقيلة وخاصة فيما يتعلق بجفر الهباءة .

عندما سألته عن تلك الآبار قال : الآبار في هبا كثيرة وكذلك في وادي بيضان فكما تشاهدون كثرة المزارع والنخيل .

ولما قلت له إن الآبار التي أسأل عنها قديمة جداً أي من العصر الجاهلي، وقد وصفها علماء البلدان ومن بينهم « عَرَّام السُلَمِيُّ » حيث قال عنها : « إنها أفواه آبار كثيرة مخرقة الأسافل يفرغ بعضها في بعض الماء العذب الطيب ، ويزرع عليه الحنطة والشعير .. »

عندما قلت له ذلك ابتسم الرجل وقال : « على الخبير بها سَقَطتَّ » . إن تلك الآبار القديمة موجودة في وادي هبا ويسمى « الفطح » وتبعد عنا الآن ستة أكيال أو سبعة إلى جهة الجنوب وتلك الآبار أعرفها تمام المعرفة لأن أهلي هم الذين يزرعونها في هذا العهد .

فطلبنا منه وصف الطريق إليها ولكنه شهم كريم النفس فقال أخشى أن تضلوا الطريق إليها وبالتالي يضيع عليكم الوقت ، ولكن سوف أدلكم إليها ، وأصر على أن نركب في سيارته وسلك بنا طريقاً يأخذ ظهر الحرة ولكنه ممسوح وقال إنه مهد هذا الطريق بمجهود فردي أما الطريق القديم عن طريق الوادي ، فهو أقرب ولكن المشاريع الزراعية والسيول أفسدته

أثناء سيرنا مع الطريق في الحرة شاهدت شبه مبان متهدمة وهى كثيرة على طول الطريق غلب على ظني أنها كانت تستخدم في زمن الخوف كمتاريس لحماية المساكن والمراعي في الأسفل : أنظر إلى الصورة رقم (١) يبدو فيها أحد المتاريس في أعلى الحرة ، كما يبدو « جبل الزور » المشهور.

رقم (١)

منظر لأحد المتاريس الحربية المنتشرة في ظهر الحرة ، ويبدو جبل « الزور » المشهور غربي الحرة .

عندها تذكرت قول زهير بن أبي سلمى المزني وهو يصف بلادهم بأن أسافلها خصبة طيبة المرعى وأن أعلاها محصنة عندما يخافون :

إلى قَلْهَي تكون الدار منا　　　إلى أكناف دومة فالحجون

بأوديـــة أسافلُهُنّ روض　　　وأعلاها إذا خفنا خصونُ

نحل بسهلها فإذا فزعنا　　　جرى منهن بالأصلاء عُونُ

وقلهى : التي أشار إليها هى التي اصطلح فيها بنو عبس وذبيان في آخر أيامهم وهي لا تبعد كثيراً عن صفينه فهي حسب تحديد علماء البلدان تقع

شمالاً منها . بعد السير مع هذا الطريق تسعة أكيال نزل بنا يميناً على فسحة من الأرض تحيط بها الحرة من أكثر جهاتها فيها نخيل ومزارع مساحتها صغيرة مما يبين أنها لأناس متعددين فكل قد أحاط ملكه بحيطان من الحجارة .وقد وقفنا على الآبار سواء العامر منها أو الذي عفى عليه الزمن ، ومن تلك الآبار ما امتدت لها يد الإصلاح فطويت بالحجارة ، واستخدم لإخراج الماء منها آلات الري الحديثة .

وبعد التجول ومشاهدة الموقع اتضح لي أن تلك الآبار هى « جفر الهباءة» لانطباق الوصف والمكان عليها فهي واقعة في وادي « هبا » واسمه « وادي الفطح » وهو من فروع وادي « بيضان » حيث يلتقي معه في «الصحن » .

أخذت بعض الصور للآبار المطمورة والآبار التي استعملت لسقي النخيل ثم هُجِرتْ ، وبإلقاء نظرة على أسافل تلك الآبار تبين أن الحجارة التي طويت بها أقيمت على أرض صلبة قرب الأسفل وتحت تلك الأرض الصلبة يتبين للناظر التجويف الواضح مما يدل على أن تلك الآبار وهى متقاربة يتصل بعضها ببعض كما روى لنا الأقدمون . (أنظر الصور رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥)لاحظت أن الآبار المهجورة مياهها غائرة ولما قلت لمرافقنا : إن

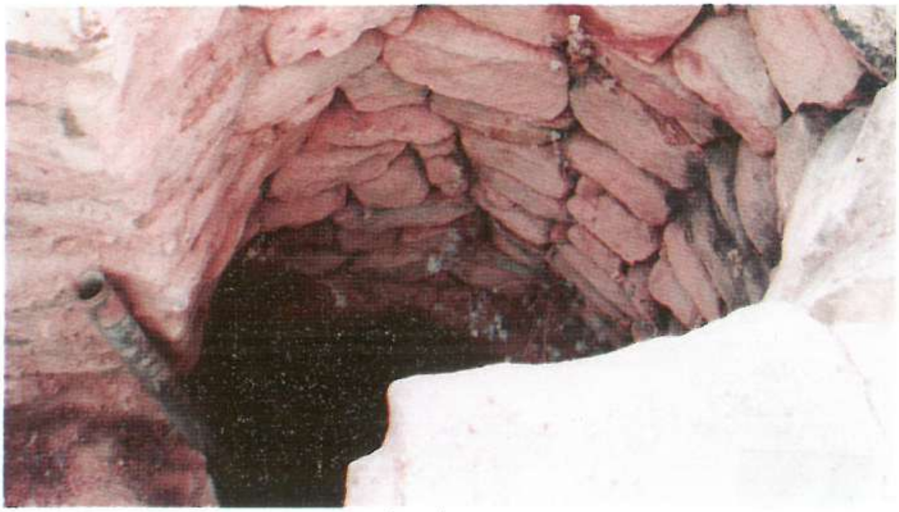

رقم (٢)

منظر : إحدى آبار « جفر الهباءة » القديمة بعد أن طويت واستخدمت حديثاً ، ويبدو التجويف أسفلها من تحت الطي .

رقم (٣)

منظر : إحدى آبار « جفر الهباءة » القديمة بعد أن تم استصلاحها في وقتنا الحاضر ، ويبدو للناظر التجويف المذكور في النصوص القديمة من تحت الطي

رقم (٤)

منظر : إحدى آبار « جفر الهباءة » التي لم تستصلح وانطمرت مع مرور الزمن ترى العُسُبَ فوق فوهتها .

رقم (٥)

منظر : إحدى آبار « جفر الهباءة » التي لم تستصلح وانطمرت مع مرور الزمن .

القدماء وصفوا تلك الآبار بأن مياهها قريبة من سطح الأرض بحيث يمكـــن النزول إليها والسباحة فيها قال : يظهر لي أنه بعد استعمال مكائن الري الحديثة وقلة السيول شح الماء في المنطقة عموماً ، وما أستطيع أن أفيدك به : (إن أبي إذا سبق عمي في سقي مزرعته أو بالعكس قَلَّ الماء في بئر الآخر مما يدلّ على اتصال تلك الآبار ببعضها .

أما عن قرب الماء في الزمن السابق ، فقد أدركت رجلاً مسناً يقول : إنه يغسل « أَصِرَّةَ خَلْفاتِه » من ماء البئر وهو قاعد على فوهتها وهذا يدل علىأن الماء قريب من سطح الأرض خاصة مع كثرة السيول .)

وبالمشاهدة على الطبيعة وتطبيق النصوص القديمة وما ورد فيها من وصف وتحديد للمكان فليس لدي شك في أن هذه الآبار هى آبار « جفر الهباءة » التي قتل فيها حذيفة بن بدر ومن كان معه ، وهى تقع على خط العرض ٥٤ً ٠٥َ ٢٣ وخط الطول ٣٦ً ٢٤َ ٤٠ .

بعد عودتنا إلى « هبا » سألنا الرجل عن اسمه حيث امتنع عن ذكره

إلا بعد دخولنا بيته ، ولما كان مقتنعاً من صدقنا حيث وعدناه بأن نفي له بما قلناه إذا زرنا المنطقة مرة أخرى إن شاء الله فقد أعلمنا باسمه وهو : «سُوَيْعِدُ بن غالب العزيزي » ومما استبان لنا من كلامه أنه من أصحاب الحل والعقد في تلك القرية الوادعة في أحضان الحرة وقبل غروب الشمس بقليل ودعنا هذا الرجل المثل في الطيبة وكرم النفس وحب العون والمساعدة. شاكرين له حسن تجاوبه معنا .

وإن كنا أسفنا كثيراً عندما علمنا أخيراً أنه فوت موعداً لتطعيم ولده الصغير في مستوصف « صفينة » الذي يبعد عن « هبا » ثلاثين كيلاً مع طريق ترابي ، وأملنا أن نجد في زيارتنا القادمة وقد زفت الطريق إلى تلك القرية الزراعية وفتح فيها مستوصف لخدمة سكانها ومن يقطن حولها وما ذلك بعزيز على جهود المخلصين .

قد يكون لي عودة إلى الحديث عن جفر الهباءة عند التحدث عن الأيام التي جرت بين عبس وذبيان لأن يوم الهباءة من الأيام الفاصلة في تلك الحروب الطاحنة .

بين « هبا » ومهد الذهب :

عند مغادرتنا « هبا » وسيرنا في الطريق الموصل إلى خط الزفت الذي يربط بين مهد الذهب والسوارقية كنا حريصين على أن نقطع المسافة البالغة ثمانية عشر كيلاً قبل مغيب الشمس لنتمكن من مشاهدة الناحية الأخرى من جبل « الزور » الذي كان يصاحبنا على أيمن الطريق ، وبعد غروب الشمس أفضينا إلى أرض فسيحة صالحة لطراد الخيل وكنت في « جفر الهباءة » سألت الشيخ سويعد عما إذا كان قريباً من تلك الآبار متسع من الأرض خارج الحرة يصلح لكر الخيل وفرها إذ أن حذيفة بن بدر ومن معه

فروا إلى جفر الهباءة بعد معركة دامية انهزمت فيها بنو فزارة بحيلة دبرها قيس بن زهير . ولكن الشيخ سويعد لم يدرك ما أرمي إليه فأشار إلى طريق على حافة الحرة وقال هذا الطريق كان يسلكه حاج العراق قديماً في طريقهم من المدينة إلى مكة .

عند وصولنا إلى خط الزفت كان الظلام قد خيم على المنطقة ففضلنا المبيت .

في الصباح كانت الوجهة مهد الذهب باتجاه الشرق ، ولكن فضلنا الذهاب إلى السوارقية التي تبعد غرباً عشرين كيلاً ، وكنت حريصاً على زيارة السوارقية لمشاهدة جبل « شواحط » الذي يقول فيه عنترة بن شداد العبسي :

فقلت تبينوا ظعناً أراها   تَحُلُّ شُوَاحطاً جُنْحَ الظلام

وكنت قد وضعت جبل شواحط في الخارطة التي اعددتها جنوب بلدة «السوارقية » بناء على تحديد الاستاذ عاتق غيث البلادي حيث حدد شواحطاً جنوب السوارقية .

وعند وصول البلدة لم أشاهد جبل شواحط جهة الجنوب وبعد السؤال عنه قيل : إن جبل شواحط على يسار الطريق الذاهب إلى المهد أي شرقاً من السوارقية .

في عودتنا من السوارقية قاصدين المهد وبعد عشرين كيلاً شاهدنا جبل « شواحط » على جانب الطريق وكان مبيتنا البارحة في سفحه وقد أصبحنا نجهد رواحلنا بحثاً عنه ، (أنظر صورة شواحط رقم ٦) . وهو يقع على خط العرض ٣٦ً ١٦َ ٢٣ وخط الطول ٠٦ً ٢٨َ ٤٠ وبعد أن جاوزنا شواحطاً هبطنا منخفضاً من الأرض هو وادي « بيضان » يقطع خط الزفت إلى قاع السوارقية .

وعلى بعد عشرة أكيال من جبل شواحط شاهدنا جبل « رمرم » على

رقم (٦)

منظر : جبل « شواحط » من جهة الجنوب يقع شرق السوارقية على بعد ٢٠ كم .

يسار الطريق يسيل وادي بيضان بينه وبين جبل شواحط . وجبل شواحط يبعد عن المهد غرباً تسعة وأربعين كيلاً . (انظر صورة جبل رمرم – صورة رقم – ٧ –)

رقم (٧)

منظر : جبل « رمرم » الواقع غرب مهد الذهب ويمر « وادي بيضان » بينه وبين جبل شواحط .

الاتجاه إلى « هضب القليب »

بعد وصولنا إلى مهد الذهب والتزود بالوقود وسؤالنا عن الطريق المؤدي إلى « هضب الدياحين » واصلنا سيرنا متجهين شرقاً مع طريق ترابي وعندما جاوزنا جبال المهد شاهدنا « هضب الدياحين » بهضباته الحمراء المتميزة ، وفي طريقنا إليه قطعنا وادي « خرجا » ومن ثم وادي « العرج » المشهور .

كنا نتصور وجود قرية حول الهضب ولكن لم نجد سوى بعض الصنادق في غربيه وفي وسطه ، وفي غار كبير كونه الله سبحانه وتعالى في صخرة كبيرة في سفح الهضبة الشمالية من هضب الدياحين ويسميها أهله «الدمخا » حطينا الرحال . (انظر إلى صورة « هضب الدياحين » رقم-٨-) .

رقم (٨)

منظر : الجانب الغربي من « هضب القليب » المسمى « هضب الدياحين » .

ورغم حرارة الجو لم نستطع البقاء أمام إغراء هذا الهضب الجميل

بهضباته الحمراء الشامخة ورماله الحمراء الذهبية ، حيث هب البعض منا للتجول في شعاب هذا الهضب الكبير للبحث عن أحد السكان عسى أن يعطينا بعض المعلومات التي نفتقر إليها ، وفي دارة من دارات الهضب وجدنا رجلاً وبعد السلام عليه ألقينا عليه بعض الأسئلة التقليدية ، وعرضنا عليه الذهاب معنا إلى رحالنا فوافق ، وقد زودنا ببعض المعلومات ولكنها غير شافية .

أثناء القيلولة جاء شاب واستظل في الجانب الآخر للصخرة لإصلاح خلل في سيارته ، وبعد التعرف عليه أفادنا أنه يعمل في المدينة وقد جاء لزيارة الأهل ، ولما كان شاباً يافعاً فقد اعتذر عن إفادتنا عما سألناه عنه ، ولكنه أرشدنا إلى عم له جاء للتِّو من زيارته وقال : إنه الرجل الوحيد الذي يمكن أن يفيدكم ، وكنا قد شاهدنا منزله في جولتنا حيث يسكن بجوار صفاة كبيرة ملساء وسط « الدارة » .

وبعد صلاة العصر توجهنا لمكان نزول العم / مسعود بن عيد ، وبعد السلام عليه قام لإحضار القهوة العربية ولكننا اعتذرنا لعدم اتساع الوقت ، وابتدرته بأسئلتي المتلاحقة وكان الرجل يبدو عليه رغم كبر سنه المرح وسعة الصدر مما طمأن على أنه سيتحمل أسئلتنا .

سألناه عن « هضب الدياحين » فقال أنتم الآن في وسطه والمكان الذي نحن جالسون فيه يسمى « الدارة » وهذه الصفاة تسمى « صفاة الدارة » ولما سألناه عن « هضب القتاد » أشار إلى ناحية الهضب الشرقية فقال : هذا يسمى « قتاد » لوجود « رس » فيه يسمى « أبو قتاد » .

سألناه عما اذا كان يوجد في وسط الهضب شعب فيه قليب قديمة ؟

فأجاب بقوله : الآبار في وسط الهضب كثيرة ولكنها دفنت نظراً لأن ماءها تسبب في موت البهائم وضر على الناس . وكنا قد شاهدنا بعض تلك الآبار في الشعاب داخل الهضب في جولتنا وقت الظهيرة ، كما

شاهدنا السدود الترابية العالية التي أقيمت لحجز السيول .

ونظراً لأهمية السؤال عن القليب قلت له : القليب التي نسألك عنها «هلالية » لا يعرف من حفرها - البادية تطلق على كل شيء قديم هلالي نسبة إلى بني هلال - فكأنما ذكرته بشيء نسيه فقال : في وسط الهضب بئر قديمة ولكنها الآن مدفونة لا يعرف مكانها إلا من شاهدها ويعرفها في السابق وأظنها التي تسألون عنها ، وأنا أعرف مكانها ، ولما طلبنا منه وصف الطريق إليها قال : لن تجدوها ، ولكن هل سيارتكم جيدة لأن الأرض هناك رملية فقلنا بحول الله جيدة . فقال : إذاً أذهب معكم لأدلكم عليها .

في منتصف أحد الشعاب في وسط الهضب أوقفنا وأرانا مكاناً منخفضاً وقال هذه هي القليب وقد أدركتها في شبابي والناس يرتوون منها ، وهي بئر كبيرة لها ثلاث فتحات في أسفلها .

وسألناه عن اسمها فقال تسمى « أبو ركب » وسبب التسمية أن بداخلها صخور كبيرة بارزة شبهوها بالركب .

ولم يبق من معالم تلك القليب سوى انخفاض مكانها وسط الشعب ووجود بعض الحجارة حولها .

إذاً هذه هي القليب التي سمي بها هذا الهضب .

إن الجزم بأن تلك القليب هي ما نبحث عنه أمر من الصعوبة بمكان ، صحيح أنها واقعة في منتصف الشعب الذي قد نطلق عليه بعد التحقق من هذه القليب « شعب الحيس » ولكن هذا القول يحتاج إلى دليل يقويه ويعضده .

فسألناه عما إذا كان حول تلك القليب نقيرة في الصخر يجتمع فيها ماء المطر - وقدقصدنا النقيرة التي ملئت ماء ليشرب منها الفرس التي تسبق عندما جرى السباق . عند إلقاء هذا السؤال عليه ضحك وقال : نعم هناك

وأشار بيده إلى أعلى « الشقب » يجتمع فيه ماء المطر ويشرب منه الناس لعدة شهور .

ورغم كبر سن الرجل أخذ بيدي يجرني إلى أعلى فوق صخر أملس فاوقفنا على شق في الصخر مستطيل الشكل مقسوم إلى قسمين ولكنه مدفون بالرمال ، فقال هذا الشقب عميق جداً ولكنه الآن مدفون لأن الناس فى الوقت الحاضر استغنوا عنه وأصبحوا يجلبون الماء بواسطة السيارات (انظر إلى صورة الشقب رقم ٩) .

رقم (٩)

منظر : « الشقب » الواقع في وسط إحدى التلاع التي يسيل منها « شعب الحيس » .

بعد وقوفي على هذا الشقب وجدت أن من الصعب إطلاق مسمى «النقيرة » عليه لكونه مستطيل الشكل وكبير جداً ، ثم إنه يصعب على الخيل القادمة من سباق مُضْنٍ أن تصعد إلى هذا العلو .

سردنا على العم مسعود قصة داحس والغبراء وما جرى بين عبس وذبيان عسى أن تذكره تلك القصص بشيء يفيدنا ، ولكنه ما كاد يسمع اسم عنترة بن شداد حتى انبرى يحدثنا عن بطولاته ، وأنه كان يجول

ويصول بين « الموقعة » و « السوارقية » وخلط الرجل الحقيقة بالخيال ، ثم أشار إلى تجويفات كبيرة ملفتة للنظر في صخور الجبل الملساء وقال : كان عنترة يجلس هناك ويصيد « البدن » عندما ترد الماء ليلاً – يقصد بالبدن الوعول –

صحيح أن ما يسرده علينا قصصاً من نسج الخيال ولكن مما لاشكّ فيه أن وراء تلك القصص الخيالية طيف من الواقع . ولعل المرء يتساءل كيف بقيت حكايات عنترة بن شداد العبسي في أذهان سكان تلك المنطقة مع ربطها بمواضع محددة ومعروفة لديهم إلا أن يكون هناك جانب من القصص الواقعية طمرتها الحكايات الخرافية على مرور الزمن وتعاقب الأجيال .

الواقع أنني كنت مشغولاً عن سماع كثير مما قاله الشيخ مسعود من تفصيل لتلك الحكايات ، وكان الذي يحاوره ويتجاذب معه أطراف الحديث ابن العم عبد العزيز وكأنه محقق قضائي كلما طلب منه الإفادة عن شيء مهم سرح به في عالم الحكايات الخيالية التي يحفظ منها الشيء الكثير .

الوقت يمر بسرعة والشمس تميل إلى المغيب وسنحت لي فرصة توقف عمنا مسعود عن الحديث فيها فسألته : ألا يوجد في هذا المكان أو قريب منه نقيرة صغيرة يجتمع فيها ماء المطر ؟ .

وكان جوابه على سؤالي هذا أن أخذ بيدي وقادني إلى صخر أملس قريب من الأرض لا يبعد عن المكان الذي كنا فيه سوى أمتار قليلة وأرانا في وسطه حفرة صغيرة مدفونة بالرمل وقال هذه الحفرة هي ما تسأل عنه، وأضاف قائلاً : إِنْشِدْنِي ؟! كانت قبل أن تندفن عميقة وتمتلىء بالماء إذا جاء السيل .

إنها فعلاً نقيرة في حجر وحجمها غير كبير . (انظر صورتها رقم ١٠).

وهذه النقيرة تسيل من التلعة بعد ما يمتلىء « الشقب » وهي أقرب منه

رقم (١٠)

منظر : النقيرة وهي مدفونة بالرمل ويصدق عليها وصف علماء البلدان والمؤرخين بأنها نُقَيْرَةٌ في حجر .

إلى الأرض ولكوني لم أسمع من قبل كلمة « الشقب » فقد تصورت أنها كلمة عامية يستعملها أهل تلك الناحية ولكن بعد الرجوع إلى كتاب « تهذيب الصحاح » الفيته يعرفها بقوله : (الشقب : كالغار أو كالشق في الجبل) .

عندها أدركت أن الذي حفظ لنا لغتنا العربية الفصحى هو : كتاب الله ، وما أثر عن العرب القدماء وأحفادهم الذين لا زالت تحنو عليهم الصحراء بصفائها بعيداً عن التمدن والاختلاط بالأجناس الأخرى .

بعد العثور على النقيرة إلى جانب القليب اطمأن البال فمعنى ذلك أننا الآن واقفون في وسط « شعب الحيس » وهذه هي القليب المسماة « ذات الاصاد » وتلك النقيرة هي « الردهة » التي ملأها القوم ماء لتشرب منها الفرس التي تسبق عندما أجري السباق المشئوم بين داحس والغبراء .

وفي يوم السباق هذا أُطْعِمَ القوم الذين حضروه « حَيْساً » صنعه لهم «حمل بن بدر» في هذا الشعب الذي نحن واقفون فيه فسمي « شعب الحيس» .

إن الجزم بأن هضب الدياحين هو هضب القليب أمر يترتب عليه تغيير في مفهوم البلدانيين في وقتنا الحاضر حيث حددوا هضب القليب على ضفاف وادي الجريب الواقع شرقاً من هضب الدياحين والمكانان متباعدان الأمر الذي يتطلب التأكد أكثر وخاصة فيما يتعلق بالنقيرة . ورغم أنني خرجت من الزيارة الميدانية الأولى للموقع بنتيجة واضحة إلا أنه حرصاً مني في التثبت وخاصة فيما يتعلق بالردهة التي تكلمت عنها النصوص القديمة .

ورغم أن العم مسعود أرشدنا إليها وأكد لي بأنها عميقة ويجتمع فيها ماء المطر إلا أنه بعد عودتي من الرحلة الأولى خالجني الشك في عمقها .

ولما كانت هذه النقيرة من أهم عناصر البحث وعلماء البلدان قديماً وحديثاً ركزوا عليها فقد أزمعت شد الرحال مرة أخرى إلى المكان للقيام بحفرها والتأكد من عمقها .

وقد ذكرت في نهاية كلامي عن الرحلة الأولى أن الشيخ مسعود عندما أرشدنا إلى هذه النقيرة كانت الشمس تميل إلى المغيب الأمر الذي حال بيني وبين حفرها آنذاك .

ولما كان أحد أعضاء الرحلة الأولى وهو « أبو غيث » من المتابعين لمراحل هذا البحث فقد أبدى استعداده مشكوراً لمرافقتي ، وانضم إلينا عضو ثالث هو شيخنا « أبو عبد الله » .

وفي صبيحة يوم الاثنين الموافق : الثلاثين من شهر رجب ١٤١٢ هـ . حطينا رحالنا في وسط « شعب الحيس » بجوار النقيرة ، ومن حسن الحظ أن هذا الشعب قد سال قبل ثلاثة أيام من وصولنا إليه فوجدنا « الشقب » ملىء بالمياه (انظر إلى الصورة رقم ١١) .

رقم (١١)

منظر : « الشقب » وهو مليء بماء المطر .

أما نقـــيرتنا فملـــيئة بالرمـــل الأحمـــر المشـــبع بالماء . (انظـــر إلى صورتها قبل الحفر رقم ١٢) .

رقم (١٢)

منظر : النقيرة ، وتبدو وهي مليئة بالرمل الأحمر المشبع بماء المطر وذلك قبل حفرها .

وبعد أخذ قسط من الراحة شمرنا عن السواعد وحفرنا النقيرة ، وبعد الانتهاء من إزالة ما فيها من أتربة تبين أن عمقها متر ونصف ، وسعة فوهتها متر واحد تقريباً .

وهذه النقيرة خلقها الله سبحانه في حجر أملس انظر إلى صورتها بعد الحفر الصورة رقم ١٣) . وهى تبعد عن القليب التي سمي الهضب بها بمقدار (٨٠) متراً فقط علماً بأن القليب « ذات الاصاد » الواقعة في وسط الوادي تقع على خط العرض ٥٠ً ٣٢َ ٢٣ ، وخط الطول ٥٤ً ٠٩َ ٤١ .

ولما كان من أوصاف هضب القليب ما ورد في النص السابق المتضمن: (أن معدن الضبيب عن يسار هضب القليب) فقد حرصت على زيارة

رقم (١٣)

منظر : « النقيرة » بعد حفرها وإزالة ما فيها من رمل وماء .

هذا المعدن القديم واسمه فيما تبين لي في وقتنا الحاضر « أم الدمار» ويقع في الجهة الشمالية من السمار الواقع بين هضب الشرار « شرورى قديماً » وهضب الدياحين « هضب القليب قديماً » والهضبان غير بعيدين عن بعضهما .

وقد اهتدينا إلى هذا المعدن بعد السؤال عن مكانه من البدو القاطنين في تلك الناحية .

وقد شاهدنا آثار الحفر العميقة المنتشرة في الموقع حيث لازالت باقية وواضحة المعالم رغم تعاقب السنين عليها .

وهذا المعدن القديم يقع على خط العرض ٢٧ ٣٩ ٢٣ ، وخط الطول ٣٢ ٠٣ ٤١ .

(عودة إلى رأي كل من الشيخين محمد بن بليهد ، وسعد بن جنيدل)

١ - تبين لي من خلال الزيارة الميدانية والوقوف على كل من « هضب الدياحين » و « هضب القتاد » أنهما هضب واحد ذو قسمين شرقي ، وغربي :

القسم الشرقي يطلق عليه الآن « هضب قتاد »

والقسم الغربي يطلق عليه « هضب الدياحين »

وهذان الهضبان متصلان من الناحية الجنوبية لا يفصلهما فاصل الأمر الذي شكل بينهما « دارة » لارتباط أحدهما بالآخر .

والشيخ محمد بن بليهد رحمه الله تعالى ابعد بنا كثيراً عندما سمى هضب الشرار بهضب القليب ولكنه قربنا أكثر عندما سماه مرة : هضب الدياحين ومرة هضب القتاد .

وهل سبب زيارتنا لهضب الدياحين لمعرفة ما إذا كان هو هضب القليب أم لا . إلا نتيجة لتحديده رحمه الله .

فرحمك الله أبا عبد الله فقد كنت دقيقاً في تَحَرّيك للمواضع وكنت رائداً في هذا المجال في عصرنا الحاضر .

٢ – طخفة ليست هضب القليب :

سبق أن مر بنا تحديد موقع « طخفة » حيث وصفها لنا « مؤلف معجم عالية نجد » بقوله :

إنها هضاب حمر كبار تقع غرب هضاب شعب العسيبيات ...

وذكر أنه لم يرد لها ذكر بهذا الاسم في كتب التاريخ ، وبدا له أن هذه الهضاب هى « هضب القليب » ، وأن تسميتها محدثة .

وأوضح في نهاية كلامه ما نصه : (إن هناك ماء عذب قديم قريب من طخفة « هضب القليب » في ناحيتها الشرقية ماؤه في هذا العهد ضحل ، ويبدو لي أنه هو الماء المعروف قديماً باسم : ذات الاصاد) انتهى .

أقول : إن هضبة طخفة لا تسعفنا بأن نطلق عليها اسم « هضب القليب» لأمور منها :

أ – لا ينطبق عليها وصفها بأنها هضاب حمر كبار . لأنها في حقيقة الأمر عبارة عن هضبتين كبيرتين إحداهما شمالية والأخرى جنوبية . وسكان المنطقة يسمون الجنوبية طخفة الشهباء ، والشمالية طخفة الحمراء وصاحبتنا هى الشمالية والشهرة لها .

ب – الماء الذي أشار إليه المؤلف قريب من طخفة في ناحيتها الشرقية ، وبدا له أنه هو الماء المعروف قديماً باسم « ذات الاصاد » .

أقول : إن علماء البلدان في المراجع القديمة ذكروا أن ذات الاصاد وسط «هضب القليب » وليست حوله . فلذا لا يصدق على الماء المشار إليه هذا الوصف .

ثم إن هضب القليب يتخلله شعاب كثيرة ، وطخفة لا يوجد بها شعاب في وسطها بل هى هضبة صماء .

ج – أما القول : بأنه لم يرد لطخفة ذكر في كتب التاريخ وأن تسميتها

طخفة تسمية حديثة . أقول : إن هضبة طخفة هذه جاء لها ذكر في الشعر الجاهلي فقد ذكر ابو علي الهجري في كتاب « ابو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » بقلم الشيخ حمد الجاسر ما نصه :

(وأنشد لجحيفة الضبابية من قصيدة – وقد اوعدها زوجها إن قالت بيتاً أن يقتلها :

دعوني وأبياتاً أقلهن ويحكم ... وإن جمعت حرباً سُلَيْمٌ وعامر
نعم أنا عن هضب القليب وَجُزْجُزٍ ... وعن طخفة الشماء لابد نافر [1]

عند قراءتي لهذين البيتين لم يخالجني شك في أن مسمى طخفة قديم وليس مستحدثاً ، وبالتالي فهي ليست « هضب القليب » لا سيما وأن الشاعرة ذكرت هضب القليب في البيت نفسه .

وحيث أنه لم يسبق لي مشاهدة هضبة « طخفة » من قبل ، والشاعرة تعني بلا شك طخفة وادي الجريب « الجرير » وليست هضبة طخفة الواقعة شرق بلدة ضرية فالأخيرة أشهر من أن تعرف .

فقد سألت عن طخفة مدار بحثنا بعض الإخوة الذين زاروا المنطقة التي تقع فيها ، وهم مجموعة من رجال التعليم – بإدارة منطقة الطائف التعليمية – تربطني ببعضهم صلة القرابة وبالبعض الآخر الصداقة ، وهذه المجموعة ممن شغفوا بمرابع عالية نجد عندما يحل فصل الربيع ، وقد زاروها أكثر من مرة ، وكنت أشارك تلك المجموعة في رحلاتهم السنوية إلا أنني لم أكن معهم عندما ذهبوا إلى تلك المنطقة بالذات . وعندما سألتهم عما إذا كانت هضبة طخفة « شماء » أي عالية ؟ أفادوني بأنها ليست عالية ، وأن بعض الهضاب في تلك الناحية أعلى منها . وقد تطوع أحد أفراد تلك المجموعة فقال :

إنني أعتبر هضبة طخفة رابضة إذا ما قيست بهضبتي « العسيبيات » – الشموسين قديماً – الواقعتين عنها شرقاً غير بعيد ، ألم تقرأ قول العامري؟

---

(١) : ص ٢٢٤

متى أنج من شعب الشموسين لم أعد إليــه وإن مَنَّيْتُمانِي الأمــــانيا
فلست أرى شمـساً إذا هـي مَيَّلَتْ ولا قمـراً حتــــى يتم ثمــانيا

وأردف قائلاً : أما الهضبة التي تسأل عنها فإن باستطاعتك أن ترى القمر بعد ثلاث ليال وأنت في سفحها وعلى هذا فقس ارتفاعها . وقد شكرت له هذه الزيادة المفيدة .

على ضوء ذلك أصبحت أحلل بيتي جُحَيْفَةَ الضبابية وأسائل نفسي :

إذا كانت هذه الهضبة المسماة طخفة ليست « شماء » فلاشك أن الشاعرة تقصد هضبة أخرى ولكن ياترى ! أين تقع هذه الطخفة الشماء ؟!

هذا ما جعلني أبحث عن هضبة اسمها طخفة ينطبق عليها هذا الوصف، وأثناء قراءتي في المصدر نفسه « أبو علي الهجري وأبحاثه » عثرت في القسم الأول على أبيات جحيفة الضبابية ولكن كلمة الشماء هنا تختلف عنها في القسم الثاني حيث ورد وصف الشاعرة هذه المرة لطخفة مغاير لما في القسم الثاني حيث وصف طخفة بأنها « شيماء » وليست شماء » ونص البيت في القسم الأول هكذا :

نعم أنا عن هضب القليب وجزجز وعن طخفة الشيماء لابد نافر [1]

عند ذلك رجحت أن ما جاء في القسم الأول من الكتاب هو الأصح . ولكن هل يقبل مني هذا القول جزافاً ؟

ولكي لا يكون هذا الترجيح مبنياً على الظن والتخمين فقد قررت زيارة شيخنا حمد الجاسر مؤلف هذا الكتاب الصغير في حجمه الكبير بفائدته لعلي أظفر منه بالاطلاع على مخطوطة الكتاب لكي اتحقق من أي الوصفين قصدت الشاعرة وعند مقابلة الشيخ حمد وشرح الموضوع له ودون أن أطلب منه الاطلاع على المخطوطة أحضرها مشكوراً ، وساعد على إستظهارالكلمة المطلوبة لأن المخطوطة ليست واضحة ، وبواسطة المكبر وبمساعدة طرف ثالث أقوى مني نظراً رجح بأن الكلمة أقرب إلى «الشيماء » نظراً لوجود نبرة الياء .

---

(١) ص ١٥٠

وقد استفدت من زيارتي هذه كثيراً من التوجيهات القيمة من الشيخ حمد الجاسر جزاه الله عني أحسن الجزاء .

بعد الاطلاع على المخطوطة ترجح عندي أن الشاعرة قصدت « طخفة » مدار بحثنا ، وأنها لابد أن تكون « شيماء » وليست شماء .

ولما كنت سبق أن قرأت عن « قلة الشيماء » التي حدثنا عنها « الهجري» رحمه الله الواقعة في هضب الأشيق وعلل سبب تسميتها أن في عرضها سواداً .

وقد شاهدت قلة الشيماء الواقعة في غربي هضاب « المخامر » –الأشيق قديماً – ولاحظت وجود البقعة السوداء قرب قمتها (انظر صورتها رقم–١٤–) وهي قريبة من انف سواج الجنوبي يمر طريق حاج البصرة

رقم (١٤)

منظر : « هضبة الشيماء » ويبدو قرب رأسها شامة سوداء . تسمى في وقتنا الحاضر « الدودية »

قديماً بينهما وهناك فيما بين الشيماء وجبل سواج واد يقع فيه متعشى الحاج عندما يصدرون من « إِمَّرَةَ » ويسمى « الرائغة » لازالت آثاره ظاهرة المعالم .

كل هذا جعلني أميل إلى أن في طخفة التي أتحرى عنها سواداً الأمر الذي أعطاها هذا الوصف المتميز .

وفي الربيع الماضي كانت تلك المجموعة المباركة في عودة من رحلة ربيعية ،وكنت هذه المرة أحد أعضائها فطلبت منهم المرور على هضبة طخفة لأتحقق من شامتها التي وصفتها بها جحيفة ، وعندما أقبلت على تلك الهضبة من الناحية الشرقية رأيت بقعتين سوداوين في عرضها يراها الناظر من بعد . عندها تيقنت أن تلك الهضبة هى « طخفة الشيماء » وليست « هضب القليب » ، وأن اسمها قديم وليس مستحدثاً (انظر صورتي طخفة رقم ١٥ ورقم ١٦) والطخف الموجود بتلك الهضبة الذي ميزت به موجود في وجهتها الشرقية كما في المنظر (١٥) وفي جهتها الغربية كما في المنظر (١٦)

رقم (١٥)

منظر : هضبة « طخفة الشيماء » وتبدو بقع السواد واضحة في عرضها

رقم (١٦)
منظر : هضبة طخفة الشيماء من الغرب وترى بقع السواد فيها كما هو موجود في جهتها الشرقية .

مدى انطباق النصوص القديمة على هضب القليب « هضب الدياحين »

أي باحث منصف لن يجد نفسه مجبراً على تطويع أي نص من النصوص التي وردت في كتب معاجم البلدان القديمة فهى في مجملها تنطبق تمام الانطباق على هضبنا الذي نتكلم عنه ويعضد ذلك ما قاله المؤرخون في مؤلفاتهم حينما كتبوا عن أيام داحس والغبراء وذكروا المواضع التي جرت فيها المعارك بين عبس وذبيان حول هذا الهضب وما جاوره من أماكن متفرقة .

ولو ألقى بعض الباحثين نظرة فاحصة على ما أوردته الروايات التاريخية حول تلك المعارك لزالت من أذهان البعض منهم علامات الاستغراب والتعجب اذ أن البعض منهم عندما يقرأ في مرجع من المراجع الجغرافية القديمة أن يوماً من أيام داحس والغبراء حدث في موضع يقرب كثيراً من

حدود الحجاز والمدينة المنورة يحاول أن يجد تعليلاً آخر لتلك النصوص .

فمثلاً : عندما ذكرت تلك المراجع الجغرافية أن « جفر الهباءة » في وادي بيضان استغرب أحد الباحثين وقال : إن أحداث داحس والغبراء وقعت في نجد ، ووادي بيضان في شرقي الحجاز .

وباحث آخر عندما قرأ بيت عنترة بن شداد :

فقلت تبينوا ظعناً أراهـا   تحـل شواحطاً جنح الظلام

قال ما معناه : قد يكون عنترة قصد شواحطاً غير هذا -- أي غيرشواحط الواقع قرب وادي بيضان - إلا أن يكون عنترة جاءه محارباً .(١)

وكأنه هو الآخر يريد أن يقول : إن احداث داحس والغبراء وقعت كلها بعيداً عن تـلك المنـاطق .

وباحث ثالث حصر جميع المواضع التي حصلت فيها أيام داحس والغبراء بما فيها (هضب القليب » حصرها جميعاً في منطقة القصيم .،،

وهذا القول الأخير هو ما تعجبت له كثيراً وتساءلت مع نفسي أين المهتمون بجغرافية الجزيرة العربية وتاريخها ؟ بل أين أساتذة الجامعات وطلاب أقسام الجغرافيا والتاريخ عن مراقبة ما تفرزه المطابع من كتب ترص فوق رفوف مكتباتنا العامة لم يراع مؤلفوها الدقة فيما يكتبـون إذ مـع مـرور الزمن تصبح من ضمن المراجع في هذا المجال وينقل عنها خاصة وأن مؤلفيها من أبناء تلك الجزيرة إلا أن يكون التعقيب عليها تم في حينه ولم أقراه فعسى أن يكون الأمر كذلك .

أما الاستاذ / حسن بن عبد الله القرشي فقد ذكر في كتابه « فارس بن عبس » وهو يحدد ديار عبس ومنازلهم :

(وإذاً فمنازلهم هى ديار القصيم ونواحيه ، ويجاورهم شمالاً وغرباً بنو أسد وشرقاً بنو تميم وجنوباً بعض قبائل قيس عيلان من غني وبني عامر وغيرهم قال زيد الخيل الطائي :

---

(١) كتاب علي ربى نجد / عاتق البلادي ص ٢١٥

ونحن الجالبون سباء عبس إلى الجبلين من أرض القصيم

ولاشك أن من الاشكال واللبس الذي يعترض الباحث حينما يحاول تحديد منازل بني عبس أنه يجد في شعر عنترة أسماء مواضع كثيرة ومتعددة خارجة من هذا التحديد .

فيجد فيه « الشَّرَبَّةَ » ... وهذه هى الأرض الواقعة بين وادي الجريب والرمة ...

وهذا في الحقيقة قرب بلاد بني عبس التي حاولنا تحقيقها وتحديدها ، وليس ببعيد أن تكون منازلهم قبل انحدارهم إلى القصيم حينما كانوا مخالطين لقبيلتهم غطفان ومجاورين لها .

ولكن هناك مواضع أخرى كثيرة بعيدة جداً عن هذه الجهات ، ويزيل الاشكال أمور ثلاثة هى :

- الأمور الثلاثة باختصار :-

أولاً : إن شعر عنترة كغيره من شعراء الجاهليين - دخله كثير من الشعر الموضوع ولهذا فلا يمكن الجزم بأن كل المواضع المذكورة فيه هى من بلاد بني عبس .

ثانياً : إن الشاعر كثيراً ما يورد في شعره أسماء مواضع بعيدة عن بلاده بل كثيراً ما جمع بين موضعين ، أحدهما في الشرق والآخر في الغرب في بيت واحد كـ (الدخول وحومل) في قول امرىء القيس .

ثالثاً : إن تلك المواضع قريبة من منازل بني عبس في العهد القديم ، ومؤلفو معجمات الأمكنة يخبطون خبطاً حينما يريدون تحديد منازل القبائل لأنهم غالباً ما يعولون على كلام الشعراء .

فنجدهم مثلاً يعدون من منازل عبس مواضع في الحجاز ويعدون من منازلهم أمكنة أخرى في شرق نجد فيقع الباحث بهذا في بيداء لا طرف لها ولا صُوًى يهتدي بها حينما يعوزه البحث) إنتهى ما قاله باختصار . (١)

(١) كتاب فارس بني عبس ص ص ٣٠ - ٣١

ولي تعليق حول ما أورد شاعرنا القرشي إذ أنه يقول هذا القول وهو يكتب لنا عن سيرة شاعر بني عبس وهو « عنترة بن شداد » والشعراء بينهم تقارب في فهم بعضهم البعض لعلاقة النسب في القوافي . ولكن عندما يتعدى الأمر إلى تحديد المواضع والديار فقد يجد مثلي مدخلاً للتطفل بالحديث والمشاركة .

فالاستاذ حسن حدد لنا ديار بني عبس كما حددها الكثيرون غيره ولكنه وقف وقفة هى في محلها .

عندما لاحظ أن عنترة أورد ذكر « الشَّرَبَّةِ » فاعتبرها المؤلف قرب بلاد بني عبس فقط ، ولكنه احتاط للأمر فقال : (وليس ببعيد أن يكون من منازلهم قبل إنحدارهم إلى القصيم حينما كانوا مخالطين لقبيلتهم غطفان ومجاورين لها) .

وحيال ذلك أقول : إن هذا الاحتياط جاء في مكانه وفيما يبدو لي أن هذا ليس بعيداً ولكنه قريب كل القرب من الصواب .

إذا كنا نقول مثل هذا القول فلماذا لا نتأكد من منازل بني عبس فيأيامهم الأولى . وذلك بالرجوع إلى مجريات الأحداث التي مرت بهم في كتب التاريخ حتى نسلم من التخمين والتعليلات التي تجانب الصواب أحياناً .

فقد أشكل على المؤلف كما أشكل على غيره ورود اسماء مواضع في شعر عنترة وغيره ذكرت بعيدة عن بلاد بني عبس التي استقر لدى البلدانيين في عصرنا الحاضر تحديدها فنجد المؤلف يقول : (ولكن هناك مواضع أخرى كثيرة بعيدة جداً عن هذه الجهات ويزيل هذا الاشكال أمور ثلاثة هى :

فأورد الأمور الثلاثة المتقدمة – إلى أن قال :

(فتجدهم مثلاً يعدون من منازل بني عبس مواضع في الحجاز ، ويعدون من منازلهم أمكنة أخرى في شرق نجد . الخ)

وكما قلت سابقاً فلو أمعنا النظر جيداً في المراجع القديمة وخاصة كتب التاريخ لم يتولد عندنا اشكال بحيث لا يكون هناك ضرورة لسرد مثل تلك الاشكالات .

على أن لي ملاحظة حول ما ورد في الاشكال الثاني : وهو قول المؤلف عندما حدد لنا جبل « حومل » الوارد في شعر امرىء القيس حيث نقل المؤلف هذا الجبل من مكانه الصحيح الذي حدده لنا امرؤ القيس إلى مكان يبعد مئات الأكيال شرقاً . علماً بأن جبل حومل لا يبعد عن « الدخول » بأكثر من عشرين كيلاً وسقط اللوى واقع بينهما . وليس هذا محل الكلام عن الدخول وحومل .

ولعلي وبايجاز ألقي بعض الضوء على مرابع بني عبس قبل رحيلهم عن قومهم بني غطفان لعل هذا الضوء ينير الطريق أمام أحد الباحثين فيحدد لنا مساكنهم قبل رحيلهم إلى شرق ووسط وشمال الجزيرة العربية فأقول :

١ – من زعماء بني عبس في الحقبة التي نتكلم عنها قيس بن زهير العبسي . فياترى أين كان يسكن مع قومه أيام داحس والغبراء ؟ هل كان يسكن في منطقة القصيم ؟ لا أظن الأمر كذلك فجميع الوقائع توحي أنه كان يسكن في عالية نجد المتاخمة للحجاز فهذا أبوه زهير بن جذيمة العبسي قتله بنوعامر عند « النفراوات » ومعروف أن النفراوات قريبة من منطقة الحجاز ، وأمه تماضر قتلها حذيفة بن بدر في يوم « ذي حُسىً » وذو حُسىً موضع في وسط « الشربة » قريباً من الربذة . وسأبين لاحقاً

أن كثيراً من المواضع التي خاض فيها بنو عبس معاركهم مع بني ذبيان واقعة في أرض « الشربة » أو على مشارف الحجاز الأمر الذي لن نحتاج معه إلى إثارة أي إشكال .

٢ – بعد وقعة « جفر الهباءة » الواقعة قريباً من الحجاز رحل بنو عبس عن قومهم واتجهوا إلى أواسط نجد وإلى هجر في المنطقة الشرقية وخاضوا هناك معاركهم المشهورة التي يطول الكلام لو تطرقنا إليها ومنها « يوم جبلة » في وسط نجد ، و« يوم الفروق » قرب هجر في المنطقة الشرقية كل هذا قبل أن يستقروا في منطقة القصيم وما حولها شمالاً .

٣ – البكري رحمه الله تعالى أورد نصاً قال فيه : (وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانين والنقرة وما وان والربذة هذه منازلهم.) ومعروف أن الربذة واقعة في وسط « الشربة » .

ومتى أدرك أي باحث هذا فلن يقع كما قال المؤلف : (في بيداء لا طرف لها ولا صوًى يهتدي بها حينما يعوزه البحث .)

واتماماً للفائدة وتقريباً للقارىء رأيت من المناسب حصر بعض الحوادث ، وتسلسل وقوعها ، والمواضع التي حدثت فيها وذلك من واقع المصادر التاريخية الموثوقة .

إذ أنني لاحظت أن بعض الباحثين يركزون في تحقيق المواضع على ما تذكره معاجم البلدان ، وعلى مسميات تلك المواضع الحديثة ، وما قيل فيها من الشعر النبطي أو العربي ، وكثيراً ما يغفلون الرجوع إلى كتب التاريخ ، ومعاجم اللغة . وفي نظري أنه متى اجتمعت تلك المصادر وتم حصر ما ورد فيها وقام الباحث بالتحليل والمقارنة فإنه بلاشك سيصل إلى تحديد الغرض الذي يسعى إليه أما إذا غاب أي عنصر من هذه العناصر

فقد يكون الباحث عرضة للوقوع في الخطأ .

على أن الباحث يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الحيطة والحذر الشديدين عند الرجوع إلى الروايات لما داخل تلك الروايات من الحوادث المصطنعة التي نسجها خيال القصاص والتي أصبحت في فترة من الفترات تملأ المكتبات عندنا فاستساغها الناس فسببت للكثيرين خلط الحقيقة بالخيال وإن كانت إلى الخيال أقرب .

وقد حاولت مجتهداً أن أوجز تسلسل أحداث « داحس والغبراء » وذلك بمقارنة ما ورد في بعض المراجع التاريخية في الجدول التالي :

مجال المقارنة / أسم المرجع والمؤلف	الكامل في التاريخ لابن الأثير	العقد الفريد لابن عبد ربه	النقائض لأبي عبيد معمر بن المثنى	كتاب الخيل لعبدالله بن محمد الكلبي	خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي	مجمع الأمثال للميداني
الخيل المتسابقة	داحس والغبراء: لقيس والحنفاء والخاطر : لحذيفة	داحس : فحلاً لقيس الغبراء : حجراً لحمل بن بدر	داحس والغبراء: لقيس والحنفاء والخاطر : لحذيفة	داحس : لقيس الغبراء : لحمل بن بدر	داحس : لقيس الغبراء : لحذيفة	داحس : لقيس الغبراء : لحذيفة
ميدان السباق رأس الميدان ـ الغاية	من أُبْلَى إلى ذات الاصاد	——	من ذات الاصاد، وزعم من واردات إلي ذات الاصاد	ذات الاصاد من أرض فزارة	من ذات الاصاد «ردهة» ليس له اسم	الغاية ذات الاصاد الطرف ليس له اسم
مسافة السباق	١٢٠ غلوة	١٠٠ غلوة	١٠٠ غلوة	١٠٠ غلوة	١٠٠ غلوة	١٠٠ غلوة
الرهان المتواضع عليه	١٠٠ بعير	١٠٠ بعير	١٠٠ بعير	١٠٠ بعير	١٠٠ بعير	١٠٠ بعير
مدة التضمير	——	٤٠ ليلة	٤٠ ليلة	٤٠ ليلة	٤٠ ليلة	٤٠ ليلة
مكان الكمين لداحس ومن نظمه	وادي ذات الاصاد رجل من بني أسد	شعاب في طرف الغاية فتيـــان	في الثنية بنو فزارة	شعاب في طرف الغاية فتيان	شعب من شعاب هضب القليب فتيان	شعب من شعاب هضب القليب فتيان
مكان قيس وحذيفة عند السباق	على رأس الغاية	—	عند المدى الذي أرسلت منه الخيل	في طرف الغاية	——	لم يوضح
أول قتيل بعد السباق	ندبة بن بدر	مالك بن حذيفة	عوف بن بدر	مالك بن حذيفة	إبن حذيفة	ابن حذيفة ابا قرفة
أول يوم من أيامهم	العذق : سبقه غاره	المريقب : من أرض الشربة	المنقة	——	تحاربوا مراراً	يوم ذي المريقب
مناوشات ومعارك	أخرها يوم العقيقة اعقبه صلح ودفع رهائن	يوم ذي حُسَيً «وادي الصفاء»	—— ——	—— ——	—— ——	يوم ذي حسى
مكان قتل حذيفة للرهائن	——	«اليعمرية»	«اليعمرية»	——	——	يوم اليعمرية
أحداث مابعد قتل الرهائن	قرب : وفي جفر الهباءة	يوم اليعمرية ثم جنب، وفي جفر الهباءة	بالخاثرة من جنب ذي بقر ثم ظهر المنقة ثم الهباءة	—— ——	جفر الهباءة	جفر الهباءة
أيام بني عبس بعد رحيلهم إثر حادثة جفر الهباءة	يوم ذات الجراجر يوم الفروق يوم عراعر ثم الصلح	يوم الفروق يوم قطن يوم غدير قلهى ثم الصلح	يوم عراعر يوم الفروق يوم جبلة !! مع بني تغلب ثم الصلح	—— —— —— —— ——	—— —— —— —— ——	يوم الفروق حوادث ثم يوم جبلة يوم شعواء يوم شواحط إلخ

المواضع الواردة في الروايات التاريخية
ومدى علاقتها بهضب الدياحين بعداً وقرباً

قلت في بداية هذا البحث إن قصة داحس والغبراء لا تعنينا بقدر ما نستظهره منها من مواضع وأحداث تقربنا إلى المكان الذي جرى فيه السباق وهو « هضب القليب » فمن واقع الجدول السابق الذي لخصته بايجاز من بطون المراجع التاريخية التي أوضحتها يمكنني أن أذكر فيمايلي ما أميل إليه من رأي حول سير الاحداث وتسلسل الوقائع حسبما تبين لي من القراءة في المراجع المتخصصة ، ومن مشاهدة المواضع على الطبيعة :

١ – أميل إلى الرأي القائل بأن السباق حصل بين « داحس » فرس لقيس بن زهير ، و« الغبراء » فرس لحمل بن بدر . وهذا ماصح عند ابن هشام من الأقوال التي ذكرها .

ولذا سميت الاحداث التي جرت باسمي هذين الفرسين .

٢ – ميدان السباق : غايته اتفق على أنها ذات الاصاد ، أما رأس الميدان فمنهم من سمى مكان إنطلاق الخيل ومنهم من أغفله ، وقد ورد في تحديد ذلك موضعان : الأول « واردات » والثاني « أُبْلَى » .

وقد حرصت أثناء الزيارة الميدانية أن أحدد هذين الموضعين فلم أجد هناك ما يسمى واردات ولا ما يقرب من هذا الاسم . أما موضع واردات فالمعروف والثابت أنها بعيدة كل البعد عن هضب القليب حيث تقع شرقاً من بلدة « نفي » في وسط نجد . وقرأت رأيا بهذا الصدد يقول : (وذرعوا المسافة فانتهى الذرع إلى موضع ليس له اسم فعرف بواردات نسبة إلى ورود الخيل .) ولعل هذا القول يكفينا عناء البحث عن موضع اسمه واردات مع عدم وجوده في تلك الناحية .

أما الموضع الأول « أبلى » فإن جبال أبلى تقع عن هضب القليب « هضب

الدياحين » حالياً غرباً ، وأبلى قنن عالية متصل بعضها ببعض تمتد إلى مسافات بعيدة .

وفي نهاية الرحلة الميدانية وفي طريق العودة دخلنا إلى مسافة ثلاثة عشر كيلاً في جهتها الجنوبية أي إلى بلدة « الجُرَيْسِيَّة » وفي تلك البلدة سألت أحد كبار السن عن جبال أبلى وحدودها فقال : أنت الآن في طرفها الجنوبي ، وهى تمتد من جبل « الموقعة » شمال مهد الذهب إلى «الهرارة».

ولما كان جبل الموقعة هو طرف أبلى الشرقي فإنه الموالي لهضب القليب والمسافة بينهما عشرين كيلاً تقريباً ، ولا أستبعد أن تكون رواية بن الأثير في تحديده لبداية السباق من « أبلى » هى الأصح .

٣ - أما مسافة السباق : فالروايات متفقة على أنها مائة غلوة من ذات الاصاد إلى رأس الميدان ما عدا رواية ابن الأثير حيث قال إنها مائة وعشرون غلوة .

والغلوة مقدار رمية سَهْم ، وتقدر بثلاثمائة إلى أربعمائة ذرا ع .

والذرا ع : مقياس أشهر انواعه الذرا ع الهاشمية وهى اثنان وثلاثون أصبعاً أو أربعة وستون سنتيمتراً .

يعني أن مسافة السباق إذا قلنا إنها مائة غلوة وإن الغلوة ثلاثمائة ذرا ع تكون المسافة بالأكيال كمايلي :

١٠٠ × ٣٠٠ = ٣٠٠٠٠ ذراعاً .

٣٠٠٠٠ × ٦٤ سم = ١,٩٢٠,٠٠٠ ÷ ١٠٠ = ١٩٢٠٠ ÷ ١٠٠٠ = ١٩ أي أن مسافة السباق تسعة عشر كيلاً تقريباً .

علماً بأني أخذت بأقل تقدير ، وهذا القياس للمسافة بالأكيال للتقريب فقط وهذا مما يوحي بأن السباق جرى من طرف أبلى الشرقي « الموقعة »

إلى وسط هضب القليب « ذات الاصاد » ،، والموقعة .. هى التي تلي هضب القليب من جبال « أبلى » (انظر إلى صورتها رقم ١٧) .

رقم (١٧)

منظر : الجانب الشرقي من جبال « أبلي »
ويظهر يسار الصورة جبل « الموقعة » وهو الموالي لهضب القليب

٤ - الروايات لم تختلف على مقدار الرهان وهو مائة بعير ، كما أنها لم تختلف على مدة التضمير وهى أربعون ليلة .

٥ - أما عن مكان الكمين الذي أعده حذيفة لصد داحس إذا جاء سابقاً كخدعة منه لقيس بن زهير فإن تحديد هذا المكان مهم بالنسبة لبحثنا هذا ، أما عن الذي كمن لصد داحس عن الغاية فلا تهمنا معرفته مع أن الروايات مجتمعة تنص على أنهم فتيان من قوم حذيفة ما عدا رواية ابن الأثير التي نصت على أنه رجل من بني أسد . والروايات مختلفة في تحديد موضع الكمين فرواية تقول : في وادي ذات الاصاد . وأخرى تقول : شعاب في طرف الغاية ، ورواية ثالثة قالت : « في الثنية » وفيما ظهر لي من المشاهدة عن قرب أنه لا فرق بين تلك الأقوال ، إذ أن وادي ذات الاصاد يسيل جهة الغرب ومن كان واقفاً عند ذات الاصاد لا

يشاهد المقبل إليه من جهة الغرب وهناك شعاب كثيرة .

فسواء كمن في الثنية ، أو وسط الوادي فلن يراه أحد سواء في رأس الميدان أو في غايته .

٦ – إن أول قتيل في هذه الفتنة هو ولد حذيفة بن بدر الذي أرسله إلى قيس بن زهير للمطالبة بأداء الرهان الذي تواضعوا عليه وهو مائة من الابل حيث يزعم حذيفة أنه الفائز فكانت هذه الحادثة الفتيل الذي أشعل أوار تلك الحرب ثم أعقب ذلك مقتل مالك بن زهير وهو « باللقاطة » ثم مقتل مالك بن حذيفة يوم المعنقة ، فقيل مَالكٌ بِمَا لِكٍ .

٧ – إن تسلسل الأحداث التي جرت بين الفريقين يصعب ضبطه وقد اختلفت الروايات وتباينت تبايناً واضحاً يلحظه المتتبع لمجريات تلك الأحداث، فحرب استمرت سنوات عديدة لابد أن يتخللها معاهدات وهدنة ثم خرق لتلك المعاهدات وهذا يتبين في الاحتفاظ بالرهائن بين الجانبين ، ولابد من حصول مناوشات وحوادث فردية تتخلل تلك الفترة الطويلة .

وما يهمنا هو ما يتبين لنا من تلك الحوادث من أسماء المواضع التي جرت فيها في تلك المنطقة إلى أن رحل بنو عبس على إثر فعلتهم في جفر الهباءة وهي الفعلة التي أجمعت غطفان عن بكرة أبيها على معاداة بني عبس بسببها .

ومن المواضع التي ظهرت لنا اسماؤها :

١ – العذق – ٢ – المريقب – ٣ – المعنقة – ٤ – العقيقة – ٥ – ذو حُسىً – ٦ – اليعمرية – ٧ – الخاثرة (من جنب ذي بقر) – ٨ – ظهر المعنقة – ٩ – جفر الهباءة .

وهذه المواضع التسعة تهمنا معرفة مواقعها لنرى مدى قربها من هضب القليب أو أنها في أنحاء أخرى من الجزيرة العربية .

أما بالنسبة للمواضع التي خاض فيها بنو عبس أيامهم بعد رحيلهم عن قومهم بعد حادثة جفر الهباءة فمعروفة ، وهى أيام متفرقة حدثت في وسط، وشرق ، وشمال الجزيرة العربية .

(تحديد المواضع التي جرت فيها المعارك بين عبس وذبيان)

من خلال النصوص التي سقناها فيما سبق قيل : إن هضب القليب علم أحمر فيه شعاب كثيرة في أرض « الشَّرَبَّة » .

ولما كانت الشربة واقعة فيما بين خطي وادي الرمة ، ووادي الجريب فإن هضب القليب واقع في هذا التحديد ، وبالتالي فالمواضع التي مرت بنا ودارت فيها المعارك الطاحنة بين الفريقين واقعة ضمن هذا النطاق وسأحاول فيما يلي تحديد تلك المواقع قدر المستطاع :

١ - العذق : لم أعثر على تحديد له ، وهناك موضع اسمه « عَذَقٌ » بناحية الصمان وهذا الموضع بعيد عن تلك الاحداث وربما يكون غير موضعنا الذي نبحث عنه .

٢ - المرُيْقبُ : تصغير مرقب موضع من الشَّرَبَّةِ كانت فيه بعض أيام داحس كان لبني عبس على بني فزارة قال عنترة :

ولقد علمت إذا التقت فرساننا   يوم المريقب أن ظنك أحمق [1]

وفي ديوان عنترة : « بلوى النُّجيْرَةِ » .

وفي رسم النجيرة قال البكري : النجيرة : أرض في ديار بني عبس أو مايليها ثم أورد البيت السابق .

وفي العقد الفريد قال ابن عبد ربه : إن الفريقين بعد يوم المريقب تواعدوا

---

(١) معجم ما استعجم ص ٤ / ١٢٢١

بذي حُسىً وهو وادي الصفا من أرض الشَّرَبَّةِ .

٣ – المُعْنِقَةُ : لم أجد لها تحديدا ولكن البكري أورد « مُعْنِق » وقال عنه بأنه جبل منيف ولم يحدد مكانه وقد تكون المعنقة هذه منسوبة إليه .(١)

٤ – العَقيقةُ : لم أعثر لها على تحديد .

٥ – ذو حُسىً : قال ياقوت : ذو حُساً : واد بأرض الشَّربَّةِ من ديار عبس وغطفان . وقال البكري : ذو حُساً : موضع في بلاد بني مرة . (٢)

وقال في موضع آخر « ذو حُساً » بضم أوله مقصور : موضع في ديار بني مرة .... وفيه كانت الحرب آخر أيام داحس ، وهو موضع بالعالية في أرض غطفان ... وفي بلاد العرب للأصفهاني « ذو حُساً » : وادضخم أسفله الرمث وأعلاه الثمام فيه بئار أسفله لفزارة وأعلاه لمحارب . (٣)

وعلماء البلدان في وقتنا الحاضر مجمعون على أن « ذا حُسىً » هو ما يسمى الآن « حسو عليا » وقد قام فيه بلدة عامرة بالسكان فيها كثير من المرافق ويقع شرقاً من الربذة وشمالاً من « هضب القليب »

وتقول الروايات ومنها رواية صاحب النقائض : أنه في يوم « ذي حُسىً» أصاب حذيفة بن بدر فيمن أصاب من بني عبس « تماضر » زوجة الملك زهير بن جذيمة ملك هوازن وهى أم قيس بن زهير ، وكانت في المال فقتلها . وفيها يقول عنترة بن شداد :

ماتت ووسدت الفلاة قتيلة — يالهف نفسي اذ رأت توسيدها
ياقيس إن صدورنا وَقِدَتْ بها — نارٌ بأضلعنا تَشُبُ وقودها
فانهض لأخذ الثأر غير مقصر — حتى تبيد من العداة عديدها

٦ – اليَعْمُريَّة : هذا الموضع من الأماكن المهمة التي جرى فيها يوم من أيام داحس والغبراء فبعد مَقتل مالك بن بدر غضبت بنو ذبيان ، ولكن

.(١) معجم ما استعجم ص ٤ / ١٢٤٥
(٢) معجم ما استعجم ص ١ / ١٤٤
(٣) معجم ما استعجم ص ١ / ١٨٧

الأسلع بن عبد الله بن ناشب العبسي مشى في الصلح وأعطى بني ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بني أخيه كرهائن حتى يصطلحوا وسكن هياج القوم وبعد موت سبيع خدع حذيفة بن بدر ولد سبيع فأخذ منه الرهائن وهو في « اليعمرية » وفي كل يوم يبرز منهم فتىً فينصبه غرضاً ويقول له : ناد أباك . حتى قضى على جميع هؤلاء الفتية فغضبت بنو عبس لنقض الصلح وقتل هؤلاء الرهائن فثارت الحرب بينهم من جديد فكانت خاتمتها الانتقام من بني ذبيان في « جفر الهباءة » بقتل حذيفة بن بدر وأخيه حمل ومن معهما .

وعلماء البلدان حددوا موقع « اليعمرية » وتكلموا كثيراً عن المكان الذي تقع فيه وهو « بطن نخل » ومن هذه الأقوال :

قول ياقوت الحموي في معجمه : اليعمرية : ماءة بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة له ذكر في حرب داحس والغبراء . [١]

وقال السمهودي في « وفاء الوفاء » ... وبطن نخل لبني فزارة من قيس وبها أكثر من ثلاثمائة بئر كلها طيبة وبها يلتقي طريق الربذة على خمسة وأربعين ميلاً . [٢]

وقال في موضع آخر : نخل : من منازل بني ثعلبة بنجد على يومين من المدينة . قال بن اسحق : وغزا النبي صلى الله عليه وسلم نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان حتى نزل نخلاً ، وهى غزاة « ذات الرقاع » قال ابن حجر في غزوة ذات الرقاع : قوله : فنزل « نخلاً » هو مكان على يومين من المدينة بواد يقال له شدخ ، وبالوادي طوائف من قيس وفزارة وأشجع وانمار [٣] . الخ

من هذه الأقوال وغيرها نعرف أن « بطن نخل » في أرض « الشربة » من نجد وأنها من مساكن بني فزارة وأن « اليعمرية » واقعة فيه.

(١) معجم البلدان : ص ٥ / ٤٣٨
(٢) وفاء الوفاء : ص ١١٤٩
(٣) وفاء الوفاء : ص ١٣١٩

إلا أن الباحثين في وقتنا الحاضر تكلموا عن « بطن نخل » وكل منهم له رأي في تحديد مكانه فقد حدده الاستاذ عاتق البلادي في كتابه « معجم معالم الحجاز » بقوله :

(بطن نخل : جمع نخلة : قال ياقوت : قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة بينهما الطرف على الطريق ، وهو بعد أبرق العزاف للقاصد إلى مكة.

قلت – أي البلادي – هذه القرية صارت اليوم بلدة متقدم عمرانها تعرف بالحناكية :) انتهى كلامه .

قلت : لست مع هذا الرأي من أن بطن نخل هو ما يسمى الآن «الحناكية » ويبدو لي أن بطن نخل الذي تقع فيه اليعمرية جنوباً من بلدة الحناكية .

ولي تعليق على آخر النص الذي أورده عن ياقوت وهو (بعد ابرق العزاف للقاصد إلى مكة) فالذي أميل إليه أن يقال : (للقاصد إلى المدينة) لا إلى مكة ، ويؤيد ذلك ما قاله الفيروز آبادي في « معالم طابه » حيث أورد هذه الجملة هكذا (وهو بعد ابرق العزاف للقاصد إلى المدينة) (١).

وللشيخ حمد الجاسر تعليق مفيد حول تحديد موقع « بطن نخل » وذلك في ص (١٥١) من كتاب « معالم طابه » حيث أوضح موقع الربذة بالنسبة لطريق الحاج في العهد القديم وفي نهاية تعليقه قال : (وقد جعل الهمداني بطن نخل والربذة على عرض واحد وهو : (٢٥ درجة) وجعل المدينة شمالها بنقص درجة (٢٤) وجعل الطرف بينهما (٢٤,٥) ومن هذا نسطيع معرفة جهة الربذة بالنسبة للمدينة وأنها شرقها بميل نحو الجنوب ومن هنا يتبين لنا خطأ من ظنها « الحناكية » .

٧ – الخاثرة (من جنب ذي بقر) :

حدث في هذا الموضع يوم من أيامهم ولم أعثر على موضع « الخاثرة»

(١) كتاب معالم طابه / الفيروز آبادي ص ٥٧

وما دامت واقعة جنب ذي بقر فذو بقر معروف : يقول عنه ياقوت الحموي : وذو بقر : واد بين أخيلة - حمى الربذة وذكره الهجري وهو يتكلم عن حمى الربذة بقوله :

(ثم الجبال التي تلى القهب عن يمين المصعد إلى مكة جبل أسود يدعى أسود البرم بينه وبين الربذة عشرون ميلاً وهو في أرض بني سليم . وأقرب المياه من أسود البرم حفائر حفرها المهدي على ميلين منه تدعى ذا بقر الخ.)(١)

٨ - ظهر المعنقة : لم أجد تحديداً له وقد يكون الأمر كما قلت في رسم «المعنقة » المتقدم .

٩ - جفر الهباءة .

هذا الموضع من أهم المواضع في أحداث داحس والغبراء ، وقد تقدم معنا حين تكلمت عن الزيارة الميدانية اذ أنه أول موضع أحدد مكانه في تلك الرحلة فارجع إلى ما قلته حوله هناك .

ولأهمية الحدث الذي وقع فيه فقد تكلم عنه علماء البلدان القدماء كثيراً ومن أقوالهم :

يقول ياقوت الحموي في معجمه : (وجفر الهباءة اسم بئر بأرض الشربة قتل بها حذيفة وحمل أبناء بدر الفزاريان وقال قيس بن زهير وهو قتلهما :

تعلم أن خير الناس ميت   على جفر الهباءة لا يريم (٢)

ويقول عنه في رسم « الهباءة » (: قال ابن شميل : الهباءة التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم وتأنيثه للأرض ، وهي الأرض التي ببلاد غطفان قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان قتلهما قيس بن زهير .

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٢٤٢
(٢) معجم البلدان ص ٢ / ١٤٧

وجفر الهباءة مستنقع في هذه الأرض . وقال عرام : الصحن : جبل ببلاد بني سليم فوق السوارقية وفيه ماء يقال له الهباءة وهى أفواه آبار كثيرة مخرقة الأسافل يفرغ بعضها في بعض الماء العذب الطيب ويزرع عليه الحنطة والشعير وما أشبهه . [1]

أما البكري فيقول : الهباءة : كانت فيه حرب من حروب داحس لعبس على ذبيان وفيه قتل الربيعُ بن زياد حَمَلَ بن بدر . وقال قيس بن زهير :

تعلم أن خـير النـاس ميت   على جـفر الهبـاءة لا يريم [2]

وأشار إلى أنه قد مضى الكلام عليه في رسم الربذة وشواحط .

وفي رسم « شـواحط » - وهو الجبل الذي أشـرت في الرحلة الميدانية أننا بتنا بسفحه وأصبحنا نغذ السير للبحث عنه -

بعد أن تكلم البكري عن شـواحط واستشـهد ببيت عنترة بن شـداد العبسي :

فقـلت تَبَيَّنُوا ظُعْناً أراها   تحلُ شواحطاً جُنْحَ الظلام

قال : (وحذاءه واد يقال له بيضان فيه آبار كثيرة يزرع عليها ، وحذاءه بلد يقال لها الصحن فيه يقول الشاعر :

جلبنا من جنوب الصحن جرداً   عتاقاً سـيرها نسـلاً لنسـل

فوافيـنا بهـا يومـي حـنين   نبي الله جـداً غيـر هـزل

وفيه مياه يقال لها الهباءة آباركثيرة منخرقة الأسافل يفرغ بعضها في بعض عذبة يزرع عليها[3] .) إلى آخر النص .

وفي رسم الربذة قال البكري بعد كلام طويل : (وجفر الهباءة بناحية أرض بني سليم في ظهر اليعمله قال عامر الخصفي :

---

(١) معجم البلدان ص ٥ / ٣٨٩
(٢) معجم ما استعجم ص ٤ / ١٣٤
(٣) معجم ما استعجم ص ٣ / ٨١٣

أحيا أباه هاشم بن حرملة بين الهباءة وبين اليعمله
ترك الملوك حوله مغربله يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له [1]

ولما كان جفر الهباءة من الأهمية بمكان في بحثنا هذا كما أسلفت فقد حرصت على التثبت من وادي « الفطح » الذي يوجد في أسفله « جفر الهباءة » ومدى علاقته بوادي بيضان .

وبعد عودتي من الرحلة الميدانية ألقيت نظرة على بعض المراجع ومنها «مجلة العرب » هذه المجلة التي ستكون مرجعاً حتى للأجيال القادمة . خاصة وأن البحوث التي تنشر فيها لها قيمتها من حيث الدراسة والتمحيص ، ومما يزيدها قيمة أن المجلة إذا ورد إليها تصويب أو تعليق على مايرد في تلك البحوث أو المقالات فإنه يجد رحابة صدر من القائم على هذه المجلة لأن الهدف كان أساساً البحث عن الحقيقة أينما وجدت ولهذا نجد القراء يتجاوبون معها ، ويبدون آراءهم وتصويباتهم حول ما ينشر فيها .

ومن بين تلك التصويبات ما كتبه الأخ عوض بن لويحق حول وادي بيضان عن موقعه واتجاهه المنشور في الجزء - ١١ ، ١٢ - السنة الثامنة، جماديان عام ١٣٩٤ هـ تعليقاً حول ما نشر عن وادي بيضان في الجزء الثالث ، السنة الثامنة ، رمضان عام ١٣٩٣ هـ .

حيث علق بقوله (نظراً لأنني من تلك المنطقة ومعرفتي تجعلني أكثر إلماماً بوادي بيضان من غيري ممن ليس يعرفه على الطبيعة . فوادي بيضان هو رياض متصلة تتسع وتضيق أحياناً تجتمع فيها مياه الأودية الآتية : - مبتدئاً من الجنوب فالغرب فالشمال -

(١) وادي نبيع . (٢) وادي الغريف ويسمى أوله المايين ووسطه وادي الوشي وأسفله الغريف . (٣) وادي شاطا . (٤) وادي الرميده وعاليه يسمى وادي الخفيق الذي وقعت فيه المذبحة المشهورة بين بني عبد الله من

---

(١) معجم ما استعجم ص ٢ / ٦٣٥

جهة والشريف وحرب وسليم من جهة أخرى وبه آبار الخفق لقبيلة الهجال من مطير وبها نخيل وفي وسط الوادي آبار تسمى الحفيرة لقبيلة الهجال وبعض القبائل الأخرى ويضرب المثل بعذوبة مائها وبها نخيل قليل ومتاجر محدودة.

(٥) وادي الشقيق بالتصغير وتخفيف الياء .

(٦) وادي صبير وبه آبار لقبيلة الهجال تسمى العقد وفي أعلاها روضة تسمى روضة صبير .

(٧) ووادي الفطح وفي أسفله آبار لقبيلة العزايزه تسمى هباء .

(٨) وادي مَجْر ويفرق عن جبل صغير عند مصبه في بيضان يقال له جبل مَجْر وينتهي أعلاه في مقر يقال له الخبراء . (٩) وادي حجاجة .

وفي بيضان حزم مستطيل الشكل وسط الرياض يقال له القطيعاء لأنها تكاد تقطع الوادي ، وما علا منها يسمى الباحة ، وفي أسفل منها مضيق وبه آبار تسمى المخاضة .

ويتجه وادي بيضان بانحدار بطيء شمال شرقي حتى ينتهي في قيعان وسباخ السويرقية ، وليس له مخرج من هذه القيعان . ويسمى أسفل وادي بيضان بالدمثة .) إلى آخر ما أورده .

وقد شكرت مجلة العرب للأخ الكريم عوض توضيحه هذا واطلقت عليه المثل (أهل مكة أدري بشعابها) وأنا أقول : أهل حرة بني سليم أدري بأوديتها ورياضها ، ووهادها ونجادها . كما عرف ذلك من قبل بنو ذبيان حيث اتجه حذيفة بن بدر ومن معه بعد الهزيمة في المعركة الدائرة بينهم وبين بني عبس إلى مسارب تلك الحرة ليستنقعوا في « جفر الهباءة » فحصل ما حصل .

وقد أورد الاستاذ عاتق بن غيث البلادي في كتابه « معجم الحجاز - الجزء الأول - » النص المتقدم عندما تكلم عن « بيضان » . وهذا القول

يجعلني أطمئن إلى ما توصلت إليه من أن « جفر الهباءة » الذي قتل فيه حذيفة بن بدر ومن معه هو الآبار الموجودة في أسفل وادي الفطح أي «وادي هباء » وهو أحد فروع وادي بيضان . ولعلي آخذ على الاستاذ عاتق البلادي : أنه لم يذكر المصدر الذي أخذ عنه قول الأخ عوض ، وهو « مجلة العرب » والأخ عوض بن لويحق شاهد آخر من أهل تلك الناحية يقول : (٧- وادي الفطح وفي أسفله آبار لقبيلة العزايزه تسمى هباء .)

أما شاهد الاثبات الأول في القضية التي أناقشها الآن فهو من أصحاب تلك الآبار وهو الشيخ سويعد بن غالب العزيزي والشاهدان المذكوران ممن يؤخذ بقولهما لدرايتهما التامة عما يتحدثان عنه .

والأخ عوض أفادنا إفادة شاملة وواضحة وخاصة فيما يتعلق باتجاه وادي بيضان حيث أعلمنا أن فروعه تأتي من الجنوب والغرب ثم ينحدر ببطء شمالاً شرقياً حتى ينتهي في قيعان وسباخ السويرقية .

وقوله هذا قول خبير بلاشك ، وقد قُدِّرَ أن أسلك جزءاً من مسار هذا الوادي نتيجة لفهم خاطىء مني للوصف الذي سبق أن وصفه لي الأعرابي في صفينة عندما سألته عن وادي بيضان حيث قال : إنه يعترض طريقك فإذا وصلته فخذ جهة اليمين باتجاه « هبا » وهكذا فعلت . ولكن عندما انحرف الوادي جهة الشرق وصل بي الطريق إلى مساكن بعض سكان المنطقة من البادية وعندما سألتهم عن « هبا » قالوا هى خلفك باتجاه الطريق الذي قدمت منه وعندما سألتهم عن الوادي الذي أسير بمحاذاته قالوا هذا وادي بيضان ويلزمك العودة باتجاه الجنوب والطريق إلى هبا يحاذي الوادي من ضفته الغربية باتجاه الجنوب .

وهذا الاتجاه في الطريق المعاكس استفدت منه السير بمحاذاة الوادي عند انحرافه إلى جهة الشرق وذلك لأن جبل « الزور » والتلال المتصلة به من جهة الشمال أجبرت الوادي على الانحراف شرقا

وممن زار تلك المنطقة من الباحثين في وقتنا الراهن الأستاذ عاتق

البلادي ووصف مجرى وادي بيضان حيث قال في رسم « بيضان » في كتابه « على ربي نجد » : (بيضان ... وادٍ لمطير من اكبر الأودية التي تسيل من حرة الحجاز شرقاً ، يمر بطرف صفينة من الشمال - إلى أن قال- وفي المناسك (٣٣٧) : ذات أحباب من أرض بني سليم ، من موقع يقال له بيضان وهو وادي الهباءة الذي قتل فيه قيس بن زهير). [١]

وأحب أن أنبه هنا إلى أن مؤلف كتاب « على ربي نجد » نقل هذا النص من كتاب « المناسك » ناقصاً مما يوهم القارىء أن الذي قتل في جفر الهباءة هو « قيس بن زهير » وقيس هو القاتل لا المقتول .

والنص كما أورده الحربي رحمه الله في كتاب « المناسك » هو : (قال: وذات أحباب من أرض بني سليم ، من موقع يقال له بيضان ، وهو وادي الهباءة الذي قتل فيه قيس بن زهير من قتل .) [٢] إذ أن جملة « من قتل» تفيد أنه هو القاتل وليس المقتول .

(١)كتاب على ربي / عاتق البلادي ص ص ١٢٦ - ١٢٧
(٢) كتاب المناسك ص ٣٣٧

تحديد « نجد » ومايسمى بأرض « الشَّرَبَّة »

إن المواضع التي مر ذكرها معنا قال الأقدمون : إنها واقعة في أرض الشربة من نجد ولذا فإنه من المفيد معرفة حدود « نجد » وكذلك حدود أرض « الشربة » لأن في تحديدهما حصر للمواضع التي تطرقنا إليها داخل هذا النطاق ، ومتى أصبح أي من المواضع التي أوردناها خارج حدود نجد والشربة فإن الأمر يقتضي إعادة النظر في هذا الموضع أو ذاك فأقول :

حدود نجد :

الاجتهادات في تحديد « نجد » كثيرة ولن أحصر كلما قيل حول ذلك وإنما سأذكر من الأقوال ما يبدو لي أنه أقرب إلى الصواب في تحديد نجد وخاصة ما يلي الحجاز منه :

يقول الاصفهاني في كتابه « بلاد العرب » : (وقال ابن الأعرابي : نجد اسمان : السافلة والعالية فالسافلة ما ولي العراق ، والعالية ما ولي الحجاز وتهامة .

وقال الأصمعي : إذا جزت ذات عرق إلى البحر فأنت في تهامة ، وإذا جزت وجرة وغمرة فأنت في نجد ، إلى أن تبلغ العذيب ...

ويقال إذا خرجت من المدينة فأنت بنجد إلى أن تتصوب في مدارج العرج ، فإذا تصوبت فيها فقد أتهمت إلى مكة .

ويقول أهل المدينة : أخذت التهامية أم النجدية ؟ فالتهامية التي على

عسفان والجحفة ، والنجدية التي على طريق الربذة .

وقال بعضهم : إذا جزت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق ثم تتهم [١] .) انتهى باختصار.

وقال الاصفهاني في موضع آخر :

(وقال عمارة : ماسال من حرة بني سليم وحرة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر ، وما سال من ذات عرق مغرباً فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة ، وهو حجاز اسود يحجز بين نجد وتهامة وما سال من ذات عرق مُقْبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق . [٢])

ويقول ابن قتيبة في كتابه « المعارف » :

(حدثنا الرياشي عن الأصمعي ، قال : إذا خلفت الحجاز مصعداً فقد أنجدت ، فلا تزال في نجد حتى تنحدر في ثنايا ذات عرق ، فإذا فعلت ذلك فقد أتهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك الحرار وأنت تنحدر فتلك الحجاز ، وإذا تصوبت من ثنايا العرج واستقبلك الأراك والمرخ فقد أتهمت وإنما سمي حجازاً لأنه يحجز بين نجد وتهامة الخ [٣].)

من هذه الأقوال تتضح لنا حدود نجدممايلي الحجاز وهناك أقوال كثيرة ليس هذا محل بسطها . وجميع المواضع التي جرت فيها أيام عبس وذبيان كلها في نجد أي في عالية نجد الشمالية الغربية وكل هذه المواضع إما شمال « هضب القليب » مثل : « ذو حُسىً » و « ذو بقر » ، وإما غرباً منه مثل « اليَعْمُرِيَّة » في بطن نخل و « جفر الهباءة » في وادي بيضان قرب «صفينة »

وكدليل على ما ذهبت إليه فإن الأقوال متظافرة على أن كلاً من جفر الهباءة ، وبطن نخل في نجد ، والصلح بين عبس وذبيان تم في هذه الناحية في آخر أيامهم .

(١) بلاد العرب ص ص ٣٣٦ - ٣٣٩
(٢) بلاد العرب ص ص ١٤ - ١٥
(٣) كتاب المعارف ص ٣١٥

ومع أن بطن نخل لا تبعد كثيراً عن المدينة فهى كما مر بنا في النص الذي أورده مؤلف « معالم طابة » من أنها موضع بنجد من أرض غطفان مذكور في غزاة « ذات الرقاع » .

وإذا عرفنا أن جبال « أُبْلَىَ » الواقعة شرق بطن نخل غير بعيد منه وهى « جبال على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة على بطن نخل » تعتبر من باب أولى في نجد ، ويثبت لنا ذلك ما رواه ابن هشام في « السيرة » عن حديث « بئر معونة » قال : - القصة باختصار - (قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسل الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام ، وقال يامحمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أخشى عليهم أهل « نجد » قال ابو براء : أنا لهم جار ؛ فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمر أخا بني ساعدة المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ... فساروا حتى نزلوا « بئر معونة » وهى بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين منه قريب وهى إلى حرة بني سليم أقرب فنزلوا وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبو أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم فأجابوه إلى ذلك حتى قتلوهم جميعاً .) [1] - رحمهم الله - إلى آخر القصة ومن قصة بئر معونة نستفيد :

١ - أن القبائل التي حول بئر معونة وهى واقعة في غربي جبال « أُبْلَىَ »

(١) سيرة بن هشام ص ٣ / ١٨٤

وأقرب إلى حرة بني سليم يقطنون في نجد ويدل على ذلك إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا براء بقوله « إني أخشى عليهم أهل نجد » اذاً أهل المدينة يطلقون على تلك النواحي مسمى نجد ، ومادام يطلق على بطن نخل نجد فمن باب أولى « بئر معونة » وما حولها .

٢ – قد يشك البعض بأنه لا يوجد لبني عامر بلاد في تلك الناحية وأن بلادهم في وسط عالية نجد ، وإذا عرفنا أن « هضب القليب » يقع شرقاً من جبال « أبلى » غير بعيد فلا غرابة إذا كان نصفاً بين بني عامر وبني سليم كما قال العامري بالنص المتقدم . وكذا ما مر بنا من أن هضب القليب بلاد منقطعة لهم .

والذي أفهمه من كلمة « منقطعة » أن تلك البلاد داخلة ضمن قبيلة أو قبائل أخرى سواء أخذها بنو عامر عن طريق القهر والغلبة أو بالحلف والجوار .

وجفر الهباءة يقع في الجنوب الغربي من بئر معونة أي أنه أقرب إلى الحجاز ورغم ذلك ورد في نص سابق بأنه واقع في أرض الشربة ، والشربة بالتالي واقعة في نجد .

فلا حجة إذاً لمن قال حينما قرأ نص البكري حول تحديد « ذات الاصاد» في عالية البلاد بأرض فزارة ، وكذا تحديد موضع جفر الهباءة بالقرب من وادي بيضان :(إن واقعة داحس والغبراء في نجد) . حيث يدل قوله هذا : على أن تلك الجهات ليست من نجد .

حدود أرض الشَّرَبَّةِ :

أرض الشربة مرتع خصب تغنى بها الشعراء ، وتذكرها من نأت به الديار عنها ، وهى حيز من عالية نجد ويدلنا على اتساع رقعتها المواضع

التي حددها علماء البلدان فيها مثل : هضب القليب ، والربذة ، وجفر الهباءة ، وبطن نخل ، والمريقب ، وذو حُسىً وغـيـر ذلك من المواضع العـديدة المتباعدة .

وتحديد الشربة محل خلاف عند المتأخرين ولن أخوض في تفاصيل ما قيل في ذلك من آراء فالبحث فيه يطول . وسأذكر ما اطمأنت إليه النفس من تحديد علماء البلدان القدماء ، وما حددوه واضح لمن يستقرىء النصوص الواردة في تحديدها :

يقول ياقوت الحموي ... (قال الأصمعي : الشَّرَبَّةُ بنجد ووادي الرمة يقطع بين عَدَنَة والشربة ، فإذا جزت الرمة شرقاً أخذت في عدنة ، والشربة بين الرمة والجريب ، والجريب واد يصب في الرمة .) [1]

أما في « معالم طابه » فيقول الفيروز آبادي : (الشَّرَبَّةُ موضع قرب المدينة بين السليلة والربذة وقيل إذا جاوزت النقرة وما وان تريد مكة وقعت في الشربة [2])

قلت : تحديده للشربة بين السليلة والربذة فيه نظر .

وفي كتاب « بلاد العرب » يقول الأصفهاني : (وقال الفزاري : الشربة كل شيء بين خطِّ الرمة وخط الجريب حتى يلتقيا ، والخط مجرى سيلهما ، فإذا التقيا انقطعت الشربة وينتهي أعلاها من القبلة إلى الحزيز ، حزيز محارب .

قال العامري حزيز محارب معروف .

وقال الشربة فيما بين الزبا والنطوف ، وفيما بين هَرْشاَ ، وهى هضبة دون المدينة وهى مرتفعة كادت تكون بين هضب القليب إلى الربذ) [3] . انتهى .

من هذا التحديد يتضح لنا أن الشَّرَبَّة بلاد واسعة تأخذ زاوية في جهتها

---

(١) معجم البلدان : ص ٣ / ٣٣٢
(٢) معالم طابة : ص ٢٠٠
(٣) بلاد العرب ص ٨٠

الشرقية عندما يلتقي وادي الجريب بوادي الرمة غرب جبل « أبان » ويدخل فيها من الشمال عقلة الصقور ، والنقرة إلى شرقي حرة خيبر التي يسيل منها أعالي وادي الرمة .

ويبدو لي أن حدها الغربي بطن نخل وشرقي حرة بني سليم « حرة رهاط» وحدها الجنوبي: شمالي حرة « كشب » إلى أعالي الجريب ، وحدها الشرقي مجرى وادي الجريب حتى يلتقي مع وادي الرمة .

أما ذكر هضبة « هَرْشَا » القريبة من المدينة فنظراً لبعدها غرباً فقد يحتاج الأمر إلى التدقيق في هذا القول إلا إذا كان هناك موضع آخر بنفس المسمى .

وعلى كل فالأقوال في تحديد الشربة متعددة ومتباينة ، وإنما أردت من هذا التحديد السريع إيضاح أن جميع المواضع التي ذكرناها بما فيها «هضب القليب » واقعة في أرض الشربةكما حددها لنا الأقدمون ، وأن أرض الشربة كانت مسرحاً لجولات وصولات بني عبس مع بني عمومتهم بني فزارة في معاركهم الطاحنة وكان لعنترة بن شداد العبسي ذكرياته في أرض الشربة سواء في أيام السلم أو أيام الحرب ومما قاله من شعر في أرض الشربة ما يلي : –

يقول وهو يتذكر أيام شبابه :

أرض الشَّرَبَّةِ كم قضيت مبتهجاً ... فيها مع الغيد والاتراب من وطـــر

أيام غصن شبابي في نعومتـــه ... ألهو بما فيه من زهر ومن ثـــمر (١)

ويقول في مطلع قصيدة له في الحماسة :

أرض الشربة تُربُها كالعنــــبر ... ونسيمها يســري بمســـك أذْفَرِ

ومما يؤيد سكناه قرب الحجاز تذكره لنسيمه العليل حيث يقول :

(١) ديوان عنترة : ص ٦٩

بَرْدُ نسيم الحجاز في السحـــر إذا أتانــــي بريحـــه العـــطر
الذُّ عندي ممـــا حـــوته يـــدي مـــن اللآلـيء والمـــال والـــبدر
ســقى الخيــامَ التي نصـبن على شَرَبّة الأنــس وابـــل المطـــر[1]

وقال أيضاً :

يانســيم الحــجاز لـولاك تَطْفــا نار قلبي أذاب جسمي اللهيب[2]

وقال في الشربة أيضاً :

تــُرَى هـــذه ريـــحُ الـــشَّرَبَّةِ أم المسْكُ هـبَّ مع الـريح هَبَّهْ[3]

وقال :

أرض الـــشَّرَبَّةِ شِعْبٌ ووادي رَحَلْتُ وأهلـها فـــي فــؤادي[4]

وقال :

فَســـقَتْك ياأرضَ الشَّرَبَّةِ مُزْنَةٌ مُنْهَلَّةٌ يَرْوي ثَرَاكِ هُمومـــــها[5]

وعنترة العبسي ذكر في شعره مواضع كثيرة غير الشربة والحجاز ولكن أحببت أن أذكر ما قاله فيها للتدليل على أنه كان مع قومه في أرض الشربة قريباً من الحجاز عندما كان شاباً يافعاً أو محارباً صنديداً ، فلا نستغرب أن يرى عنترة ضعناً تحل شواحطاً قرب الظلام ؛

وكان لبني عبس عودة إلى الأرض القريبة من « شواحط » في آخر الحوادث التي جرت بينهم وبين بني ذبيان فبعد رحيلهم على أثر حادثة جفر الهباءة وتجوالهم في شرق ووسط وشمال الجزيرة العربية فإن عبساً عندما أعياها كثرة التجوال وتصادمها مع كثير من القبائل هنا وهناك فضلت الصلح مع بني عمومتهم بني فزارة وقد تم الصلح بينهم في الشمال والقوم يحكم رحيلهم وإقامتهم نزول المطر ومنابت العشب فنجدهم عندما اصطلحوا

---

(١) ديوان عنترة : ص ٧٢
(٢) ديوان عنترة : ص ١٩
(٣) ديوان عنترة : ص ٩
(٤) ديوان ص ٤٣ .
(٥) ديوان عنترة : ص ٨٢

آخر الأمر قفلوا عائدين إلى الجنوب فنزلوا « قَلَهىَ » إلا أن بني ثعلبة بن سعد اعترضت على هذا الصلح ، وبعد التفاوض ودفع الديات تم الصلح في قلهى ، وقلهى تقع شمالاً غربياً من هضب القليب شرقي المدينة لا تبعد كثيراً عن جبل شواحط .

وقد حدد الشيخ حمد الجاسر موقع « قلهى » فقال :

(صوابها «قَلَهَى » فهى آخر أيام حرب داحس وهى في بلاد قيس عيلان لبني ثعلبه من ذبيان من غطفان في الجنوب الشرقي من المدينة شمال منطقة المهد (معدن بني سليم [1])

وبعد هذا كله يحق لنا أن نتساءل : ما هو السبب الذي حمل بعض الباحثين في عصرنا الراهن إلى أن يبحثوا عن هضب القليب شرقاً من تلك المواضع ؟ وكلما قربتهم النصوص القديمة إلى المكان الصحيح التمسوا تعليلاً لازاحة موضعه شرقاً ما عدا الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله حيث قرب لنا موضع « هضب القليب » .

ويبدو لي أن السبب الذي َشرّق بهم إلى ضفاف وادي الجريب هو بيت «ابن مقبل » حيث جمع فيه بين هضب القليب و « المضيح » وفيمايلي سأتكلم عن هذا البيت من الشعر :

(بيت الشعر الذي جَرَّ « هضب القليب » إلى شط الجرير)

يكاد يجمع علماء البلدان في عصرنا الراهن على القول بأن « هضب القليب » هو ما يسمى الآن بـ « طخفة » الواقعة على الضفة الغربية لوادي الجرير « الجريب » قديماً .

---

(١) نظرات في كتاب تاج للعروس / حمد الجاسر : ص ص ٣٥٢ / ٣٥٣

وباستعراض ما كتبه من ذهب إلى هذا الرأي نجد أن دليله إلى هضب القليب هو قول « ابن مقبل » :

سَل الدار من جنبي حِبِرٍ فواهب إذا ما رأى هضب القليب المُضَيَّحُ

حيث فهم من هذا البيت بعد زيارته للمواضع المذكورة فيه : أن تحديد ابن مقبل ينطبق على « طخفة » لأنها قريبة من جبل حبر وكذلك من المضيح إذ أن جبل المضيح يناوح طخفة من الشمال ويمكن أن يُرى أحدهما من الآخر .

ولما كان هذا البيت من الشعر من الأهمية بمكان في بحثنا هذا فإنه يصدق عليه – كما قيل – « بيت القصيد » ، ولذا أجدني مضطراً للكلام عن بيت القصيد هذا فأقول : إن الانسياق وراء الأخذ بهذا البيت واعتباره دليلاً قاطعاً على قرب « هضب القليب » من « هضب المضيح » وأن أحدهما يرى من الآخر يجر إلى القدح في بعض النصوص الواردة في تحديد «هضب القليب » .

وقد أعجبني كثيراً تحليل الشيخ / محمد بن بليهد رحمه الله عندما تكلم عن هذا البيت في الجزء الثاني من كتابة « صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار» حيث عرض له بيت « ابن مقبل » وهو يتكلم عن المواضع التي وردت في شعر « عبيد بن الابرص » وعندما أورد البيت :

سل الدار من جنبي حِبرٍ فواهب إلى ما ترى هَضْب القليب المضيح

قال رحمه الله : (المضيح في قول ابن مقبل : « هضب القليب المضيح » معطوف على القليب لأن بين المضيح وهضب القليب مسافة ثلاثة أيام أو أربعة ، والمضيح باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .[1]

وما لفت نظري هنا هو استغرابه رحمه الله : من كون هضب القليب يرى هضب المضيح بينما واقع الأمر يخالف هذا القول،

(١) : ص ٢ / ٨١

فأوجد تعليلاً لذلك من الناحية اللغوية .

فهل يا ترى : قصد « ابن مقبل » بكلمة « المضيح » ذلك الهضب المعروف الواقع غرب وادي « الجريب » ؟ أم قصد شيئاً آخر ؟

وكتمهيد لمحاولة الإجابة عن هذا التساؤل يمكنني فيمايلي حصر الروايات التي وردت حول نص بيت « ابن مقبل » :

١ - أورد البكري هذا البيت في أكثر من موضع فقال :

(قال ابن مقبل :

سَلِ الدارَ من جَنْبَيْ حِبِرٍ فَوَاهبٍ إلى ما يَرى هضْبَ القــليبِ المُضَيَّحُ

وعلق محقق الكتاب بقوله : (في ج إذا ما رأى) [١]

- وفي رسم « واهب » قال البكري : (قال أبو حاتم عن الأصمعي : هو جبل لبني سُلَيْم وكذلك حِبِرٌ وأنشد لابن مقبل :

سَلِ الدارَ من جَنْبَيْ حِبِرٍ فَوَاهبٍ إذا مــا رأى هضْبَ القليبِ المُضَيَّحُ

وعلق المحقق بقوله : (في هامش - ق - إلى ما يرى .) [٢]

- وفي رسم « المضيح » قال البكري :

(« المضيح » ... ماء لبني البكاء كذلك قال السكوني وأبو حاتم عن الأصمعي وأنشد لابن مقبل :

سَلِ الدارَ من جَنْبَيْ حِبِرٍ فَوَاهبٍ إذا ما وأى هَضَّبَ القليبِ المُضَيَّحُ، [٣]

٢ -أما ياقوت الحموي فقد أورد بيت ابن مقبل في رسم « حِبِرٍ » هكذا :

سَلِ الدارَ من جَنْبَيْ حِبِرٍ فَوَاهبٍ إلى ما ترى هَضَّبُ القليبِ المُضَيَّحُ [٤]

- وفي رسم « واهب » قال : (وقال تميم بن مقبل :

---

(١) معجم ما استعجم : ص ٢ / ٤١٩

(٢) معجم ما استعجم ص ٤ / ١٣٦٥

(٣) معجم ما استعجم ص ٤ / ١٢٣٥

(٤) معجم البلدان ص٢ / ٢١٢ .

سل الدار عَنْ جنبي حبر وواهب   إلى ما رأى هضـــب القليب المُضَيَّحُ (١)

٣ - أما في ديوان الشاعر تميم بن مقبل الذي عني بتحقيقه الدكتور عزت حسن .

فقد أورد هذا البيت كمطلع لقصيدة مكونة من ثلاثة وأربعين بيتاً وفيمايلي نص الأبيات الثلاثة الأولى من تلك القصيدة .

سل الدار عَنْ جنبي حبر فَوَاهِب   إلى مـــــا رأى هب القليب المُضَيَّحُ

أقام وخَلَّتهُ كُبَيْشَةُ بعد مــاَ   أطَاَل بِه منــها مَرَاحٌ وَمســرَحُ

وَحَلَّت سُـــوَاجاً حِلَّة فكأنما   بحــزم سُوَاجٍ وشم كف مُقَرَّحُ

مما فهمته من تعدد أوجه رواية بيت ابن مقبل يمكنني القول : بأن هذا البيت محل إشكال وقد فهمنا مما مر بنا من النصوص : أن المضيح : يطلق على عدة مواضع منها : جبل لهوزان ، وماء لبني البكاء ، وماء لمحارب بن خصفه ، وماء لبني الأضبط ، وجبل بنجد على شط وادي الجريب.

والأخير هو ما اتجهت إليه أنظار الباحثين في عهدنا الراهن ، وهناك من اجتهد وقال : (إن جميع الروايات التي وردت في « المضيح » تعني مكاناً بعينه وهو الواقع على ضفة وادي الجريب الغربية .)

وأقول : إنه لارابطة بين هضب القليب وهضب المضيح من حيث الرؤية إلا إذا كان « ابن مقبل » قصد أن يوصي من كلفه أن يسأل : من جنبي حبر فواهب إلى أن يرى هضب القليب ، ومن ثم يستمر في سيره والمساءلة إلى أن يرى هضب المضيح . وأظن أن هذا ما فهمه الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله .

وما دمنا أوردنا ما قاله علماء البلدان عن المضيح وماذا يدل عليه يحسن أن نلقي نظرة على ما قاله علماء اللغة حول مدلول كلمة « ضياح ومضيح »

---

(١) معم البلدان : ص ٥ / ٣٣٦

لعلنا نخرج من ذلك بمدلول آخر لكلمة « المضيح » عسى أن يزول الإشكال الحاصل .

ماذا تعني كلمة « المُضَيَّح » ؟

١- ورد في تاج العروس (فصل الضاد من باب الحاء) : الضياح : اللبن الخاثر يصب فيه الماء : ضياح ومضيح وقد تضيح .

قال : والضيح عند العرب : أن يصب الماء على اللبن حتى يرق سواء كان اللبن حليباً أو رائباً ، وتضيح الرجل إذا شربه ...

والمضيح : من يرد الحوض بعد ما شرب أكثره وبقي شيء مختلط بغيره وهو مجاز تشبيهاً باللبن المخلوط بالماء .

والضاحة : البصر أو العين .

(وضاحت البلاد خلت) وفي صلاة الاستسقاء : اللهم ضاحت بلادنا أي خلت جدباً .

٢ – في القاموس المحيط : (ضياء – باب الضاد) :

الضاحة : البصر . والعين ...

والمتضيح من يرد الحوض بعد ما شرب أكثره وبقي شيء مختلط بغيره.

وضاحت البلاد : خلت

٣ – وفي لسان العرب :

وضحيت ، بالكسر ضحىً عرفت

يقال لكل من كان بارزاً في غير ما يظله ويكنه إنه ضاح ؛ وضحيت الشمس أي برزت لها ، وضحت للشمس لغة . وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضحا أي ظهر .

قال سمر : قال بعض الكلابيين : الضاحي الذي برزت عليه الشمس .. والمضحاة : الأرض البارزة التي لا تكاد تغيب عنها تقول عليك بمضحاة الجبل وضحا الطريق يضحو ضحُوُاً : بدا وظهر وبرز .

وضاحية كل شيء ما برز منه ، والضواحي من الإنسان كتفاه ، والضحيان من كل شيء البارز للشمس .

وفي حديث الاستسقاء : اللهم ضاحت بلادنا واغبرت أرضنا أي برزت للشمس وظهرت بعدم النبات فيها ...

المعنى أن السَّنة أحرقت النبات فبرزت للشمس والضاحي من كل شيء : البارز الظاهر الذي لا يستره منك حائط ولا غيره ... انتهى)

ماذا نستنتج من أقوال علماء اللغة :

بعد إمعان النظر في الأقوال المتقدمة حاولت جاهداً عسى أن أوفق إلى الخروج بمعنى يدلنا إلى ما نحن بصدده أو أن يكون في تلك المحاولة تنهيضاً لهمة أحد اقطاب اللغة العربية ليدافع عن بحرها المائج فيوضح لنا مالم يتضح ، ويخرج لنا من هذا البحر ما غاص وخفي إيضاحه ، فيوضح لنا « هضب القليب المضيح » فأقول :

١ – ورد أن الضاحة : البصر أو العين : وقد يكون « إبن مقبل » آراد أن يقول لمن كلفه عناء المساءلة : اسأل من جنبي حبر وواهب إلى أن تصل إلى موضع يرى فيه قوى البصر هضب القليب .

٢ – قالوا : إن كلمة « ضاح » يوصف بها كل مكان بارز .

وقد يكون ابن مقبل اشتق صفة المضيح لهضب القليب نظراً لأن هضب

القليب وهو « هضب الدياحين » بارز للعيان يرى من بعد لوقوعه في براح من الأرض لا تحجب رؤيته أعلام أخرى .

٣ – الاحتمال الثالث : أن يكون « ابن مقبل » وصف هضب القليب بصفة المضيح من ضاحت البلاد إذا خلت .

ولا شك أن هضب القليب خلا من ساكنيه وبرزت أرضه نتيجة لرحيل من يقطنه وهم بنو ذبيان من فزارة وذلك نتيجة للفتنة التي حصلت فيه ، وما دار حوله من حروب طاحنة . ويدل على إخلائهم له ما قام به بنو سُلَيْمٍ وبنو عامر من اقتسام هذا الهضب بعدما رحل بنو ذبيان عنه .

وابن مقبل عاش في الجاهلية والإسلام والحروب التي حصلت بين عبس وذبيان وقعت في الجاهلية ودامت كما قيل أربعين عاماً وتم الصلح بينهم عند ظهور الاسلام ومن المحتمل أن ابن مقبل قال بيته هذا وأوصى من أرسله بأن يسأل حتى يرى هضب القليب الذي وصفه له بأنه خال من القاطنين ولذا أفهمه لئلا يجشم نفسه عناء المساءلة فيه نظراً لخلوه من الناس .

٤ – وقد يكون ابن مقبل أراد بكلمة « المضيح » وصفاً للقليب ومائها إذ ورد أن المتضيح من يرد الحوض بعدما شرب أكثره وبقي شيء مختلط بغيره .

وقد أورد الاصفهاني في كتابه « بلاد العرب » (قول الوَهْبِيَّةِ وزوجت بالعراق:

لَمَاءٌ من عُنَيزَةَ لم يُضَيَّحْ　　　أحَبُّ إِلَيَّ من عَسَلِ العِراق

وقد ذكر أن « عنيزة » ماءة كانت لربيعة .) (١)

---

(١) ص ٢١٠ .

هذه مجرد احتمالات واستنتاجات ألجأني إليها كوني مقتنع تمام الاقتناع من عدم التمكن من مشاهدة هضب القليب من المضيح مما أحوج إلى البحث عن معنى آخر لمدلول ما تضمنه هذا البيت من الشعر. وبغض النظر عن التوصل إلى مدلول هذا البيت من عدمه فإنه لا إشكال لدي في انطباق جميع النصوص التي وردت على « هضب الدياحين» وهو هضب القليب قديماً .

أضف إلى ذلك أن هذا البيت قد يكون طرأ عليه شيء من التصحيف أو التغيير في معناه وهذا ما يشم من تعدد الصيغ التي ورد فيها وخاصة الشطر الأخير منه :

حيث ورد مرة : (إلى ما يرى هضبَ القليب المضيحُ)

ومرة ثانية ورد : (إذا ما رأى هضبَ القليب المضيحُ)

ومرة ثالثة : (إلى ما ترى هضبُ القليب المضيحُ)

أي بضم الباء من كلمة « هضب » .

وعلى افتراض أن هذا البيت سليم وأن ابن مقبل قصد بكلمة « المضيح» موضعاً بعينه يرى هضب القليب منه فقد يكون هذا الموضع جبلاً أو مورد ماء اندرس اسمه وقد مر بنا المواضع التي يطلق عليها « المضيح».

مدى انطباق النصوص الواردة على هضب الدياحين

مر معنا في هذا البحث كثير من النصوص الواردة في معاجم البلدان القديمة التي وصفت هضب القليب وصفاً دقيقاً ، فهل تنطبق تلك النصوص على « هضب الدياحين » الذي قلنا إنه هو « هضب القليب »؟ ما علينا الآن إلا استعراض تلك النصوص لنرى مدى انطباقها عليه :

١- وصفه ياقوت الحموي بأنه : (علم أحمر فيه شعاب كثيرة .)

وهضب الدياحين ينطبق عليه هذا الوصف تمام الانطباق فمن يتجول حول هذا الهضب وبين هضباته الكثيرة سوف يرى كثرة الشعاب ، ومن تلك الشعاب ما ينفذ إلى شعب آخر ، ومنها ما يستمر بين جبلين ولكنه غير نافذ مما تضطر معه إلى العودة من حيث دخلت .

٢ - يقول الأصمعي : (هضب القليب بنجد والهضب جبال صغار والقليب في وسط هذا الموضع يقال له ذات الاصاد وهو من أسمائها .)

وصف الاصمعي هذا ينطبق على « هضب الدياحين » فعندما تقبل على هذا الهضب من بعيد فستشاهد رؤوس جباله الصغيرة شاخصة بلونها الأحمر الأخاذ (انظر إلى صورة « هضب القليب » الصورة رقم - ٨ -).

وإذا دخلت الشعب الذي يخترق هذا الهضب من الشرق إلى الغرب وانتصفت في هذا الشعب فستلحظ هناك منخفضاً من الأرض حوله بعض الحجارة إنه أثر القليب أو ذات الاصاد وكانت تعرف عندما كانت تورد ويرتوي منها الناس في الزمن الحاضر « أبو ركب » . (انظر إلى صورة أثر القليب ، الصورة رقم - ١٨ -) .

٣ - قبل زيارتي لهضب الدياحين كنت أتساءل : هل ذات الاصاد هي

القليب أم الردهة؟ .

وكان مبعث هذا التساؤل اختلاف بعض الأقدمين في تحديد ذلك .

رقم (١٨)

منظر وسط شعب الحيس ، والسهم الأيمن يشير إلى فوهة القليب المدفونة والسهم الأيسر يشير إلى مكان « النقيرة »

حيث قال الأصمعي : إن ذات الاصاد من أسماء القليب ، بينما قال أبو عبيدة ووافقه الزمخشري على أن ذات الاصاد : ردهة وسط هضب القليب .

وقد عرف الأصمعي الردهة : بأنها نقيرة في حجر يجتمع فيها الماء .

ولما كنت مرجحاً لما ذهب إليه الأصمعي من أن ذات الاصاد اسم للقليب ، وأن الردهة نقيرة في حجر ، هذا الترجيح جعلني أسأل عن الردهة الشيخ مسعود عند الوقوف على موضع القليب فدلني عليها رغم أنها مدفونة بالرمال مع مرور الزمن .

وهى بالفعل نقيرة في الحجر يجتمع فيها الماء كما وصفها الأصمعي ،

وقد وصفتها لك وصفاً دقيقاً أثناء كلامي عن الرحلة الميدانية فارجع إلى وصفها وصورتها هناك ، ولا يفوتنك ملاحظة كلمة – (نُقَيْرَةُ) بالتصغير .

٤ – يقول ياقوت الحموي : (شعب الحيس : شعب بالشَّرَبَّةِ بين هضب القليب من أرض فزارة)

قول ياقوت : إن شعب الحيس بين هضب القليب يعني أنه واقع بين هضابه ، وهكذا شعب الحيس فقد وصفته لك بأنه يخترق وسط هضب الدياحين « هضب القليب » قديماً من الشرق إلى الغرب والقليب واقعة في وسطه، والردهة قريبة من القليب في صفاً أملس (انظر إلى صورتي شعب الحيس رقم – ١٩ – ورقم – ٢٠ –) .

٥ – ذكر الهمداني : (أن معدن الضبيب عن يسار هضب القليب :)

وفي موضع آخر قال : (والهضب هضب القليب ، والحفير حفير الضبيب معدن .)

رقم (١٩)

منظر : الجانب الغربي لشعب الحيس وأرى أن تلك الثنية هي التي وضع فيها أو خلفها ألكمين لصد « داحس » عن الغاية .

رقم (٢٠)
منظر : الجانب الشرقي لشعب الحيس .

قلت : من قول الهمداني نفهم أن من أوصاف هضب القليب وتحديد موقعه أن معدن الضبيب ، أو حفير الضبيب يقع يساراً منه ، وهو بالفعل كذلك .

ونظراً لوجود آثار تعدين قديمة واقعة شمالاً من هضب الدياحين غير بعيد منه واقعة بينه وبين هضب « شروري » – الشرار حالياً – وتسمي آثار التعدين هذه في وقتنا الحاضر « أم الدمار » .

يبدو لي أنها هى « معدن الضبيب » ، أو حفير الضبيب » وهناك واد بالقرب من هضب الدياحين يتجه من الجنوب إلى الشمال يسمي وادي «الحفير » .

وقد أشار الاستاذ عاتق بن غيث البلادي في كتابه « معجم معالم الحجاز » إلى أن هضب الدياحين (تسيل منه أودية : الحفير ، والخار شمالاً ، ووادي الحمي غرباً)[1] .

---

(١) ص / ١٧٧

ولعل من يزر ويشاهد هضب الدياحين يدرك مدى انطباق جميع النصوص عليه ، وهي النصوص التي تمكنت من حصرها والنص الوحيد الذي لم أجزم بانطباقه هو بيت ابن مقبل وقد اشبعته بحثاً .

٦ - النص الشعري الذي لم أقرأ لمن كتبوا عن وصف هضب القليب في وقتنا الحاضر أنهم ذكروه ما عدا الشيخ حمد الجاسر عند كلامه عن دارات العرب في مجلة « العرب » قَول جميل بثينة :

أشاَقَكَ عَالجٌ فإلى الكثيب إلى الدّارَات من َهضْبِ الْقَلِيبِ

إن جميل بثينة في بيته هذا ذَكر أن لهضب القليب دارات .

ومن يزر « هضب القليب » المسمى في وقتنا الحاضر « هضب الدياحين » سيرى بنفسه الدارات التي أشار اليها الشاعر في هذا البيت من الشعر .

فهناك سيرى دارة كبيرة واقعة بين الهضبين المسميين في هذا العهد هضب الدياحين وهضب « قتاد » وفي وسط تلك الدارة صفاة كبيرة يسميها سكان المنطقة « صفاة الدارة » .

وفي شعب الحيس ما يشبه الدارة كان العرب يقطنونها في السابق حول القليب .

وفي شعب يقع في شمالي الهضب يسمى في هذا العهد « أبو عقارب » من يدخله سيلاحظ فيه ما يشبه الدارة أيضاً إلى غير ذلك .

وهذا الشاهد من قول جميل بثينه يوضح لنا أن هضب القليب له دارات وتلك صفة تنطبق على هضب الدياحين .

وقد أورد ياقوت الحموي عندما تكلم عن الدارات بيت جميل بثينه هذا ففي رسم « دارة هضب » قال : (دارة هضب ويقال لها دارة هضب القليب ؛ قال جميل :

أشاقك عالج فإلى الكـــثيب إلى الدارات من هضب القليب (١))

---

(١) معجم البلدان : ٢ / ٤٣١

خلاصة البحث

هضب القليب : من المواضع الهامة في بلادنا من الناحية التاريخية نظراً لحدوث حروب حوله تعتبر من أهم أيام العرب قبيل الاسلام ؛ تلك الحرب التي دامت كما يقال أربعين عاماً اندلعت شرارتها من داخل هذا الهضب ، وتكلم علماء البلدان والمؤرخون قديماً وحديثاً عنه .

وفي نظري أننا عندما نقرأ عن هذا الهضب وما دار حوله من معارك طاحنة ورغبنا معرفة أماكن تلك المواضع بالتحديد فإننا لا نخرج بنتيجة واضحة مما يجعل أي قارىء يرتسم أمامه علامات استفهام كثيرة ، وما أقدمه هنا في هذا البحث هو محاولة للإجابة عن تلك الاستفهامات .

وخلاصة ما توصلت إليه :

١ – أن هضب القليب ليس هو « هضب شرورى » الشرار حالياً ، كما أنه ليس بهضب « القتاد » ولكنه في حقيقة الأمر « هضب الدياحين » حالياً ويعتبر قتاد جزؤه الشرقي .

٢ – كما أن « هضبة طخفة » الواقعة على ضفة وادي « الجريب » الغربية ليست هى « هضب القليب » كما هو مستقر عند علماء البلدان في عصرنا الحاضر .

٣ – إن من أهم المواضع التي ورد ذكرها في أخبار « داحس والغبراء » هى :

ذو حُسىً ، واليعمرية ، وجفر الهباءة ، وذو بقر . وغيرها .

وقد حددت تلك المواضع شمال أو غرب هضب القليب .

وقد اهتديت بدقة إلى تحديد هضب القليب هذا من واقع النصوص

القديمة التي وصفته وصفاً واضحاً لاغبار عليه ، وجميع تلك النصوص التي أوردها البلدانيون والمؤرخون تنطبق على ما يسمى في وقتنا الحاضر «هضب الدياحين » دون سواه من المواضع . ولعلي أوجز فيمايلي وصفاً له:

إنه هضب أحمر هضابه كثيرة يتخلله شعاب عدة ، ومن هذه الشعاب شعب يبدأ من وسط الهضب وينفذ غرباً ويكتنف هذا الشعب هضاب متصل بعضها ببعض من كلا جانبيه الشمالي والجنوبي ، ويوجد في منتصف هذا الشعب قليب جاهليه انطمرت مع مرور الزمن وهى القليب المسمى بها هذا الهضب . إذا وقفت على تلك القليب المدفونة واتجهت بوجهك جهة المغرب فسر حوالي ثمانين متراً فقط باتجاه حجاج عينك اليمنى عند ذلك ترى « الردهة » التي أشارت إليها النصوص القديمة وهى عبارة عن « نُقَيْرةٍ » في حجر ، وقد لا ينتبه البعض إلى النص الوارد حول تلك النقيرة إلى كتابة اسمها بعبارة التصغير الأمر الذي جعل البعض يطلق عليها لفظ « بركة » تجوزاً .

هذا الشعب هو « شعب الحيس » وهو شعب جميل المناظر زاد من جماله تربته الرملية الحمراء وشجيراته المنتشرة هنا وهناك ، ويوجد في الجانب الجنوبي في عرض الجبل غار كبير يتسع لفئام من الناس تظله صخرة كبيرة كالخيمة (انظر صورة هذا الغار الصورة رقم -٢١ -)

ويبدو لي أن حذيفة بن بدر وهو يقطن في هذا الشعب قد اتخذ هذا الغار مجلساً له لكونه يطل على معظم هذا الشعب خاصة القليب والردهة وما حولهما ، وكأني بالجالس في هذا الغار في السنين الماضية يشاهد ويسمع الخيل بصهيلها ، والإبل برغائها في أرجاء هذا الشعب .

كما يشاهد القادمين والذاهبين ، ويتمتع بمشاهدة المياه الرقراقة تتحدر من تلك التلعة المقابلة له الموجود بها « الشقب » كما يشاهد الصبايا غاديات رائحات يرتوين من ماء « القليب » أو ماء المطر الصافي في الشقب.

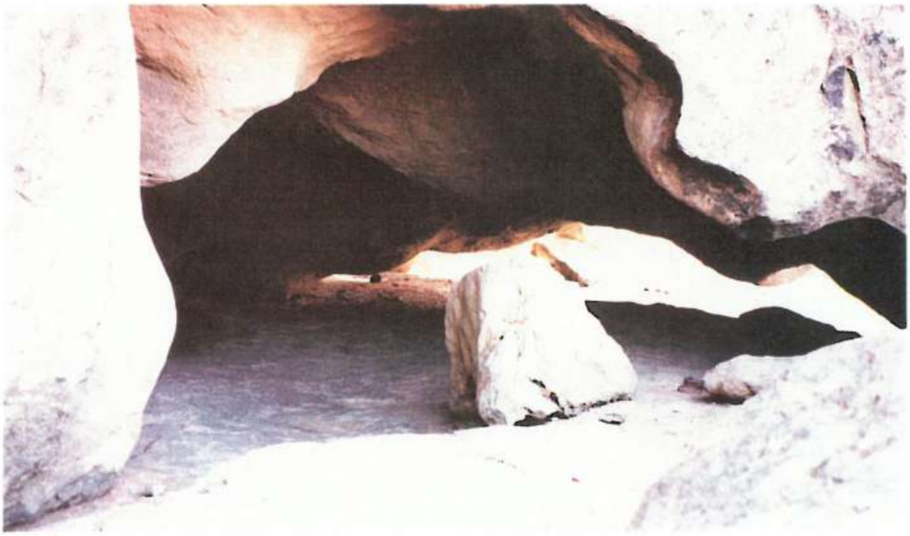

رقم (٢١)

منظر : « الغار » الموجود في صفحة الجبل الجنوبي للشعب وهو يطل على وسط الشعب ، والقليب ، والردهة .

وكان حذيفة بن بدر يلقب « رَبُّ مُعَدّ » ضلالاً وتجبراً فأهلكه الله رب الأرباب في جفر الهباءة بسبب تجبره ونقضه للعهود والمواثيق ، ولم يحل بينه وبين الفناء العز والمنعة .

ومن النصوص الكثيرة التي مرت معنا في هذا البحث وما اتضح لي من الزيارة الميدانية ودراسة تلك الأماكن عن قرب يمكنني القول :

إن « هضب القليب » هو ما يطلق عليه في وقتنا الحاضر « هضب الدياحين » دون سواه من المواضع التي أطلق عليها هضب القليب .

أرجو أن أكون هديت إلى الصواب فيما قدمت ، وأتيت بما يفيد المتخصصين في هذا المجال .

الموضع : (الثاني)

« أطلال خولة »

تحقيــق :

- هضبة ثهمد -

(وبرقتها)

أطلال خولة

في إحدى الرحلات مررت بهضبة حمراء منفردة ذات رؤوس تقع شمال قرية « القاعية » يشاهدها السائر على الطريق العام بين الرياض والطائف مروراً بالدوادمي وعفيف .

لفت نظري شكلها ووجودها منفردة بعيدة عن الجبال الأخرى ، فسألت عن اسمها فقيل لي إن اسمها « شرثة » وبعد انتهاء الرحلة رجعت إلى « معجم عالية نجد » لمؤلفه الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل نظراً لوجود تلك الهضبة ضمن نطاقه .

والحق يقال فإن مؤلفنا أجاد وأفاد في مؤلفه هذا فكثيراً ما يغنيك عن الرجوع للمعاجم الأخرى التي قد لا تسعف في بعض الأحيان خاصة إذا كان العَلَمُ المراد البحث عنه قد تغير اسمه ، وذلك لما للمؤلف من باع طويل في الإلمام بما ورد في المعاجم القديمة ، ولخبرته الواسعة في المسميات القديمة والحديثة للمواضع وتجواله ومشاهداته على الطبيعة لكثير من تلك المواضع . ولما حواه هذا المعجم من استنباط ومقارنة في كثير من المسميات حتى يصل بالقارئ إلى بغيته .

وبالرجوع لهذا المعجم للبحث عن هضبة « شرثة » تبين لي أن المؤلف انتهى به الرأي إلى أن الهضبة هي « ثَهْمَد » .

وعند ذكر ثهمد يتذكر المرء الشاعر طرفة بن العبد البكري حيث ورد اسم ثهمد في مطلع معلقته حيث قال :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

والواقع أنني لم أقرأ فيما سبق عن موقع ثهمد وبرقته ولا أين يكونا

سوى ما يمر بي من ذكر لهذا الجبل في بعض أبيات من الشعر ، ومن ضمنها بيت طرفة هذا ، ولا أدري ما هو السر في خفة لفظ « ثهمد » فلها في النفس وقع خاص لا يحس بهذا الوقع إلا نفس كنفس شاعرنا طرفة حيث اختار من بين المواضع الكثيرة هذا الموضع ليتذكر محبوبته على جَرْس لفظه ، وقد يكون أكثر منه عذوبة في اللفظ اسم « خولة » . على كل المعنى في قلب الشاعر ، وما يهمنا هنا جبلنا ثهمد لاحب وهيام طرفة بن العبد بمحبوبته وبكائه حول اطلالها التي لاحت له كباقي الوشم في ظاهر اليد .

ولا أدري السبب الذي جعلني لا أقتنع في قرارة نفسي بأن تلك الهضبة هي ثهمد ، وأن ثهمداً لابد أن تكون في مكان غير هذا .

وفيمايلي ماورد في معجم عالية نجد حول ذلك : -

(شرثة : هضبة حمراء لها قمتان متناوحتان متسامتتان مفترقتان قريباً من الأرض ، قريبة إحداهما من الأخرى ، لونها أحمر ذهبي متلألىء ، تقع هذه الهضبة فريدة في ميثاء من الأرض يحف بها من جميع جهاتها برقة سهلة .

تقع غرباً من الأنسر وشرقاً من خفا والعرائس ، وشمالاً من قرية القاعية ...

في القديم هذه البلاد لِغَنِيّ ، وقد دخلت في حمى ضرية ، وهي من بلاد الوضح ، وضح غني .

ويبدو لي أن تسميتها هذه حديثة ، وأنها هي جبل ثهمد ، لأن اسم شرثة غير معروف قديماً ، ولأن الوصف الجغرافي والتحديد الذي ورد في كتب المعاجم وفي الشعر العربي لجبل ثهمد ينطبق تمام الانطباق على هذه الهضبة ، ثم إن اسم ثهمد غير معروف في هذا العهد .

سبق نشر هذا البحث في جريدة الجزيرة ، الأعداد رقم ٦٨٢٣ ، ٦٨٢٤ ، ٦٨٢٥ شهر ذو القعدة عام ١٤١١ هـ

قال البكري : ويلي الأنسر ثهمد ، وهو جبل أحمر وحوله أبارق كثيرة ، وهو بأرض سهلة في خط غني ، قال ابن لجأ في ثهمد :

سَقى ثَهْمَداً من يرسل الغيث وابلاً　　فيـــروي وأعلاماً يقابلن ثهمدا

وما نزلت من برقـــة حـــول ثهمـد　　سعاد وطود يترك الطرف أقودا

ثم يلي ثهمداً سويقة ، وهي هضبة حمراء فاردة طويلة رأسها محدبة وهي في الحمى ، وسويقة في أرض الضباب : وقال دريد :

وأنبأتهم أن الأحالف أصبحت　　مُخَيِّمَةً بين النســـار وثهمد

قلت : – المؤلف – ما تضمنته هذه العبارة وما فيها من شواهد في وصف وتحديد ثهمد لا يدع مجالاً للشك في القول أن شرثة هي ثهمد . فالنِّسار مازالت معروفة باسمها قريبة منها ، وليس بينها وبينها أعلام ، وهـي محفوفة بأبارق كثيرة .

وقال ياقوت : ثهمد : بالفتح ، مرتجل ، قال نصر : ثهمد جبل أحمر فارد، من أخيلة الحمى حوله أبارق كثيرة ، في ديار غني . وقال غيره : ثهمد : موضع في ديار بني عامر قال طرفة : لخولة أطلال ببرقة ثهمد .

وقال الأعشي :

هَلْ تذكرين الْعَهْدَ يابنةَ مَالكٍ　　أيام نرتبع الســـتار فَثَهمدَا

قلت : – المؤلف – يبدو لي أن صحـة بيت الأعشى (نرتبع النِّسـار فثهمدا) لأن النسار قريبة من ثهمد وكثيراً ما تذكر مقرونة بها . أما الستار فإنه لا يوجد في بلاد غني ولا قريباً منها موضع يدعى الستار ، وكل المواضع التي تسمي الستار بعيدة منها .

أما من قال : إنَّ ثهمداً موضع في بلاد بني عامر ، فيبدو لي أنه اعتمد في قوله على قرب بلاد غني من بلاد بني عامر .

وقال الأعشى أيضاً :

أتنسين أياماً لنا بدُحَيْضَةَ وأيامنا بين البدَيّ وثهمد

ونلاحظ هنا أن الأعشى ذكر ثهمدا مقروناً بالبدي ، والبدي واد يقع شرقاً منه غير بعيد وقال أبو علي الهجري : أنشدني موازر بن خرشة الجمالي من معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل :

أتعرف أطلالاً يقابلن ثَهْمَداً وخيماً عَفاَ من أهلِه وتأَبَّدا

ثهمد : هضبة بالحزيز ، حزيز غني وهي فاردة .

وقال أيضاً : ويلي الأنسر ثهمد ، وهو جبل أحمر ، وحوله أبارق كثيرة ، وهو بأرض سهلة في خط غني ، ثم ذكر شعر ابن لجأ المتقدم بِنَصِّهِ ثم قال :

ثم يلي ثهمداً سويقه وهي هضبة حمراء فاردة طويلة رأسها محدَّد ، وهى في الحمى .

قلت – المؤلف – لا يوجد بقرب النسار وقرب سويقه هضبة ينطبق عليها هذا الوصف الجغرافي وهذا التحديد الذي اتفق عليه أصحاب المعاجم إلا هضبة شرثة .

ومما يؤيد القول أن هضبة شرثة هي جبل ثهمد ويدل على قربه من النسار ومن البدي كما أسلفت قول ابن مقبل :

تَزَوَّدَ رَيَّا أم سَهْم مَحَلُّهاَ فروُعَ النسار فالبديّ فثهمَدا

تراءت لنا يوم النِّسَار بِفَاحِمٍ وسُنَّة ريْم خاَف سمعاً فأوفَدا

ومن زار هذه البلاد وشاهد معالمها لم يبق عنده شك في أن هضبة شرثة هي جبل ثهمد .

ومن كان في النِّسَار رأى شرثة ببصره ، لارتفاعها وقرب بعضها من بعض أما ما قاله محمد بن بليهد : إن سناف حيد الردامي هو ثهمد ، فالواقع أن صفات حيد الردامي وموقعه لا تتفق مع وصف ثهمد وتحديده

في كتب المعاجم .

فحيد الردامي سناف منطرح في الأرض بعيد عن النسار وسويقة ، والمؤرخون ذكروا أن ثهمداً جبل أحمر وحوله أبارق ، وهذا الوصف لا ينطبق على سناف حيد الردامي [1] .)

إنتهى ما أورده مؤلف (عالية نجد) .

ويحسن هنا أن نورد ما قاله الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله في كتابه (صحيح الأخبار) مادام أن هناك اختلاف في وجهة النظر بين هذين الباحثين . يقول :

(أما ثهمد وبرقَةُ فإنا لما أمعنا النظر فيما وقفنا عليه من تحديد موقعه في كتب المعاجم وشروح الأشعار الواردة في ذلك ، اهتدينا إلى موضعه الآن ، لكنه قد تغير اسمه ، حدده الهَمْداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال : هو واقع في حزيز وضاخ الذي يمتد منه إلى حليت ؛ والموجود هناك سناف أسود يقال له اليوم « حَيد الردامي » يتصل غرباً بحزوم وأبارق ، وهي البرقة التي ذكرها طرفة في قوله :

« ببرقة ثهمد » وثهمد : هو من حيد الرادمي المسمى اليوم بهذا الاسم، قال الأعشى :

هل تذكرين العهد يابنة مالكٍ أيام نرتبع السِّتَارَ فَثَهمَدَا

والسِّتار الذي عناه الأعشى موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، لا يبعد عن أبارق ثهمد إلا أقل من نصف يوم ، - يقصد للإبل المحملة - والسِّتار المذكور : واقع بين غول ومنية اللذين ذكرهما لبيد بن ربيعة في معلقته .

ولست أعرف في جزيرة العرب موضعاً يطلق عليه اليوم اسم ثهمد ، ولكنه على حسب تحديد الهمداني واقع عند حيد الردامي من غير إشكال .

والأبارق المضافة إليه واقعة في غربيه الجنوبي ممايلي الستار ، الذي

---

(١) معجم عالية نجد : ص ص ١/ ٧٤٠ - ٧٤٣ .

ذكره الأعشى وهو غير السِّتار الذي ذكره أمرؤ القيس ؛ لأن الذي ذكره أمرؤ القيس في حمَى ضرية والذي ذكره الأعشى واقع في شرقي طخفة شمالي غول قريباً من منيه [1] .) انتهى .

هذا ما أورده المؤلفان حول تحديد موقع ثهمد ، ويظهر لي أننا حينما جئنا لنبحث عن ثهمد وبرقته كَعَلَمٍ من أعلام عالية نجد التي كانت مرتعاً لفحول شعراء العرب ، تلك الأعلام التي اهتدى بها أسلافنا لتحديد الديار والذكريات ، وجدنا أنفسنا في حيرة من تحديد مكانه كحيرة صاحبنا طَرَفَة حينما جاء يبحث عن صاحبته فلم يجدها .

وقد استقرأ كل من المؤلفين النصوص الواردة في معاجم البلدان ، والشعر العربي حول ذلك فخلص كل منهما إلى رأي ، ولكن الرأيين غير متقاربين .

فالأول : يحدد مكان ثهمد بحيث يراه المسافر من الرياض إلى الطائف إذا كان في المنتصف بين الدوادمي وعفيف والتفت يميناً يراه شمالاً عن قرية القاعية غير بعيد .

والثاني : يحدد مكانه في أطراف منطقة القصيم الجنوبية الغربية ، أي جنوباً غربياً من بلدة « دخنة » غير بعيد منها .

ونظراً لبعد المكانين عن بعضهما لا أستبعد أن يبرز للقارىء كما برز لي علامة استفهام كبيرة بين الجملتين اللتين قالها كل واحد منهما وهما :

(بما لا يدع مجالاً للشك) ؟!! و (من غير إشكال)

وإذا سمحت لنفسي أن أفترض إجابة لعلامة الاستفهام هذه أقول :

إن هناك إجابة قد تكون صحيحة على ضوء نص مفقود لم يتبين حتى الآن لكي يسهم في التقريب بين الرأيين أو يرجح أحدهما على الآخر حتى نصل إلى نتيجة أوضح .

ومادمت سمحت لنفسي بافتراض الإجابة فلابد أن أدلي بدلوي مع

---

(١) صحيح الأخبار : ص ١٦٢/١

دلويهما وأرجو أن أوفق .

ويبدو لي أنه من الأصوب استعراض النصوص التي أوردها كل منهما لنرى مدى انطباقها مع وصف ثهمد وموقعه طبقاً للنصوص الواردة في المراجع القديمة إذ هي الحكم والفَيْصل في هذا الشأن .

مناقشة النصوص التي أوردها مؤلف « عالية نجد »

النص الأول :

أورد المؤلف قول « البكري » (ويلى الأنسر ثهمد ، وهو جبل أحمر وحوله أبارق كثيرة وهو بأرض سهلة في خط غني ، – وأورد بيتي ابن لجأ – .

ثم يلي ثهمداً سويقة ، وهي هضبة حمراء ، فاردة طويلة رأسها محدبة وهي في الحمى ، وسويقة في أرض الضباب . – وأورد بيت دريد –

قلت – المؤلف – : ما تضمنته هذه العبارة وما فيها من شواهد في وصف وتحديد ثهمد لا يدع مجالاً للشك في القول أن شرثة هي ثهمد . فالنسار مازالت معروفة باسمها قريبة منها . وهضبة سويقة مازالت معروفة باسمها واقعة شمالاً منها وليس بينهما أعلام ، وهي محفوفة بأبارق كثيرة. انتهي)

المناقشة :

١ – يبدو لي أن البكري رحمه الله نقل هذا النص من تأليف أبي علي الهجري .

وعبارة « خط غني » ليست واضحة بالنسبة لي ، وقد يكون القصد منها « حزيز غني » ومعروف أن حزيز غني بعيد جداً عن المكان الذي

تقع فيه هضبة (شرثة) من ناحية الشمال الشرقي ،

وإذا كان القصد من العبارة بلاد غني فبلاد غني واسعة وهذا طرفها الجنوبي الغربي ، وقد حدد الهجري ثهمد في حزيز غني في موضع آخر من الكتاب نفسه .

٢ - مما يظهر من كلام مؤلف العالية أنه فهم عبارة (ويلى الأنسر ثهمد) وكذا عبارة (ثم يلي ثهمداً سويقة) على أن تلك الأماكن الموصوفة قريبة جداً من بعضها .

وما أميل إليه هو عدم الانسياق وراء كلمة « يلي » فقد يكون بين العلمين المتواليين على حد قول البكري ، أو من روى عنه أودية وجبالاً أخرى ولكنها لا تعنيه ولذا لم يذكرها ، وكدليل على ذلك انظر إلى ما قاله البكري في الصفحة التي تلي الصفحة الموجود فيها هذا النص حيث قال : (ثم الجبال التي تلي سويقة شرقي حليت)

فكم من الجبال والأودية جنوب أوشمال حليت ، ومعروف أن سويقة تقع في الجهة الغربية من جبل حليت ، والبكري جعل الجبال التي شرق حليت تلي سويقة أيضاً ، وهي بلاشك بعيدة منها .

وقد يبدو للقارىء أن سويقة قريبة جداً من هضبة « شرثة » بحيث لا تبعد عنها أكثر من خمسة أكيال مثلاً ، ولكن البعد أكثر، والمسافة بينهما خمسة وثلاثون كيلاً، وكثيراً ما تذكر سويقة مع غول وطخفة لقربها منهما فهي لا تبعد عن غول الواقع عنها شمالاً بأكثر من خمسة وعشرين كيلاً والشيخ حمد الجاسر عندما وصف لنا سويقة ربطها بغول وطخفة ولم يربطها مثلاً بالنير ونضاد . وأحب أن أنبه إلى أن النص أعلاه وصف سويقة بأن رأسها « محدبة » ويظهر أن هذه الكلمة حصل فيها تصحيف فرأس سويقة قيل : إنه محدد . وزيادة في الإيضاح فإن رأس سويقة إلى جانب كونه محدد فهو مشطور نصفين للناظر إليها من جهة الشرق أو

الغرب وأنظر إلى صورتها رقم (٣٣) .

وهضبة «شرثة» التي نتكلم عنها واقعة في طرف وضح الحمى الشرقي، ومما يؤيد عدم كونها ثهمداً ماجاء في هذا البيت لزهير بن أحمد العقيلي ضمن أبيات يصف فيها اتساع السحاب المطر على الجزيرة العربية :

إذا ماعلَتْ أَسْبالُهُ وَضَحَ الحِمَى إلىَ ثَهْمدٍ أرسَى بها وتَزَيَّدا(١)

وهذا التحديد يدل على أن ثهمداً بعيد عن وضح الحمى وليس داخلاً فيه.

النص الثاني:

أما الاستشهاد بقول ابن لجإ في ثهمد :

سقى ثهمداً من يرسل الغيث وابلاً فَيُرْوِي وأعلاماً يقابلن ثهمداً

ومانــزلت من برقـة حول ثهمـد سعاد وطود يترك الطرف أقودا

فإن الكلمات التي وردت في هذين البيتين تحتاج إلى شرح دقيق لعل فهمنا لمعاني تلك الكلمات يسهم في دلالتنا إلى طريق ثهمد، علماً بأنه روي بدل كلمة «حول» كلمة «فوق» وبدل «وطود» كلمة «وطرف» وأترك شرح هذين البيتين لمن له با ع طويل في ذلك عسى أن يرشدنا .

النص الثالث:

أورد البكري بيت دريد بن الصمة :

وأنبأتهم أن الأحالف أصبحت مخيمة بين النِّسار وثهمد

(١) شعراء بني عقيل وشعرهم : للدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل ص ٢/ ٧٥

واستدل المؤلف بهذا الشاهد على قرب ثهمد من النسار لأن الأحالف خيمت بينهما وهذا استشهاد في محله لو كانت تلك الرواية لبيت دريد هي الصحيحة، ولكن إذا رجعنا للنص في كتاب البكري «معجم ما استعجم» وأمعنا النظر وجدنا شارح الكتاب يقول في الهامش حول كلمة «النسار»: في ج الستار) .

ويبدو لي أن ملاحظة الشارح في محلها إذ أن البكري نقل النص بكامله من الهجري بما في ذلك الكلمات المصحفة ومنها فيما يظهر لي كلمة «النِّسـار».

فهل دريد أخبر قومه أن الأحالف - أو الأحاليف في رواية أخرى - مخيمة بين النسار وثهمد ، أو بين الستار وثهمد ؟ لنرى هل هناك رواية أخرى لهذا البيت ؟ .

في مؤلف البكري نفسه «معجم ما استعجم» يقول : (ثهمد جبل في حمى ضرية قد ذكرته في رسمها وينبئك أنه تلقاء السِّتار قول دريد بن الصمة :

وقلت لهم إن الأحاليف أصبحت مخيمة بين السِّتار فثهمد[1]

والبكري هنا يخبرنا بعبارة واضحة أن ثهمداً تلقاء الستار وليس تلقاء النسار مما يدل على أن كلمة النسار في البيت مصحفة لدى الهجري .

وإذا رجعنا إلى نص هذا البيت من الشعر في ديوان دريد بن الصمة نجده كالآتي :

وقلت لهم : إن الأحاليف أصبحت مُطَنِّبَةً بين السِّتار فثهمد

---

(١) معجم ما استعجم : ص ١ / ٣٤٧ .

ولما رأيت الخيل قُبلاً كأنها جَرَادٌ يباري وجهة الريح مغتدي
أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النُّصْحَ إلاَّضُحَى الغد

أنظر القصيدة كاملة في الديوان جمع وتحقيق وشرح الأستاذ محمد خير البقاعي..

وإذا ماعدنا إلى قراءة قصة المعركة التي دارت بين قبيلة دريد بن الصمة ومن معها ، وبين قبيلة غطفان ومن ساعدها والتي تسمى «يوم اللوى» نجد :

أن عبدالله بن الصمة أخو شاعرنا دريد غزا غطفان فانتصر عليهم وساق أموالهم غنيمة، ولم يذهب بعيداً حتى أمر بالنزول، فأشار عليه أخوه دريد بقوله :

نشدتك الله ألاَّ تنزل فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها. فأقسم أخوه لايريم حتى يأكل ويطعم ويقسم الغنائم بين أصحابه. وكان الأمر كما قال دريد فقد تجمعت غطفان، ومن حالفهم فلحقوا بهم بالمنعرج من (رميلة اللوى) فاقتتلوا .

وقصة المعركة التي دارت لاتهمنا بقدر ما يهمنا فهم المناسبة التي قيل فيها هذا البيت الوارد في القصيدة .

فدريد بن الصمة أخبر أخاه ومن معه أن الأحاليف مخيمة بين السِّتار وثهمد، وحينما أخبرهم كانوا نازلين بمنعرج اللوى، ولعلنا نتساءل أين منعرج اللوى ؟

اللوى هنا هو «عريق الدسم» كما يسمى حالياً : ومنعرجه ليس طرفه الجنوبي الواقع غرب جبل شعر الذي يقابله من الشرق «الأنسر أو

النسـار». وإنما منعرج اللوى شمالاً من ذلك بكثير ، وذلك عندما ينحني الرمل باتجاه الشرق، وهذا المنحني يقابل «السِّتار» لا «النِّسار» .

وهناك استنتاج آخر وهو أن الجيش المتجمع بعد الهزيمة لابد أن يخيم في مكان خفي بعيد عن مراقبة أعدائه حتى يستكمل عدته، ويتجمع أنصاره، ويكون قادراً على الهجوم لرد اعتباره واستعادة ماسلب منه؛ فهل يعقل أن يخيم هذا الجيش بين «الأنسر» وبين هضبة «شرثة» التي يقول عنها مؤلف عالية نجد إنها هي «ثهمد»؟ فالأرض هناك مكشوفة كراحة اليد ، وإنما خيم هذا الجيش قرب «السِّتار» جنوباً منه وأفضل مكان يخيم فيه مثل هذا الجيش هو «هضب مداخل» وبالتحديد في هضب المخامر، ولهذا سميت المخامر بهذا الإسم لأن من ينزلها يعتبر بعيداً عن العيون .

النص الرابع :

علق المؤلف على بيت الأعشى الذي أورده ياقوت في معجمه حين قال : (وقال غيره : ثهمد في ديار بني عامر قال طرفة (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) وقال الأعشى :

هل تذكرين العهد يا ابنت مالك   أيام نرتبع السِّتار فثهمدا

علق بقوله : يبدو لي أن صحة بيت الأعشى (نرتبع النِّسار فثهمدا) لأن النسار قريبة من ثهمد، وكثيراً ما تذكر مقرونة بها، أما السِّتار فإنه لايوجد في بلاد غنيّ ولا قريباً منها موضع يدعى السِّتار، وكل المواضع التي تسمى السِّتار بعيدة منها . انتهى .

أقول : نظراً لاقتناع مؤلفنا بأن «شرثة» هي ثهمد استغرب ورود كلمة

«الستار» في بيت الأعشى، فبدا له أن صحة البيت (نرتبع النِّسار فثهمدا) وذلك لأن النِّسار قريبة من ثهمد الذي استقر عنده موقعه وهو «شرثة».

والذي ظهر لي أن الصحة كما ورد في البيت «نرتبع الستار فثهمدا» لأن الستار قريب فعلاً من ثهمد الذي سأحدد موقعه إن شاء الله فيما بعد، والذي سبقني إلى الاتجاه الصحيح إليه الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ .

أما قول المؤلف (إنه لايوجد في بلاد غني ولا قريباً منها موضع يدعى الستار وكل المواضع التي تسمى السِّتار بعيدة منها).

أقول : قبل أن نتكلم عن جبل اسمه الستار موجود في بلاد غني يلزمنا أن نحدد بلاد غني هذه حتى نتوصل إلى القول الصحيح حول هذا الموضوع.

يقول ياقوت الحموي في معجمه: (حزيز غنيٍّ فيما بين جبلة وشرقي الحمى إلى أضاخ أرض واسعة)[1] ويقول في موضع آخر: (حزيز أضاخ: لغني ونمير إلى سواج النتاءة وهو حدهم وهو جبل لغنيٍّ إلى النميرة واحسبه الذي تقدم ذكره)[2]، ويقول الهجري: ص (٢٢٤): (حزيز أضاخ: حدثني ابن معضاد السلمي من بني جعفر بن كلاب قال: أول الحزيز وأنت تريد الشرق الريان، وإمرة ماءتان. وأنت تريد اليمامه، وآخره النشاش وعرجه وهي ماءة). إلخ.

إذاً بلاد غني واسعة جداً ولن تبخل علينا بجبل يسمى «السِّتار».

ومادمنا نبحث الآن عن جبل في أطراف القصيم فأفضل مرجع نبحث فيه هو «معجم بلاد القصيم» للاستاذ محمد بن ناصر العبودي فلنقلب صفحات هذا المعجم، لنجد فيه مانصه:

(الرُّبوض: جبل أحمر منبطح أي غير مرتفع مستطيل نوعاً، استطالته من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بينه وبين جبل «إمَّرَة» حوالي تسعة

(١) معجم البلدان : ص ٢/٢٥٦.
(٢) معجم البلدان : ص ٢/٢٥٧.

أكيال إلى جهة الجنوب الغربي منها ـ أي: من إمرة ـ أقرب القرى المعمورة إليه «دخنة» إلى الشرق منه والشبيكية إلى الغرب منه.

وهو واقع في طريق حاج البصرة إلى مكة ذلك الطريق الذي لايزال معروفاً لأهل البادية في تلك الناحية، ويقولون إن طريق الحاج يمر مع ثنية في شماليه تمر معها السيارات الآن. وتسميته محدثة أخذتها العامة من وصفه ذلك بأنه متطامن ليس شامخ الارتفاع فكأنه بالنسبة لباقي الجبال رابض وهي واقفة.

واسمه القديم «الستار» هذا مالا شك فيه)[1] انتهى .

ثم استدل بما أورده أبو علي الهجري ـ رحمه الله ـ حول الستار.

إذاً الأمر ليس كما قال مؤلف معجم العالية فهذا جبل اسمه الستار داخل الحمى وفي بلاد غنيّ أيضاً.

أما قول المؤلف حول ما أورده ياقوت في معجمه بشأن من قال: إن ثهمداً موضع في ديار بني عامر حيث قال (أما من قال إن ثهمداً موضع في بلاد بني عامر فيبدو لي أنه اعتمد في قوله على قرب بلاد غني من بلاد بني عامر).

فأقول هذا استنباط جيد لو كان هناك اقتناع جازم أن هضبة شرثه هي ثهمد، ولكني أقول: إن ثهمداً ليست هضبة «شرثة»، وإنما هي هضبة أخرى بالقرب من هضبة «مِنَى» ـ مِنْيَة ـ كما تسمى حالياً، والتي وردت في مطلع معلقة لبيد بن ربيعة العامري:

عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبد غولها فرجامهـــــا

فهذا أحد أبناء قبيلة بني عامر يتغنى ويذكر هضبة تقع ثهمد بجوارها.

النص الخامس :

أورد المولف بيت الأعشى :

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٣/ ١٠٠٠

أتنسين أياماً لنا بدحيضة وأيامنا بين البدي وثهمد

وعلق على هذا البيت بقوله (نلاحظ هنا أن الأعشى ذكر ثهمداً مقروناً بالبدي والبدي واد يقع شرقاً غير بعيد.

أقول : إن المؤلف بذل جهدا يشكر عليه في تحديد موقع وادي «البدي» الذي حصر الأعشى بينه وبين ثهمد منزلاً يُذَكِّرُ محبوبته بما جرى لهما فيه، غير أني أرى أن أستاذنا ربما طوّع بعض النصوص الشعرية لكي يقربها لتنطبق على الوادي الذي حدده ليكون قريباً من ثهمد.

ولست في مجال بحث وادي البدي هنا، وقد يكون لذلك البحث مكان آخر، والذي يهمني كما يهم مؤلف «عالية نجد» أن يوجد لدينا واد اسمه «البدي» قريباً من الموقع الذي حدده بوادي «جهام» ولكن النصوص قد لا تسعفنا بشكل قاطع. على أنني سأتكلم عن المواضع التي وردت وخاصة «دحيضة».

النصوص التي اعتمد عليها مؤلف «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار»:

النص الأول :

قال مافحواه : (إنه بعد إمعان النظر فيما وقف عليه من تحديد موقع ثهمد في كتب المعاجم وشروح الأشعار الواردة في ذلك تمكن من الاهتداء إلى موضعه لكنه قد تغير اسمه)

أقول: إن مؤلف كتاب «صحيح الأخبار» إلى جانب كونه مؤرخاً فهو شاعر، وقد يكون فهم من أبيات الشعر أو النصوص التاريخية التي وقف عليها وورد فيها ذكر ثهمد وبرقته مامكنه من الاهتداء إلى الجهة الموجود

فيها، ولكنه رحمه الله لم يورد لنا النصوص التي فهم منها ذلك ومرجعه فيها، لعلها تنير لنا الطريق إلى موقع ثهمد الصحيح.

النص الثانى :

ما أورده من كتاب «صفة جزيرة العرب» للمهداني، حيث قال: (إنه واقع في حزيز أضاخ الذي يمتد منه إلى حليت).

لو ذكر لنا النص كاملاً مع ذكر الصفحة من كتاب الهمداني لكان أفضل وقد يقف عند النص إذا وجد من ينشد الحقيقة، ولكنه لايدري أنه سيأتي من يتطفل على هذا العلم مثلي ويناقش تلك النصوص، وعلى كل فهو رحمه الله أعطى المؤشر الصحيح لموقع ثهمد.

أما كون ثهمد هو «حيد الرادمي» وبرقه التي في جهته الجنوبية الغربية فهذا مالا أظنه.

النص الثالث :

إيراده بيت الأعشى :

هل تذكرين العهد يابنت مالك أيام نرتبع الستار فثهمدا

حيث قال : والستار الذي عناه الأعشى موجود بهذا الإسم إلى هذا اليوم لايبعد عن أبارق ثهمد إلا أقل من مسافة نصف يوم إلخ) - يقصد لراكبي الأبل المحملة - .

أقول : كان رحمه الله جواباً لنواحي نجد يعرف جبالها، وأوديتها، وموارد مياهها، ولتأكده من الجهة التي يقع فيها ثهمد عرف أن قريباً منه جبل يقال له الستار مع أن اسمه قد تغير : ونتيجة لبحثه في المراجع القديمة، أو لقراءاته في الكتب المتخصصة عثر على نص الهجري الذي ساقه لنا الأستاذ / محمد العبودي في معجمه فاهتدى لموقع الستار الذي عناه الأعشى في هذا البيت.

ولكني أحب أن أنبه هنا إلى أنه ذكر (أن الستار المذكور الذي عناه

الأعشى واقع بين غول ومنية الذين ذكرهما لبيد بن ربيعة في معلقته) .

وهذا التحديد غير دقيق ولا أعرف كيف حصل هذا وهو الرجل المدرك لما يقول، وهذا غير مقصود بلا شك لأنه ذكر بعد ذلك: (أن الستار الذي ذكره الأعشى واقع شرق طخفة شمالي غول قريباً من منية) وهذا هو الأصح.

وقد حدده لنا مؤلف معجم بلاد القصيم تحديداً دقيقاً واضحاً لا غبار عليه.

لكل ماسبق :

أظن أن القارىء كون صورة ولو غير واضحة ـ لثهمد وبرقته من واقع مامر بنا من النصوص الشعرية، وأقوال البلدانيين، وقد يتساءل القارىء معي كيف صعب تحديد موقع هذا الجبل رغم كثرة النصوص التي وردت فيه، وكأنما «خولة» عندما رحلت عن برقته هام بها وتبعها أيضاً، ومادمنا نتخيل فقد لايكون هذا غريباً على ثهمد وقد سبقته هضبة «طمية» حيث رحلت من مكانها لنفس السبب، وكفانا الله شرَّ الحب والهيام وهمه وحقيقتـه .

كما قد يتساءل القارىء هل لفظ «ثهمد» مؤنث أو مذكر؟ فأقول: من قال إن ثهمداً جبل ذَكَّرَه، ومن قال إنه هضبة أنثه، ولو رجعنا إلى النصوص التي مرت بنا والمستقاة من المراجع نجد أن البعض يقول جبل والبعض الآخر يقول هضبة.

هل حول هضبة «شرثة» برقة ؟

الشاعر طرفة بن العبد يقول «لخولة أطلال ببرقة ثهمد» فما هو تعريف البرقة؟

قد يقول قائل : وماشأننا بالدخول في التعريفات اللغوية والتدقيق الذي قد يطيل البحث في الموضوع وقد لانخرج بنتيجة واضحة؟ .

فأقول: إننا أمام الفاظ تفوه بها شاعر عربي فصيح اللغة عاش في العصر الجاهلي ومات قبل هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بسبعين عاماً، ولاشك أن اللغة العربية في عصر هذا الشاعر كانت أرقى اللغات وأسماها لما تتمتع به من فصاحة وبلاغة لها ضوابطها وموازينها الدقيقة، ولذا نزل القرآن الحكيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه اللغة الفصيحة كمعجزة لهؤلاء الفصحاء البلغاء وهداية للناس جميعاً.

وعندما مات الرعيل الأول الذي تلقى القرآن وهو ينزل له حلاوة وطلاوة على مسامعهم وأفهامهم، وجاء مَنْ بعدهم، وقد دخل تلك الضوابط مادخلها، واحتاجوا إلى إيضاح بعض معاني القرآن. رجعوا إلى مافسره لهم هادي البشرية صلى الله عليه وسلم أو سلف الأمة، وإذا لم يجدوا ذلك واستعصى عليهم فهم لفظ، أو تركيب جملة، رجعوا إلى كلام العرب الفصحاء الذين نزل بلغتهم هذا القرآن.

فكثيراً ما استشهد المفسرون باشعارهم كشواهد لتفسير بعض الكلمات، وفي مسائل النحو (وقد اشترط علماء البصرة والكوفة بعد أن قامت المناظرات بينهم في فروع النحو ومسائله أن يستشهد بأشعار الطبقتين الجاهليين والمخضرمين ثم اختلفوا في الإسلاميين كجرير والفرزدق، وأكثرهم على جواز الاستشهاد باشعارهم ومفسروا القرآن عندما يرجعون إلى الشعر العربي الذي قيل في هذه الحقبة من حياة العرب يدركون ما لهذا الشعر من قيمة من حيث المعنى واللفظ.

تلك الحقبة هي التي ضُرِبَ فيها للنابغة الذبياني قبة من أدم ليتحاكم اليه الشعراء في أيهم أجود وأبلغ، فهل يجيز النابغة الذبياني للشاعر طرفة لو أدركه وقرأ عليه معلقته أن يقول بدلاً من كلمة «برقة» أبرق، أو صيهد، أو نقا، أو كثيب؟ حتماً لن يجيز له ذلك، ويشاركه من حضر من فصحاء

العرب، لأن لكل كلمة من هذه الكلمات مدلولها الخاص، وإن كان كل منها تدل على أرض فيها رمل.

من هذا المنطلق يحسن أن نلقي نظرة على كنه «البرقة» وماذا تدل عليه وما الفرق بينها وبين مثيلاتها المشاركات لها في وجود الرمل:

تعريف البرقة :

قواميس اللغة العربية مجمعة على أن البرقة هي إجتماع الحجارة مع الرمل والطين وتجمع على «بُرَقْ» وفرقوا بينها وبين مثيلاتها وخاصة «آلأبْرَقْ» مع قرب الشبه بينهما حيث قالوا : إن «الأربق» جمعه «أبارق».

وتعريف البرقة في وقتنا الحاضر قد يختلف عن الوقت الذي قال فيه طرفة قصيدته، ففي وقتنا إختلفت كثير من مصطلحات اللغة نتيجة للتوسع في المدلول وانتشار اللغة العامّية، وعدم الإكتراث والتقيّد باللغة العربية الفصحى. وإذا أردنا أن نُعَرِّف «البرقة» تعريفاً صائباً فما علينا إلا أخذ هذا التعريف من مصادره المتخصصة، وفي نظري فإن خير من عرف البرقة ومثيلاتها هو: الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب».

وقبل أن نورد تعريفه للبرقة يحسن أن نتعرف على مكانته اللغوية فقد نعتمد على ماجاء في تعريفه.

يقول الشيخ حمد الجاسر في مقدمة «صفة جزيرة العرب»:

الهمداني اللغوي : لما ترجمه القفطي في «أخبار الحكماء» قال: (وقد ذكرت قطعة من خبره وشعره في كتاب «النحاة»، لأنه كان من أهل اللغة، يدل على ذلك قصيدته الدامغة وشرحها يتضمن مجلداً كبيراً. والواقع أن الهمداني في هذا الكتاب وفي «صفة جزيرة العرب»، وفيما وصل إلينا من كتاب «الإكليل» يعنى عناية فائقة بالمباحث اللغوية فضلاً عن استعماله كثيراً من غريب ألفاظها، مما يدل على تبحره فيها.. إلخ).

إذاً يمكننا الاطمئنان إلى تعريف الهمداني المتلخص فيما يلي:

البرقة : المختلطة السهلة بالحجارة والجميع بُرق.

الأبارق : أبارق الرمل الخالص، وسميت الأبارق لبروق حُرَّتها، وخلوصها وطولها.

الأبرق : الواحد ماكان أسفله سهل ووسطه صخر وأعلاه سهل.

السهلة والجرعاء والأجرع: الأرض المستوية من سهلة خالصة دون البرق.

الدعص : الكثيب الأحمر الذي لايُنبت وجمعه دعاص.

النقا : الحر من الرمل .

العقد : ماطال من الرمل ولم يكن فيه طريق ولا خلول .

القوز : ماطال من الرمال وبينها خل .

التل : ما ارتفع من تراب منقول [١] انتهى.

ومما تقدم نستخلص أن البرقة : هي أرض أو أكمة خالط جميع حجارتها الرمل.

شرثة تفقد برقتها :

لنعد إلى برقة شرثة فيقول مؤلف العالية : (تقع هذه الهضبة فريدة في ميثاء من الأرض يحف بها من جميع جهاتها برقة سهلة).

وقد تجولت حول هذه الهضبة وفيما ظهر لي أنه لاينطبق وصف البرقة على مايحيط بها إذ ما يحيط بها سهلة من الرمل تأخذ في الارتفاع إذا قربت من الهضبة من جهتها الغربية لتشكل على مايطلق عليه في عصرنا الحاضر صيهد، وقد أطلق مؤلفنا وصف الصيهد على ماحول هضبة «أم المشاعيب» التي تقع غرباً منها غير بعيد.

(١) صفة جزيرة العرب : ص ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤

فيقول في وصف «أم المشاعيب»: (هضاب حمر بعضها قريب إلى بعض تقع في عثث من الأرض يحف من حولها صيهد أبيض إلخ).

وقد زرت أم المشاعيب ولاحظت أن مايحف بها سهلة خالصة كالتي تحف بهضبة شرثة.

فلذلك يمكنني القول: إنما يحف بهضبة شرثة ليس «برقة» مما يحول بيننا وبين تسميتها ثهمد. أما كوصف نستدل به في وقتنا الحاضر مع التباس واختلاط المسميات والتوسع فيها فهذا حسن. ولكن هل يرضي ذلك طرفة بن العبد، أو النابغة الذبياني المحكم لفرز جيد الشعر في سوق عكاظ؟. لا أعتقد. إضافة إلى هذا كله فإن هضبة شرثة لو كانت ثهمداً فإنها غير مستعصية الوصف فهي كما وصفها أستاذنا سعد: ولكن لها أكثر من رأس ومقسومة إلى قسمين تمر السيارة من بينهما، والقسم الجنوبي رأسه مقسوم من الأعلى نصفين بشكل ملفت للنظر لايصعب على الأقدمين وصفها، وقد تلحق بذات فرقين في التسمية (أنظر إلى صورها رقم ٢٢، ٢٣، ٢٤).

رقم (٢٢)

منظر هضبة «شرثة» من جهة الغرب

رقم (٢٣)
منظر هضبة «شرثة» من جهة الشمال

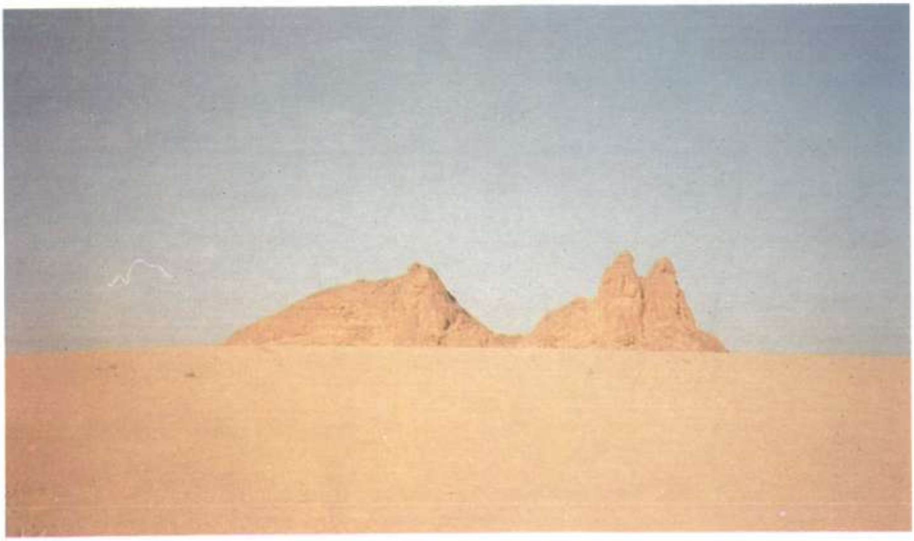

رقم (٢٤)
منظر هضبة «شرثة» من الجنوب الغربي

وعلى هذا فما دامت «شرثة» فقدت برقتها في نظري الخاص فعلى هذا الأساس تفقد وصفها بأنها «ثهمد» ونترك صوت طرفة بن العبد يجلجل تائهاً بين الهضاب حتى نجد له هضبة حولها برقة نرشحها لأن تكون ثهمداً فنكتب مطلع معلقته على رمل برقتها بحجر من أحجار تلك البرقة.

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ

النص المرشد إلى ثهمد

عندما ساورني الشك في أن هضبة شرثة ليست «ثهمد» قمت بتجميع ماتيسر لي من النصوص الواردة حوله لعلمي أن الرواة يختلفون في وصفهم للمروي له فكل يحدد حسب معرفته بالمحدد، ومايجاوره، ومايليه، ولونه وشكله إلى آخر الأوصاف. إضافة إلى ماقد يحدث من النساخ من تقديم وتأخير في النصوص، أو تصحيف في الكلمات، وهذا كثير. وغرضي من هذا التجميع هو تغليب الوصف المتواتر وما أرجح أن يكون هو الوصف الأمثل في نظري لعل ذلك يقربني من موقع ثهمد للبحث عنه، وفيما يلي موجز لبعض تلك النصوص التي سبق ذكر بعضها:

من كتاب «أبحاث الهجري» :

١ ـ ثهمد : هضبة بالحزيز، حزيز غني وهي فاردة.

٢ ـ ثهمد : جبل أحمر، وحوله أبارق كثيرة، وهو بأرض سهلة في خط غني.

من كتاب : «صفة جزيرة العرب»:

١ ـ ثهمد : جبل أسود في رأسه وشل.

٢ ـ ثهمد : ماء بحزيز أضاخ لغنيٍّ.

من كتاب «معجم ما استعجم»:

١ ـ ثهمد : جبل في حمى ضرية.

٢ ـ ثهمد : جبل أحمر حوله أبارق كثيرة في خط غنيّ (نقلاً عن الهجري).

من كتاب «معجم البلدان»

١ ـ قال نصر : ثهمد : جبل أحمر فارد من أخيلة الحمى حوله أبارق

كثيرة في ديار غني.

٢ ـ وقال غيره : ثهمد : موضع في ديار بني عامر.

ومن النصوص الكثيرة استخلصت أن ثهمداً هضبة حمراء أو جبل حوله برقة وأبارق كثيرة، واقعة في حمى ضرية في نطاق حزيز أضاخ.

وعلى هذا الأساس قمت بأول رحلة إلى ماحدد بحزيز أضاخ وهو أرض واسعة جداً، ومن يتجول فيها على الطبيعة يلحظ أنها مجموعة أحزَّة.

بعد هذه الرحلة وأثناء قراءتي في كتاب «صفة جزيرة العرب للهمداني» عثرت على نص واضح حول ثهمد هو عبارة عن وصف يأخذ بالقاريء من وسط الحمى وهو بلدة «ضرية» واصفاً الجبال والمياه مروراً بثهمد وهذا بالنسبة لي كمخطط توضيحي يقود إلى الطريق إلى ثهمد وهذا النص هو :

(ثم ضريَّة إلى مطلع الشمس، فكبشان هضب، والبكرات هضبات فيهن بئر تسمى البكري، ثم عن يسار ذلك أمواه الضباب فمنها الموجنية، وغول، والخصافة، ووادي ذي أجراد، وعن يسار ذي أجراد ماء يقال له منية وهضبة لها حمراء ضخمة، وعن يسارها هضبة، وعن يمين ذلك «ثهمد» وهو جبل أسود في رأسه وشل، وذات فرقين وهي هضبة مقسوم رأسها نصفين مثل جبل شجان .

وكل تلك الأعلام في صحراء مطرحة بيداء، ثم يليها حليت: وهو جبل أسود طويل بلا عرض، وعن يساره في ميل الحمى ماء يقال له نفي يروي أربعة آلاف بيت، وخمسة آلاف بيت أحساء تحسى من البطحاء،ووراءه واردات وهي أقرن حمر مشرفات على بطن التسرير[1]) انتهى النص.

إن هذا النص واضح لا لبس ولا غموض فيه، ولاينطوي على احتمالات تحوجنا إلى تطويع النصوص الشعرية المتضاربة، ونحن معذورون إذا عدم النص الصريح أن نجتهد قدر المستطاع فكثيراً من تلك الاجتهادات دلت إلى الأماكن الصحيحة التي تغيرت أسماؤها.

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٨٩ .

بعد العثور على هذا النص قمت برحلة أخرى ولكن في هذه المرة أحمل معي خارطة وضحت عليها المواضع الواردة في النص الجديد، ونظراً لمعرفتي التامة بالأماكن التي وردت في هذا النص فقد حددت الحيز الذي أتوقع وجود ثهمد فيه، وهذا الحيز يحده شرقاً الطريق بين بلدة نفي وبلدة دخنه، وغرباً جبل حليت وهضبة منية «مِنَى، وشمالاً إمتداد هضاب المخامر بالقرب من قريتي أبو جلال، وابو ركب، وجنوباً من بلدة أرطاوي حليت وشرقاً منها حتى نفي.

وقد بدأت التطلع من بلدة نفي شمالاً حتى وصلت إلى جبل فرقين الواقع في هضاب المخامر غرباً من بلدة دخنه ولم أعثر في طريقي على مايمكن أن أرشحه ليكون ثهمداً. كان الجو حاراً رغم أن الرحلة بدأت من بعد صلاة الفجر، وكان بصحبتي أخي احمد وظننت انه سئم من كثرة التجوال، ولكنه جلد صبور والرحلة ممتعة وقال لي لندع البحث الآن واتركنا نتجول فى تلك الأرض الجميلة بين تلك الهضاب الحمراء الشكل، والحق يقال فإن هضاب المخامر «هضب مداخل قديماً» وهو من هضب الأشيق، من أحسن مارأيت من الأماكن لجمال هضابها وطيب ترتبها ونقائها، وقد سبق أن أعجبت أبو علي الهجري رحمه الله حيث قال عنها (وبالأشيق سبعة أمواه، وهو بلد برث، كأن تربه الكافور).

فى ظل صخرة كبيرة كون الله فيها غاراً أرضياً واسعاً فَرْشُه الرمل النقي أخذنا قسطاً من الراحة.

بعد ذلك اتجهنا جنوباً للبحث عن بغيتنا وعندما خلفنا هضب المخامر وراءنا إتجهنا شرقاً حتى وصلنا الخط المتجه من نفي إلى القصيم، ثم عدنا غرباً ولكن مع غير الطريق الذي قدمنا منه عسى ولعل أن نعثر على هضبة تتوفر فيها الشروط المحددة، ولا أخفي أن اليأس تطرق إلى نفسي بأننا لن نجد بغيتنا.

الآن اتجاهنا غرباً ونشاهد أمامنا من بعد هضبة منية الحمراء ودونها يميناً هضبتها السمراء أو السوداء، كما تسمى أحياناً «كبد منى» قديماً،

وشاهدت يساراً من منية السمراء هضبة حمراء فقلت لأخي قبل أن نصلها: إذا لم تكن هذه مانبحث عنه فلا يوجد بهذه المنطقة هضبة اسمها ثهمد.

ويشترط في تلك الهضبة التي نراها عن بعد أن تكون منعزلة عن منية السمراء ويمكن المرور بينهما إذ أن من أوصاف ثهمد أنها هضبة فاردة أي غير مرتبطة بجبال أخرى.

وعندما وصلنا إليها فإذا هي هضبة كبيرة منفردة في أرض سهلة فدرنا حولها وشاهدنا في الجنوب الغربي منها غير بعيد منها برقة بما لكلمة برقة من معنى إضافة إلى الأبارق التي حولها كالأبارق التي بجهة هضب المخامر، والأبارق حول منية السمراء وجنوباً جهة «سمراء ملفي» فالأرض هناك تكثر فيها الرمال.

أنظر صورة ثهمد، وبرقتها والتي يبدو منها بعض الأعلام التي حولها «الصور رقم ٢٥، ٢٦، ٢٧».

رقم (٢٥)

منظر أخذ من أعلى «ثهمد» وترى هضبة منية الحمراء «منىً» التي ذكرها لبيد العامري في أول معلقته «بمنىً تأبّدَ غولُها فرِجَامُها) ويرى إلى اليمين طرفاً من منية السمراء «كبد منىً»

رقم (٢٦)
منظر هضبة ثهمد من الشمال تبدو منفردة من البعد في أرض سهلة كما وصفت لنا

رقم (٢٧)
منظر برقة ثهمد أخذت الصورة من أعلا هضبتها

إن أقرب قرية إلى هذه الهضبة هي قرية «بدايع بن نجم» ولكون هذه القرية على طريق العودة فقد فضلت سؤال أحد سكانها عن اسم الهضبة، وفي مزرعة تقع في غربي تلك القرية وجدت رجلاً مسناً فسألته عن اسمها، فقال لي: إن اسم هذه الهضبة «فتخة» وسألته عما إذا كان يوجد بها رسُ ماء في أعلاها، فقال: من شبابي وأنا أعرف تلك الهضبة ولكني لم أتسلق إلى أعلاها وكلما أقدر أن أفيدك به: أنه قبل افتتاح مدرسة في هذه القرية أوكل لي نقل الطلاب إلى مدرسة مجاورة، وكنت أنقل المدرسين وبعض الطلبة عند قيامهم برحلة إذا نزلت الأمطار إلي تلك الهضبة ولانأخذ معنا ماء فالماء نأخذه من الهضبة.

مما استفدته من هذا الرجل اسم الهضبة الحالي «فتخة».

عند ذلك لم يخالجني شك في أن هذه الهضبة هي ثهمد لأنها واقعة في المكان الذي حدد في نص الهمداني المتقدم، وبجوارها برقة، وتنطبق عليها النصوص القديمة تمام الإنطباق.

وحتى لاأقع فيما وقع فيه غيري، فقد وضعت شروطاً لابد من توافرها في هذه الهضبة وتلك الشروط هي:

١ - أن يكون في أعلاها مكان يجتمع فيه ماء المطر ليتوفر عندنا مايسمى بالوشل.

٢ - أن تكون غير محتفظة باسمها القديم بحيث لايمكن الجمع بين مسماها ومسمى ثهمد.

٣ - أن لايكون قد تطرق لها مؤلف «عالية نجد» أو مؤلف «معجم بلاد القصيم» واستقر لديهما بما لايدع مجالاً للشك ما يتعارض مع تسميتها ثهمد.

وبتاريخ ١٤١١/٣/١ قمنا برحلة إلى هضبتنا فوصلنا إليها في ساعة مبكرة قبل اشتداد حرارة الشمس، فصعدنا إليها من جهتها الشمالية ولم

نجد مايمكن أن يطلق عليه رس أو وشل رغم وجود الأشجار والمنحدرات المائية.

ومن أعلى قمتها شاهدت تلعة في جهتها الغربية فانحدرت معها فوجدت في عرضها أقرب إلى القمة مجمع ماء مطمور بالرمل فيه بعض النباتات والشجيرات الجافة، ولاحظت في طرف هذا المجمع من جهة انحداره بعض ألواح من الحجر وضعت بفعل فاعل كسد للاحتفاظ بأكبر كمية من الماء فيه.

مما أكد لي أن هذا هو الوشل الذي أشير إليه في النص.

(أنظر إلى صورتي الوشل رقم ٢٨، ٢٩) .

بعد العودة رجعت إلى المراجع القديمة والحديثة فلم أجد لتلك الهضبة ذكراً حتى مؤلف «عالية نجد» ومؤلف «معجم بلاد القصيم» لم يتطرقا لها مع أنهما تحدثا عن جميع الأعلام المحيطة بها إلا إذا كانا ذكراها باسم مختلف، أو في كلام عابر عند الكلام عن علم آخر، وهذا مالا أظنه.

كل هذه الأمور جعلتني أجزم بأن هضبة «فتخة» هي «هضبة ثهمد» وأن البرقة الواقعة حولها هي برقة «خولة».

وزيادة في الحيطة والتأكد قررت حفر ولو جزءاً من الأتربة المتراكمة في هذا الوشل على مر السنين للإطمئنان أن له عمقاً يجتمع فيه الماء عندما تكثر الأمطار.

وبتاريخ ١٤١١/٤/٢٨ هـ قمت برحلة ثمهدية بصحبة بعض الرفقة الذين تولوا حفر الجزء الأعلى من الوشل وبعد الحفر الجزئي اتضح أن لهذا الوشل عمقاً كما هو واضح من الصورتين رقم ٣٠ ، ٣١ .

رقم (٢٨)

منظر الوشل في أعلى ثهمد والرفقة يحفرون قسمه الأعلى، والواقف منهم يتأمل المشهد الرائع من حوله حيث بهره بجماله

رقم (٢٩)

منظر القسم الأعلى من الوشل وقد بدا الحاجز للماء من ألواح الحجر للإحتفاظ بأكبر كمية من مياه المطر

رقم (٣٠)

منظر الجزء الأعلى للوشل بعد إزالة بعض الأتربة المتراكمة فيه

رقم (٣١)

منظر الجزء الأعلى للوشل ويرى بوضوح الألواح الحجرية التي وضعت منذ القدم لحجز الماء

تساؤلات قد تبدو للقاريء :

١ ـ قد يقول قائل : «إن النص الأخير الذي أعتمدت عليه، وَصَفَ ثهمداً بأنه (جبل أسود) وأنت تقول إن لونه أحمر، وبعض الروايات التي وردت تقول أحمر، فكيف نوفق بين ذا وذاك؟

أقول : إني استخلصت من النصوص الكثيرة أن ثهمداً هضبة حمراء حولها برقة وأبارق كثيرة لأنني لم أعتمد على تحديد اللون لكثرة إختلاف واصفي الجبال والهضاب في تحديد ألوانها بدقة، فكل يصف حسب مايتراءي له، ولكي أوضح للقاريء الكريم نموذجاً من هذا الاختلاف إليك إختلافهم في تحديد لون «جبل عسعس» كمثال، وهذا الجبل موجود في حمى ضرية أيضاً:

يقول أبو علي الهجري :

عسعس جبل أحمر مجتمع عال في السماء لايشبهه شيء من جبال الحمى هيئته كهيئة الرجل، فمن رآه من المصعدين حسب خلقته خلقة رجل قاعد له رأس وكتفان.

وكتاب «معجم بلاد القصيم» يقول:

عسعس : جبل أسمر أي بين السواد والحمرة يقع إلى الجنوب الغربي من قرية ضرية، يشاهد منها أسود اللون يُرى على البعد على شكل رجل له كتفان ورأس، والجبل شامخ الارتفا ع إلا أن الرأس فيه ليس عالياً .

وكتاب معجم عالية نجد يقول :

عسعس : جبل أحمر كبير له مناكب عالية وقمة ساقطة يقع جنوب بلدة ضرية .

وكتاب صحيح الأخبار يقول :

عسعس : جبل رفيع عن الأرض ليس بالكبير أسود تلابسه شقرة.

انتهى وصفهم لهذا الجبل.

هذا كنموذج لاختلاف البلدانيين في تحديد ألوان وشكل الجبال والهضاب، فيصفها كل واحد منهم حسبما تراءت له أو لمن وصفها له إن لم يكن شاهدها بنفسه ووقف عليها وهذا الأغلب.

فالهجري والجنيدل يقولان : إن لونه أحمر .

والعبودي يقول : لونه أسمر أي بين السواد والحمره .

والبليهد يقول : لونه أسود تلابسه شقره .

أنظر صورة جبل عسعس الصورة رقم ٣٢.

وكما حصل هذا الاختلاف من ناحية اللون في جبل عسعس، حصل بالنسبة إلى هضبة «سويقة» التي ورد ذكرها معنا كثيراً في هذا البحث حيث قيل إن لونها أحمر وحقيقة الأمر أن لونها سمراء بين السواد والحمرة ولكن نظراً لوقوعها بين جبال كبشات، وجبل حليت وكلها جبال سوداء فلذا تميزت سويقة وتراءى لناظرها هذا التميز. أنظر إلى صورتها رقم ٣٣.

٣ ـ كما قد يقول آخر : إن بعض الروايات قالت: ثهمد: ماء بحزيز أضاخ لغنيّ.

فكيف نوفق بين تلك الرواية وبين من يقول : إنه جبل أو هضبة؟

فأقول : المتواتر من الروايات أن ثهمداً هضبة، ومن المحتمل أنه كان حولها ماء يورد في السابق سمي باسمها. وأكتفي بهذا الصدد بما أورد «شيخنا حمد الجاسر» حينما علق على كلام الاصفهاني في كتاب «بلاد العرب» حيث قال الاصفهاني (سويقة: وهي ماءة للضباب) علق قائلا: (سويقة: هناك جبل عظيم يقع في الجنوب من طخفة وفي الغرب من حليت، وغالباً مايكون في الجبال ماء).

رقم (٣٢)

منظر جبل عسعس ذو الأكتاف والمنكبين ـ منظره من الجنوب

رقم (٣٣)

منظر هضبة «سويقة» من جهة الشرق، ويبدو انشطار قمتها إلى نصفين

هضبة فتخة ومدى انطباق النصوص عليها

فيما سبق تم حصر ماتيسر من النصوص المتناثرة في بطون بعض المراجع المتخصصة التي وصفت لنا ثهمد، فهل تنطبق تلك النصوص وماجاء فيها من أوصاف على هضبة «فتخة» ليمكننا القول بأنها ثهمد.

أقول : هضبة فتخة: هضبة حمراء، واقعة بأرض سهلة في الحمى «حمى ضرية» وبالتحديد في غرب حزيز أضاخ «حزيز غني» بقربها «برقة» وحولها أبارق كثيرة، وفي رأسها وشل ماء.

كل هذه الأوصاف مجتمعة في هضبة فتخة وتنطبق عليها تمام الانطباق، ومن يتتبع النص الواضح الذي ساقه لنا الهمداني فلن يظل الطريق إلى «ثهمد» فما على هذا المتتبع سوى الانطلاق من بلدة ضرية صوب مطلع الشمس مع الطريق المزفت حتى يصل إلى «البكرات» تلك الهضبات الحمر الواقعة في حضن جبال كبشات ثم يترك الطريق، ويسلك الطريق الترابي المار بين كبشات جاعلا قرية «حديجة» على يمينه والبكرات خلفه متجهاً جهة الشرق، وعندما يخلف «كبشات» وراء ظهره تكون هضبة سويقة أمامه غير بعيد عندما يقرب من سويقة يتراءى له جبل معترض من الشمال إلى الجنوب على امتداد مايقرب من خمسة وعشرين كيلا.

إنه جبل حليت يعترض طريقه إلى قصده، إذاً ماعليه إلا أن يتجه نحو الشمال باتجاه جبال «غول» التي يراها أمامه قريبة منه وعليه أن يتركها على يساره وجبل حليت على يمينه وعند الوصول إلى طرف حليت يأخذ باتجاه اليمين نحو الشرق محاذياً لطرفه الشمالى عندئذ يرى هضبة «منية» الحمراء شامخة وهي أطول علم في تلك الناحية يمر به الطريق جنوباً منها وعندما يجتازها سيرى منية السمراء «كبد منى» قديماً يراها أمامه إلى

جهة اليسار، وعندما يجتازها تنزل به الطريق على أرض براح سهلة لايرى فيها جبالاً سوى هضبة حمراء قريبة منه حولها برقة إنها هضبة «فتخة» أي ثهمد قديماً، وهي فاردة في أرض سهلة ينقاد فيها النظر إلى حيث يبلغ شرقاً وجنوباً، وما أظن «ابن لجإ» إلاَّ يقصدها حين قال:

ومانزلت من برقة حول ثهمد سعاد وطود يترك الطرف أقودا

إن جميع الأوصاف التي مرت بنا تنطبق تمام الانطباق على تلك الهضبة دونما حاجة إلى الاحتمالات والافتراضات.

وقد يقال : ومامدى ملاءمة بقية الأعلام التي قرنت بثهمد في شواهد الشعر العربي مثل: الستار، دحيضة، البدي، النسار؟

أقول سبق أن أوضحت من خلال مناقشة بعض الشواهد التي سبق ذكرها مدى انطباقها على موضعنا هذا، ولايمنع من الكلام بإيجاز حول تلك الأعلام لأهميتها في تحديد موقع «ثهمد» فأقول:

الستار : جبل منطرح في الأرض يقع غرب بلدة دخنة وشمالاً عن ثهمد «فتخة حالياً» غير بعيد منها، وقد ذكرت ما أورده الاستاذ محمد العبودي في معجم بلاد القصيم عن الستار حيث أجاد وأفاد.

ومايستحق الذكر هنا هو الجبل الواقع جنوب الستار، وشمال ثهمد ذلك الجبل هو «فرقين» الذي أورده الهمداني في الوصف الذي أرشدنا إلى ثهمد باسم «ذات فرقين» وفرقين هذا قريب من ثهمد ويغنيك عن وصفه النظر إلى صورته رقم ٣٤.

رقم (٣٤)
منظر جبل فرقين «ذات فرقين» الواقع شمالاً من ثهمد

دُحَيْضَةُ :قال الأعشى :

أتنسين أياماً لنا بدحيضة وأيامنا بين البدي وثهمد

دحيضة هذه مورد ماء حدده الأستاذ سعد بن جنيدل في «معجم العالية» بقوله : (أما دحيضة فإنها من مياه المخامر تسمى في هذا العهد جحيضة).

وعلى هذا فإن دحيضة بجوار ثهمد حيث أن ثهمداً يجاور هضاب المخامر من جهة الجنوب. كما حددها الأستاذ محمد العبودي في معجم «بلاد القصيم» قريبة من هذا المكان باسم «جحيظة»

البدي:

النصوص الواردة حول البدي كثيرة ومع كثرة وروده فهو غير محدد المكان بشكل قاطع.

فقد ذكر على أنه واد، ومرة أخرى يذكر على أنه مورد ماء، وثالثة على أنه موضع. ذكره لبيد بن أبي ربيعة في قصيدة له وقرنه بأعلام تقع في

عالية نجد الجنوبية جهة العرض، وعماية، وصاحة، وذكره زهير بن أبي سلمى مقروناً بمواضع موجودة في جهة القصيم مثل: الرس، وعاقل، وصاره، والطوي وغيرها.

وذكره امرؤ القيس في وسط العالية حيث ذكر معه «قطيات».

ومع كثرة النصوص التي ذكرت البدي إلا أن الباحثين الذين بحثوا في تحديد موقعه لم يتفقوا على مكان معين، فباحث يقول: إنه في عالية نجد الجنوبية، وآخر يقول: إنه في وسط عالية نجد، وأحد الباحثين قال إن وادي البدي الذي ورد ذكره في شعر لبيد، وزهير، وامرىء القيس هو واد واحد بعينه وحدد مكانه.

ولكن يبدو لي أن هناك أكثر من واد واحد بمسمى البدي كما هو واضح من النصوص الشعرية، وليس هذا بمستغرب فكثيراً مايسمى عدة أودية بمسمى واحد في العصور السابقة، أو في عصرنا الحالي، وعلى كل فسواء ثبت فيما بعد أن وادي البدي في عالية نجد أو في أطراف القصيم فثهمدنا قريب منه.

النِّسَارُ :

أما عن النسار مقروناً بالبدي في بيت ابن مقبل :

تَزَوَّدَ رَيًّا أم سلم محلها فروع النسار فالبدي فثهمدا

فيبدو لي أن النسار هذا غير النسار الذي هو جمع «نسر» فالأنسر أو النسار والمسماة حالياً «الأناصر» عبارة عن جبيلات صغار شبهت بأنسر واقعة، أما النسار الذي ذكره أبن مقبل في هذا البيت فإنه واد بدليل قوله : «فروع النسار» وقد أتطرق إلى الكلام عن وادي النسار هذا ووادي البدي في غير هذا البحث إن شاء الله.

ولكل ماتقدم يمكنني القول : إن هضبة «فتخة» هي هضبة «ثهمد» وأن البرقة التي بجوارها هي برقة «خولة».

وهي واقعة على خط العرض ٤٦ً ٠١َ ٢٥ْ وخط الطول ٢٥ً ٢٣َ ٤٣ْ آمل أن يكون ماحددته هو الصواب.. وبالله التوفيق ،

الموضع: (الثالث)

« إجلاء الخنافس عن وضح الحمى »

تحقيـــق :

ـ هضاب قُطَيَّات ـ

إجلاء الخنافس عن وضح الحمى *

هناك مثل يقول : (إن البغاث بأرضنا يستنسر) فمتى تصبح ضعاف الطير نسوراً ؟ إذا اختلت المعايير، وفسدت الأمزجة ، عندئذ يصبح القوي ضعيفاً ، والضعيف نسراً كاسراً .

ويبدو لي أنه في زمن مضى بعد ضعف اللغة العربية الفصحى ، والاستعاضة عنها عند التخاطب باللهجات العامية ، فسدت الأمزجة بحيث أصبح لايفرق بين طير القطا وحشرة الخنفس .

وهذا ماحدث بالفعل لقطيّات إمرىء القيس التى ذكرها عند تحديده لغيث نازل حيث قال :

أصاب قُطَيَّات فسال اللوى له   فوادي البدي فانتحى للأريض

والعرب القدامى هم الذين حددوا أسماء أعلام الجزيرة العربية ، من جبال وغيرها وأعطوا كل علم مايليق به حسناً أم قبحاً ، ودونوا لنا تلك المسميات بأشعارهم ومن ضمن تلك المسميات هضبات «قُطَيّات» إنه إسم لطيف يدلك على جمال المسمى قبل أن تراه . فأين تقع قطيات هذه؟

لنلق نظرة على المعاجم الجغرافية الحديثة التي تكلمت عن عالية نجد ، وبالذات عن حمى ضرية،

نقل الهجرى (أن أوَّل من أحمى الحمى بضرية عمر ابن الخطاب « رحمه الله » أحماه لإبل الصدقة ، وظهْر الغزاة[1]) واتسع في عهد عثمان

* سبق أن نشر هذا البحث في مجلة «الدارة» العدد الثاني. السنة السابعة عشرة ١٤١٢ هـ
(١) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٢٤٧

رضي الله عنه . فماذا قالت تلك المعاجم :

قطيات: في كتاب «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» تأليف الشيخ محمد بن بلهيد ـ رحمه الله ـ .

يقول: (قُطَيّاتُ : هي هضاب حمر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغير قليلاً بإبدال بعض الحروف، وفي جنوبي حمى ضرية هضبات حمر، يقال لها اليوم «مغطيات» زادوا على قطيات ميماً، وأبدلوا القاف غيناً، وهي واقعة شرقي جبل شعر المشهور بعالية نجد، تبعد عنه مسافة نصف يوم .[1]) انتهى . يقصد نصف يوم للإبل المحملة

قطيات في معجم «عالية نجد» . تأليف الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل . يقول :

قطيات : (أم المشاعيب : هضاب حمر بعضها قريب إلى بعض تقع في عثث من الأرض يحف من حولها صيهد أبيض تقع شمالاً غربيًا من الكودة، وغرباً من العرائس، يراها السائر مع طريق السيارات المُسَفلت شمالاً منه وهو بحذاء جبل النير . . . وام المشاعيب داخلة في نطاق حمى ضرية قديماً، واقعة في أعلى الوضح في بلاد بني كعب بن كلاب، وقد ذكرها الأصفهاني، وحددها تحديداً واضحاً باسم «قطيات» ووصفها وصفًا جغرافياً قال الأصفهاني : وقال العامري في قول العطاف:

تَرَبَّعَت في النير من أوطانها بين قطيات إلى دغنانها

ومن الملاحظ أنه لايوجد في بلاد الوضح هضبات تغير اسمها الحالي عن اسمها القديم إلا هذه الهضبات ـ أم المشاعيب ـ في أعلى الوضح، وهضبة «شرثة» في وسط الوضح مما يلي أسفله .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن أبا علي الهجري ذكر بلاد الوضح، وحددها تحديداً واضحاً، ووصف أعلامها، وجغرافيتها، وذكر قطيات باسم القطبيات،

(١) صحيح الأخبار ص ١ /٨١

وتبعه في ذلك أبو عبيد البكري فيما نقله عنه، وهذا خطأ من الهجري رحمه الله، أو أنه وقع تصحيفًا من النساخ . . .

ويبدو لي ـ الكلام لمؤلف عالية نجد ـ : أن إسم قطيات أدخل عليه شيء من التحريف وانتقل إلى موضع آخر غير بعيد منها «فهناك حشة سوداء تقع في جمش جهام تسمى «أم قطا» وهي واقعة في بلاد الضباب قديماً، وداخلة في حمى ضرية إلا أنها خارجة من بلاد الوضح، فأم المشاعيب تقع غرب كبشات في برث الوضح، وأم قطا تقع شرق كبشات في جمش جهام. أما ماذكره محمد بن بليهد تعليقًا على شعر امرىء القيس فإنه قد أبعد النجعة في تحديده فقال : (قطيات: هضاب جنوب ضرية يقال لها في هذا العهد «مغطيات » الخ) ـ واستطرد مؤلف العالية قائلاً ـ : والواقع أنني زرت هذه البلاد ولم أعرف فيها هضاب تدعى «مغطيات» وهذا التحديد الذي ذكره يتعارض مع ماذكره الهجري وغيره في تحديدها، وماذكروه واضح لالبس عليه . . . ! ! .

ومما يؤيد القول : إن هضب أم المشاعيب هو هضب قطيات: أن العطاف العقيلي في بيته الآنف الذكر حدد النير وقال إنه من قطيات إلى دغانين ! ![1]) . .

ـ انتهى كلام مؤلف معجم عالية نجد مع الإختصار ـ ويحسن أن يرجع القارىء إلى ماأورده المؤلف من النصوص .

أقول وبالله التوفيق: قبل أن نلقي نظرة فاحصة في بطون المراجع القديمة لنرى ماذا قالته عن قطيات. علينا أن نلقي أولاً نظرة على الرأيين المتقدمين حول تحديد موقع قطيات فالأستاذ سعد بن جنيدل يقول: إن محمد بن بليهد أبعد النجعة في تحديده، وهو حددها بهضب «أم المشاعيب» .

وقد أسمح لنفسي فأقول إن يكن محمد بن بليهد «رحمه الله» أبعد

---

(١) عالية نجد ص ص ١/١٦٤ ـ ١٦٩ .

النجعة، فقد أبعدها سعد أكثر ! ! .

والحق يقال وهذا بالنسبة لانطباعي الشخصي فإن تحديد مؤلف «صحيح الأخبار» لبعض المواضع المجهولة في وقتنا الحاضر يتسم بالواقعية، والحدس الذي يصيب الموضع الصحيح في الغالب أو قريباً منه، وفي نظري أنه «رحمه الله» قرب كثيراً إلى قطيات سواء من حيث المسمى أو المكان، وسيتضح ذلك فيما سيأتي:

هل أم المشاعيب هي «قطيات» ؟ .

أظن أن أستاذنا سعد بن جنيدل أبعد النجعة أيضاً، مع أن وضح الحمى ليس فيه نجعة لأن جميع أعلامه يشاهد بعضها بعضاً. وفيما يلي تحليل لما أورده:

أولا : يقول: (إن أم المشاعيب هضاب حمر بعضها قريب إلى بعض . . . ، وقد ذكرها الأصفهاني، وحددها تحديداً واضحاً باسم «قطيات» ووصفها وصفاً جغرافياً ينطبق على أم المشاعيب، وكذلك ماذكره ياقوت في وصفها وتحديدها.

وقال ياقوت قطيات جمع تصغير قطاة . . . وقال الأصمعي : قال العامري : وقطيات هضاب لنا، وهن هضاب حمر ملس . متجاورات ينظر بعضهن إلى بعض، وهن قلات مياه كعب بن كلاب) .

أقول : من وصف المؤلف لأم المشاعيب بأنها هضاب حمر بعضها قريب من بعض، قد يتبادر إلى ذهن القارىء أنها عبارة عن عدد من الهضاب مستقل بعضها عن بعض، ومتباعدة، والواقع أن «أم المشاعيب» عبارة عن هضب مقسوم إلى قسمين شمالي، وجنوبي يفصل بينهما مسيل ليس بالواسع فيه بعض الأشجار الكبيرة. الشمالي عبارة عن هضبة مستطيلة من الشرق إلى الغرب لها عدة رؤوس. والجنوبية قريبة منها، وفي الغرب والشمال هضيبات تحيط بها الرمال.

وبمشاهدتي لهذا الهضب أرى أن الأوصاف التي وردت في المعاجم القديمة لاتنطبق عليه، فلا ينطبق على أم المشاعيب هذه ماذكره الأصفهاني، ولاماذكره ياقوت. فياقوت قال: قطيّات جمع تصغير قطاة يعني أن قطيات هضيبات تشبه الواحدة منهن القطاة، وأم المشاعيب لاتسعفنا بأن ينطبق عليها هذا الوصف الظريف. كما أن العامري في هذا النص وصف لنا قطيات وهي على كل قطياته، وهو أعرف الناس بها وبوصفها حيث قال: إنها هضاب حمر ملس. وأم المشاعيب ليست كذلك فهي ليست ملساء، وإنما هي عبارة عن حجارة متراكمة كأي جبل آخر. وبسبب تقارب هضاب أم المشاعيب بعضها من بعض فإنه لا يصدق عليها جملة:

(ينظر بعضهن إلى بعض) فهذا الوصف يوحي أنها هضاب متباعدة ولكن بالقدر الذي يرى بعضهن بعضاً.

وذكر العامري: أن بها «قلاتًا» فهل يوجد في أم المشاعيب قلات مياه؟ لاأظن ذلك فانظر إلى صورة أم المشاعيب أو زرها واحكم عليها. (منظر رقم (٣٥).

رقم (٣٥)

هضب أم المشاعيب من جهة الشرق

ثانياً : أما قول المؤلف (ومن الملاحظ أنه لايوجد في بلاد الوضح هضبات تغير اسمها القديم إلا هذه الهضبات ـ أم المشاعيب ـ في أعلى الوضح، وهضبة «شرثة» في وسطه مما يلي أسفله.)

أقول : إن عدداً من الهضاب الموجودة في الوضح تسمى الآن بغير أسمائها القديمة فالهضاب كثيرة هناك، وأسماؤها متغيرة، وهل أطار قطياتنا مدار البحث إلا تغير الأسماء، وسيتضح هذا فيما بعد .

ثالثاً : أما قوله : (أما ماذكره محمد بن بليهد تعليقاً على شعر امرىء القيس فإنه قد أبعد النجعة في تحديده . . . قطيات بما يسمى «مغطيات» . . . والواقع أنني زرت هذه البلاد ولم أعرف فيها هضبات تدعى مغطيات، وهذا التحديد الذي ذكره يتعارض مع ماذكره الهجري وغيره في تحديدها، وماذكروه واضح لالبس عليه ! ! !) . انتهى .

أقول : أظن أن محمد بن بليهد لم يبعد النجعة فهو قريب من الموقع الصحيح لقطيات الذي ذكره الهجري وغيره، إن لم يكن أصابه حسبما فهمه من النصوص.

أما عما يسمى «بمغطيات» فلو وقف مؤلف معجم العالية في الجهة الغربية من أم المشاعيب، ونظر جهة الشمال الغربي لرأى «مغطيات» أو «مغطية» ـ كما يسميها البعض ـ ليست بعيدة منه ، إذ هي أقرب الهضاب الحمر الواقعة بين أم المشاعيب وجبل «شعر» ولعل هضبة مغطية إحدى القطيات .

ولذلك كله فإني أميل إلى القول بأن أم المشاعيب ليست «قطيات» فعلينا إذاً أن نتصيَّد قُطَيَّاتنا بواسطة النصوص القديمة الواردة بشأنها، وكذا الزيارة الميدانية للمنطقة.

وحتى لايكون في الفلاة التي سنتصيّد فيها تلك القطيات صياد آخر يذيرها علينا أو نذيرها عليه فلم يبق فيما أعلم ممن رغبوا في اصطيادها

سوى أستاذنا عبدالله بن خميس حيث صوب على «قطيَّات» بسهم، وذلك عندما جاز الطريق من اليمامة إلى الحجاز حيث أورد في كتابه (المجاز بين اليمامة والحجاز) مانصه: (ـ مهزول ـ العثاعث : لايوجد الآن علمان بهذا الاسم ـ مهزول والعثاعث ـ ويبدو لي من تحديد المراجع التي بين يدي أن (مهزولاً) هو مايسمى الآن (وادي جهام)، وأن (العثاعث) هي مايسمى الآن (الخنفسيات) والله أعلم[1]).

أقول : كما بدا للأستاذ عبد الله بن خميس أن «العثاعث» هي ما يسمى الآن «الخنفسيات» فإنه لكل ماتقدم يبدو لي أن العثاعث ليست الخنفسيات، وبالتالي ليست «قطيات» فموقع العثاعث وصفاتها لاتتفق مع تحديد موقع وصفات قطيات.

فلو رجعنا لتحديد الهجري لموقع «العثاعث» لوجدناه يقول: (ثم عن يسار العرائس جبال صغار علاهن الرمل سود مشرفات على مهزول [وهن يُسَمّين العثاعث] . ومهزول واد مستقبل العثاعث.[2]).

وقد علق الأستاذ حمد الجاسر على كلام الهجري هذا بقوله: (عن يسار العرائس بالوضح بينهن أرتاق، صغار سود، علاهن الرمل مشرفات على مهزول، وهو واد في إقبال النير، وهن يُسَمَّيْن العثاعث، وفي الأصل : ذوعثث والصواب: بالغين المعجمة ويسمى الآن: غثاه.)

قطيَّات لازالت في أفحُوصَاتها :

عندما يهم باحث بتحقيق موضع من المواضع في الجزيرة العربية، سواء كان

هذا الموضع جبلاً، أم وادياً، أو مورد ماء ، أو غير ذلك، فإن أول خطوة

(١) المجازين اليمامة والحجار ص ١٣٠ .
(٢) أبو علي الهجري وابحاثه : ص ٢٦٦ .

يتخذها هي البحث في المعاجم القديمة، وكتب التاريخ، فإذا عثر على اسم هذا العلم وطابقت تسميته القديمة لتسميته الحالية فليس هناك إشكال، أما إذا كانت التسمية مختلفة، فإن الأمر يحتاج إلى التحري والدقة بعد الرجوع إلى النصوص الواردة بشأنه، إذ على ضوء مايستنبط من النصوص يتحدد مسماه وموقعه، وكلما دقق الباحث النظر، وقابل النصوص مع بعضها فإنه سيهتدي إلى بغيته، أما إذا أخذ جانباً من النصوص الواردة، وأهمل الجانب الآخر فهنا يحدث الخلط بين المواضع، ومن هنا قد يتحول الطائر الجميل كالقطاة مثلاً إلى حشرة منتنة الرائحة كالخنفساء، وحتى لانقع في هذا الخلط يجب علينا حصر النصوص القديمة الواردة حول قطيات امرىء القيس قدر الإمكان.

النصوص في المراجع القديمة:

النص الأول: لعل أهم نص حفظ لنا اسم قطيات هو شعر امرىء القيس فقد ذكر الهمداني في (صفة جزيرة العرب) بيتي امرىء القيس كما يلي:

قعدت له وصحبتي بين ضارج   وبين تــــلاع يثلــث فالعريــض

أصاب قطيات فسال اللـوى له   فوادي البدي فانتهى ليريض[1]

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي قال:

قطاتان: تثنية القطاة: موضع في شعر امرىء القيس حيث قال:

قعدت له وصحبتي بين ضـارج   وبـين تـلاع يثلـث فالعُرَيِّـــــضِ

أصاب قطاتين فسال لواهمـا   فوادي البدي فانتحى للأُرَيِّضِ[2]

وفي مكان آخر أوردها بصيغة الجمع فقال:

(١) ص : ٣٩٥
(٢) : ٤/ ٣٧٠

قطيات: جمع تصغير قطاة، وهو من القَطْوِ مِشْيَةٌ أو حكاية صوت هضاب لبني جعفر بن كلاب بالحمى حمى ضرية قال مطير بن أشيم الأسدي ـ ضمن أربعة أبيات له : ـ

ينتاب ماءَ قطيات فأخلفه   وكان منهلهُ ماءً بحوران

وقال الأصمعي: قال العامري: وقطيات هضبات لنا وهن هضاب حمر ملس بالوضح وضح الحمى متجاورات ينظر بعضهن إلى بعض، وهي قلات مياه كعب بن كلاب ومياه بني أبي بكر بن كلاب[1].

النص الثاني: ما أورده أبو علي الهجري حيث ساقه لنا مؤلف «عالية نجد»، ولكن أحب أن أورد كامل النص هنا لأهميته في بحثنا هذا، ولوجود فقرات منه لم يسبق أن ذكرناها، وهي على جانب من الأهمية.

قال الهجري «رحمه الله»: (ثم جزعت الجبال الطريق، وصار ما بقي من جبال الحمى عن يسار المصعد. فأول جبل عن يسار المصعد جبل يدعى «الأقعس» وهو محدد طويل في بلاد بني كعب بن كلاب، وهو في ناحية الوضح، والوضح بلد سهل كريم ينبت الطّريفة بين أعلاه وأسفله ليلتان، أسفله في ناحية دار غنيّ، وأعلاه عند الأقعس. ثم الجبال الحمر التي تدعى قطبيات في ناحية دار بني بكر بن كلاب.

ولهم هناك ماءان: الشطون، وحفيرة خالد، بين الأقعس والقطبيات، والشطون في ناحية شعر، وقد أكثر الشعراء في شعر، وهو جبل عظيم في ناحية الوضح قال حكم الخضري يذكره:

سقى الله الشطون شطون شعر   ومابين الكواكب والغدير

ثم الجبال التي تلي قطبيات عن يسار المصعد، وهي هضاب حمر يقال لها العرائس وهي في الوضح في بلد كريم[2]) إلى آخر النص.

(١) معجم البلدان : ص ٣٧٦/٤
(٢) ص : ١٥٧ ـ ١٦١

ونلاحظ هنا كما سبق أن لاحظه أستاذنا سعد بن جنيدل: بأن لفظ «قطيات» جاء في النص بزيادة حرف الباء أي «قطبيات» وليس لذلك تعليل إلا كما علله الأستاذ سعد، فالقطبيات مكانها في غير وضح الحمى. وقد أتكلم عنها في مكان آخر.

النص الثالث: ما أورده الحسن بن عبدالله الأصفهاني في كتابه «بلاد العرب» حيث قال: (قال العامري: وقطيات هضاب، وهن هضاب حمر ملس، بالوضح وضح الحمى متجاورات ينظر بعضها إلى بعض، وهي في فلاة مياه كعب بن كلاب، ومياه بني أبي بكر بن كلاب.

هي في مياه السنائن، وهي ماءة لبني وقاص، من كعب بن أبي بكر، وأيمنها من مهب الجنوب، وأيسرها من مهب الصَّبا، وكل هذا متقارب ينظر بعضه إلى بعض.

وهؤلاء الهضبات يناوحهن هضب بالوضح يسمى العرائس. وعمود من الهضب يقال له الأقعس. إلى جنب أجبل سود عظام للضباب، يقال لهن كبشات. وهذا كله بالوضح وضح الحمى. وبين هؤلاء الأجبل الذي ذكرت يأخذ طريق اليمامة من ضرية حتى يرد الأحسن...

وقال العامري في قول العطّاف: ـ البيت المتقدم ـ

أما قطيَّات فلبطن من كعب بن كلاب يقال لهم بنو برقان، وهي في وسط وضح الحمى والوضح أرض بيضاء سِهْلَة أُنُفٌ .

إن تلك النصوص التي أوردها الأصفهاني كبقية النصوص الأخرى واضحة لا غموض فيها غير أنه ورد ضمنها وصف لم يتضح لي منه هل القصد اتجاه هضاب قطيات أم اتجاه موارد المياه؟ وهذا الوصف هو:

(وأيمنها من مهب الجنوب، وأيسرها من مهب الصَّبا، وكل هذا متقارب ينظر بعضه إلى بعض).

ومع هذا فالذي أرجحه: أن المقصود هو اتجاه الهضاب، وذلك إذا أغفلنا

قاعدة ـ عودة الضمير لأقرب مذكور ـ مع أن النصوص متظافرة جميعها على وصف قطيات حتى مع غياب هذا النص الذي يحدد باتجاه الرياح.

فإذا كان مدلول هذا النص حسبما فهمته فهو يعضد النصوص الأخرى وسأبين ذلك بعد مسح المنطقة على الطبيعة، وماعلينا الآن إلا القيام بزيارة ميدانية لوضح الحمى .

الزيارة الميدانية للأقعس وماجاوره

مادمنا حصرنا النصوص الواردة حول «قطيات» قدر الاستطاعة، تلك النصوص التي تصفها وتصف موقعها وصفًا واضحًا فما علينا الآن إلا القيام بالعنصر المهم وهو الزيارة الميدانية للمكان، وتطبيق النصوص على المواضع سواء كانت تلك النصوص شعراً، أم نثراً. ولاشك عندي بأن هذه هي الطريقة المثلى لتحديد المواضع المختلف عليها، ولذلك فقد سبق أن قمت بزيارتين لمنطقة الوضح .

ولكي يتصور القارىء المنطقة التي نتكلم عنها الآن، فما عليه إلا أن يقرأ مامر بنا من كلام للهجري حدد به (الوضح).

وسأضع خارطة تقريبية توضح تلك المنطقة والمعالم التي نتحدث عنها، لعلمي أن البحث في جغرافية البلدان مادة صامتة قد لايخرج منها القارىء في بعض الأحيان إلا بألم يحسه في رأسه نظرًا للتداخلات التي تحصل، إلا إذا كان القارىء ملمًا بالمنطقة التي يقرأ عنها عارفاً لمسالكها فقد يخرج بنتيجة. وماأشبه علم جغرافية البلدان بعلم الفلك فمثلاً عندما تقرأ لتعرف حقيقة البروج، والنجوم، وأين تواجدها في السماء، ومتى تراها، وماهي أشكالها؛ فإنك تقرأ كثيراً ولاتخرج في الغالب بنتيجة واضحة، وأعزو ذلك إلى طريقة من أَلَّفُوا في هذا المجال.

ونحن الآن نريد أن نعرف جبالاً راسية في الأرض لانجوماً سابحة في السماء، مع أن كلاً منها خلقها اللّه لحكمة بالغة (وعلامات وبالنجم هم يهتدون).

وقبل أن آخذ القارىء معي للقيام بزيارة ثالثة، فلعله من المفيد أن أذكر خلاصة موجزة عن صفات القطيات التي نحن ذاهبون لاصطيادها من واقع

النصوص التي مرت بنا:

١ ـ رواية شعر امرئ القيس جاءت مرة جمع تصغير بلفظ «قُطَيَّات» وجاءت مرة أخرى بلفظ «قطاتين» بالتثنية.

٢ ـ قطياتنا التي نبحث عنها هضاب حمر، ملس ، متجاورات، ينظر بعضهن إلى بعض.

٣ ـ تلك الهضاب الحمر الملس يوجد بها قلات مياه .

٤ - قطياتنا توجد في أعلى الوضح حددبها الهجري الوضح من جهته الغربية حيث قال (أعلاه عند الأقعس . ثم الجبال الحمر التي تدعى قطبيات) «قطيّات» .

٥ ـ أنها محاذية لغرب النير، ودغانين .

٦ ـ أيمنها من مهب الجنوب، وأيسرها من مهب الصَّبا، كما قال العامري .

٧ ـ يناوح قطياتنا هضب العرائس ، وعمود من الهضب يقال له الأقعس، إلى جنب أجبل سود عظام يقال لهن كبشات، وكل تلك الأعلام في وضح الحمى.

٨ ـ يوجد بقرب قطيات ماءان لبني أبي بكر بن كلاب هما الشطون، وحفيرة خالد يقعان بين الأقعس، وقطيات، وأحد هذين الماءين وهو الشطون في ناحية جبل شعر.

أحب أن أصطحب القارئ معي في تلك الزيارة لأنها الزيارة التي سنحدد على ضوء نتائجها موضع قطيات الصحيح إذا حالفنا الحظ:

اليوم الجمعة ١٤١١/٥/٦هـ نحن سائرون على طريق الرياض الطائف مروراً بالدوادمي وعفيف، بعد مرورنا ببلدة البجادية ونحن متجهون غرباً يكون أمامنا عن يسار الطريق جبل النضادية «نضاد» عندما نتجاوزه نرى على يميننا بلدة القاعية إذاً نحن الآن داخل وضح الحمى «حمى ضرية» بعدها بقليل نرى على اليمين «العرائس» ثم نصل إلى محطة وقود قرية

«المعلّق» نترك الطريق العام، ونتجه شمالاً باتجاه هضب «أم المشاعيب» اتجاهنا على الدرجة ٣٣٠ شمالاً، وعن يميننا هضبة الكودا «عمود الكود» وعن يسارنا هضبة «المعلَّق» .

مسافة الطريق بين محطة المعلق وأم المشاعيب أحد عشر كيلاً .

لن نتوقف في أم المشاعيب لمعرفتنا بها من الوصف السابق لها، ولكن نتوقف في جهتها الغربية، هذه الوقفة عبارة عن تأمل لما حبا اللّه هذه المنطقة من تربة نقية عذبة ومناظر خلابة، ولاننسى ماوصفها به الهجري رحمه الله حيث قال :

(الوضح بلد سهل كريم ينبت الطَّرِيفَةَ، بين أعلاه وأسفله ليلتان، أسفله في ناحية دار غنيّ وأعلاه عند الأقعس. ثم الجبال الحمر التي تدعى قطبيّات) «قطيّات» .

لعل بعض الرفقة يسأل ماهي «الطَّرِيفة»؟ فأقول له هذا ماسألت عنه كثيرا سكان تلك الناحية وغيرهم فلم يفدني أحد ماذا تعني. فأي نوع من النبات تلك الطريفة؟ بالرجوع لمعاجم اللغة اتضح أن الطريفة هي: نبات النصي في مرحلته الثانية فهذا مادام رطباً أخضر فهو النصي، فإذا ابيض فهو الطَّريفة .

باتجاه الغرب وعلى الدرجة (٢٧٠) نرى هضب الأقعس، وهو مايسمى في وقتنا الحاضر «الخنفسية» أو الخنفسيات، وإذا التفتنا يميناً لجهة الشمال الغربي لدرجة (٣٢٠) نرى قرية «النِّيصِيَّة» على بعد أربعة أكيال من خلفها نرى إحدى الهضاب الحمر، كما نشاهد بين تلك الهضبة وبين الأقعس عدداً من الهضاب الحمر الملس، ومن وراء الجميع جبل «شِعْرٍ» وهو أسود اللون ممتد من الشمال إلى الجنوب، أنظر الخارطة رقم (١) .

خارطة رقم (١)

خارطة توضح بعض الأعلام في وضح الحمى «حمى ضرية»

منظر خلاب ولا شك : عدد من الهضاب الصغيرة الحمر الملس في حضن جبل أسود. ولكيلا يأخذنا الوقت هل نذهب باتجاه صاحبنا الأقعس المتخنفس؟ أم للهضبة القريبة منا على اليمين؟ نفضل الذهاب مع الطريق الأيمن مروراً بالنيصية.

عند الوصول إلى تلك الهضبة والتي تبعد عن أم المشاعيب سبعة أكيال. وجدنا في شرقيها قريباً منها بئر ماء بني حولها بعض المساكن، رأينا رجلاً كبير السن، ومن عادتي العمل بالمثل القائل «البدوي ينشد» - أي يسأل - فسلمت عليه وسألته عن اسم تلك المنازل فقال هذا «المغطى» وسألته عن الهضبة التي هم بجوارها فقال تسمى «مغطّية» فقلت له: هذه هضبة واحدة وقد سمعت أن في هذا المكان هضاباً تسمى «مغطيَّات» فقال: لا يوجد في تلك الناحية غيرها ولكن بعض الناس يلحقون بها بعض الهضاب المجاورة لها ويقولون «مغطيّات» وسألته عن سبب التسمية فقال: لا أعرف. كما أفادني عن بعض أسماء الهضاب القريبة وإن كنت عرفت أسماء البعض منها في الزيارةالسابقة.

تجولنا حول الهضبة وبحثنا عن رِسٍّ ماء، أو قلتة من قلات «العامري» وبعد البحث الدقيق وجدنا في عرض الهضبة «قلتة» مغطاة بصخور كبيرة لا يعثر عليها إلا من له سابق معرفة بها. انظر صورة هضبة «مغطية» رقم (٣٦) وصورتي القلته أو الرس رقم (٣٧) ورقم (٣٨).

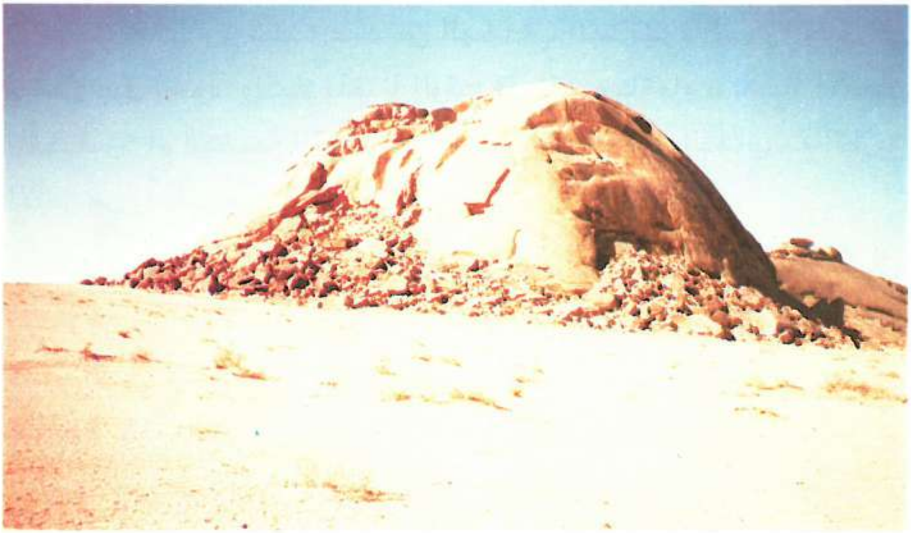

رقم (٣٦)
منظر : هضبة مفطية من جهة الشرق

رقم (٣٧)
منظر لمدخل الرس الموجود في هضبة مفطية

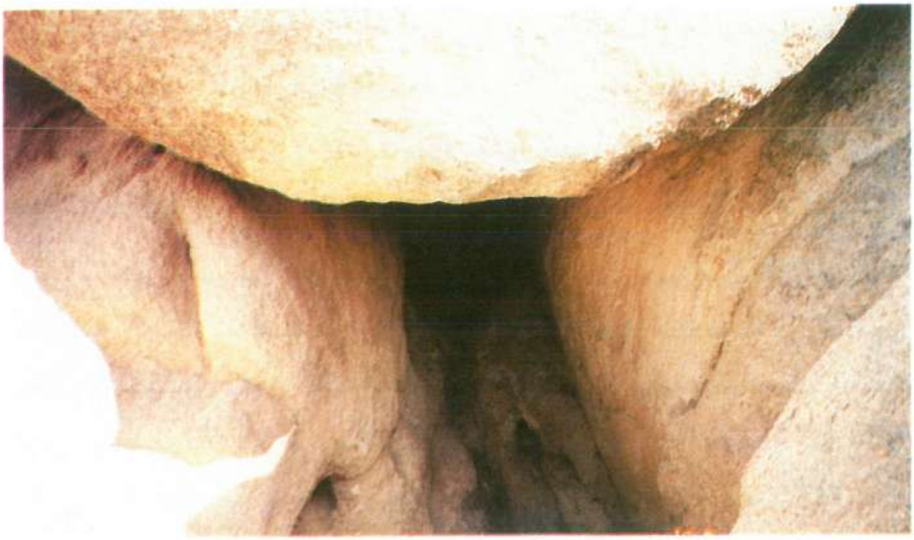

رقم (٣٨)

منظر آخر للرس الموجود في هضبة مغطية

وأبدي أسفي لعدم وضوح مقر الماء في داخل الرس نظراً لأن الداخل معتم .

وكاستنتاج شخصي عن سبب تسمية هذه الهضبة بمغطية فقد تكون التسمية أصلاً لقلتة الماء لأنها مغطاة بالصخور فأطلق الاسم على الهضبة ، والناظر للهضبة من ناحية الشمال تبدو له برأسين كما هو واضح في الصورة وهذا قد يكون سبباً في تسميتها «مغطيات» . وقد يكون غير ذلك .

بعد ذلك اتجهنا إلى هضبة حمراء ملساء يغطي رأسها بعض الصخور الكبيرة ، ويسميها سكان المنطقة «أم قبعة» تبعد عن مغطية أربعة أكيال ، ومع أن هناك بعض الهضبات المتطامنة أقرب إلى مغطية ولكن شكل هذه الهضبة ، وجمالها جعلنا نزورها أولاً ، ويوجد قريباً منها من ناحية الشمال

قرية صغيرة اسمها «فيضة الأشعرية» وبتجوالنا حول تلك الهضبة وجدنا في جهتها الشرقية غاراً أرضيًا واسعًا يتسع لأناس كثير مع سياراتهم . ولكي نطلق على هذه الهضبة مسمى «قطاة» لأنها حمراء ملساء فقط لابد ـ وليس هذا شرطًا ـ أن يكون فيها مجمع ماء حتى يكتمل الوصف .

وبالتجول حولها لم نجد ما يمكن أن يسمى رس ، أو قلتة بالمعنى الصحيح إلا أننا شاهدنا في جهتها الشمالية الملساء منخفضًا في عرضها فصعدنا فوجدنا ردهة واسعة يمكن الجلوس فيها ، وبها «جبء» كبير عميق وآخر بجانبه ولكنه مدفون بالأتربة : انظر إلى صورتي أم قبعة رقم (٣٩) ورقم (٤٠) وصورتي الجبء الموجود في عرضها رقم (٤١) ورقم (٤٢) .

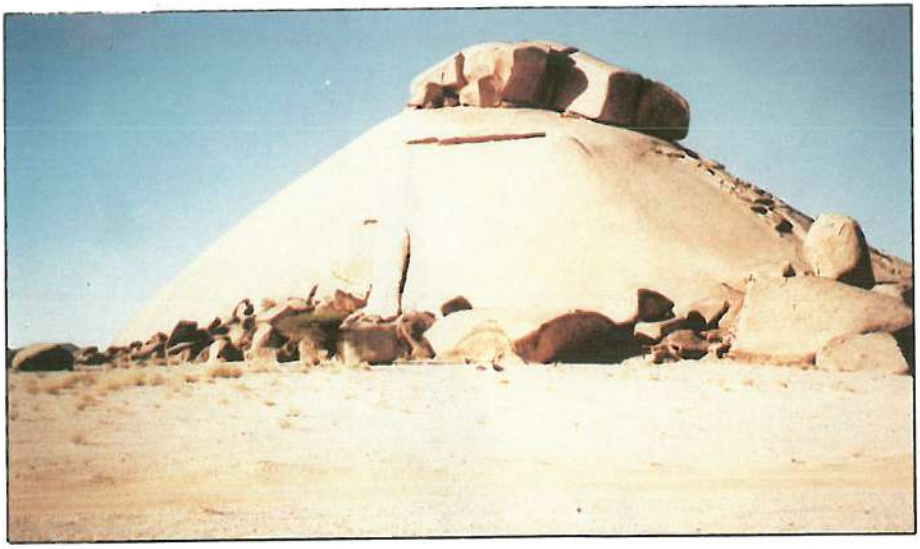

رقم (٣٩)
منظر : هضبة «أم قبعة» من جهة الجنوب الشرقى

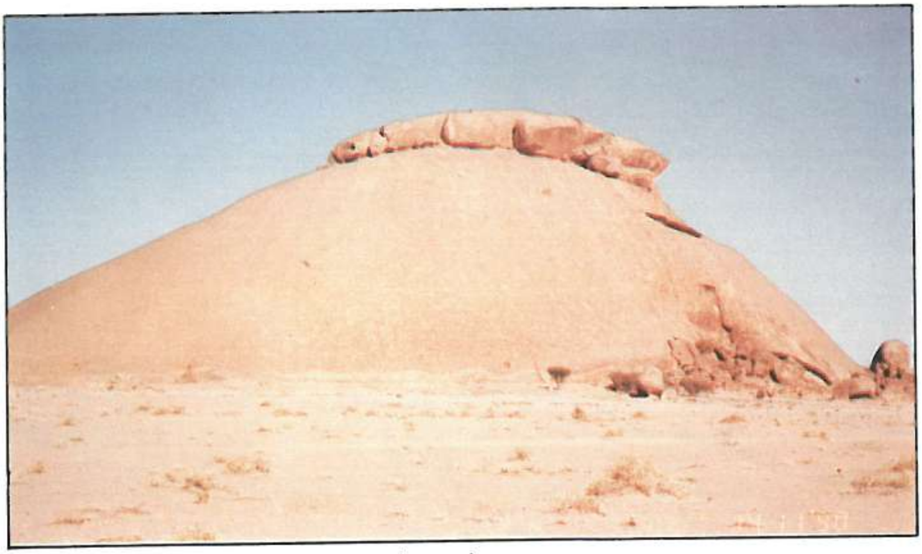

رقم (٤٠)
منظر : هضبة أم قبعة من جهة الغرب

رقم (٤١)

منظر : «الجبء» الموجود فى «عرض هضبة أم قبعة» ويرى آخر عن يمينه، ولكنه مدفون

رقم (٤٢)

منظر : لشمالي هضبة أم قبعة ويرى اتجاه الصعود إلى الجبء

وفي ميل إلى الغرب على بعد ثلاثة أكيال من هضبة أم قبعة يوجد هضبتان متجاورتان ملساوان لم نتعرف على إسميهما ، انظر الصورة (٤٣) ويبدو جانب من إحدى تلك الهضبتين ، وانظر إلى الحجر الذي يشبه الشمبانزى الرابض في جنوبي تلك الهضبة الصورة رقم (٤٤) أيضاً .

رقم (٤٣)

منظر جانب إحدى الهضاب ومنظر الحجر الرابض أمامها ، كما يبدو جانب من جبل «شِعْر»

رقم (٤٤)

منظر الجانب الآخر للحجر الرابض وسط هضاب قطيات

وعلى بعد كيلين اثنين يوجد هضبة ملساء اسمها «أم ردهة» يوجد في جهتها الشرقية «قلتة ماء» كبيرة بالقرب من أسفلها مدورة الشكل كأنها صحن كبير عميق إلا أن أسفلها مطمور بالطين، والرمل ، وقد نبت فيها شجيرات شري ، وحفر فيها بعض الحيوانات حفرة عميقة ممايدل على كثرة الدفان الموجود ، انظر إلى صورة هذه القلتة رقم (٤٥) كأنك ترى صحناً من شوربة العدس ، وهضبة أم ردهة تقع في وسط الهضاب ممايلي الشرق .

رقم (٤٥) *منظر قلتة الماء الكبيرة الموجودة في شرقي هضبة «أم ردهة»*

ويقع جنوباً عن الهضاب المتقاربة هضبتان ملساوان انفردتا مما يلي فريدة شعر الجنوبية فصل بينهما واد كبير إحداهما تسمى «أم أصابع» نظراً لأن فوق قمتها حجارة مرتكزة ، والأخرى تسمى «هضبة صنيتان» حيث أفادنا أحد سكان «المغطى» بأن سبب تسميتها أن رجلاً من جماعتهم اسمه صنيتان توفي ودفن عندها فسميت باسمه .

انظر كيف تتغير أسماء الأعلام فكل جيل يسميها باسم خاص به .

وهاتان الهضبتان الملساوان هما آخر الهضاب من ناحية الجنوب ولم يبق جنوباً من الهضاب الحمر سوى صاحبنا الأقعس ، وهو أشهرها ، والمسافة بينهما وبينه أربعة أكيال ، انظر إلى صورتي هاتين الهضبتين رقم (٤٦) ورقم (٤٧)

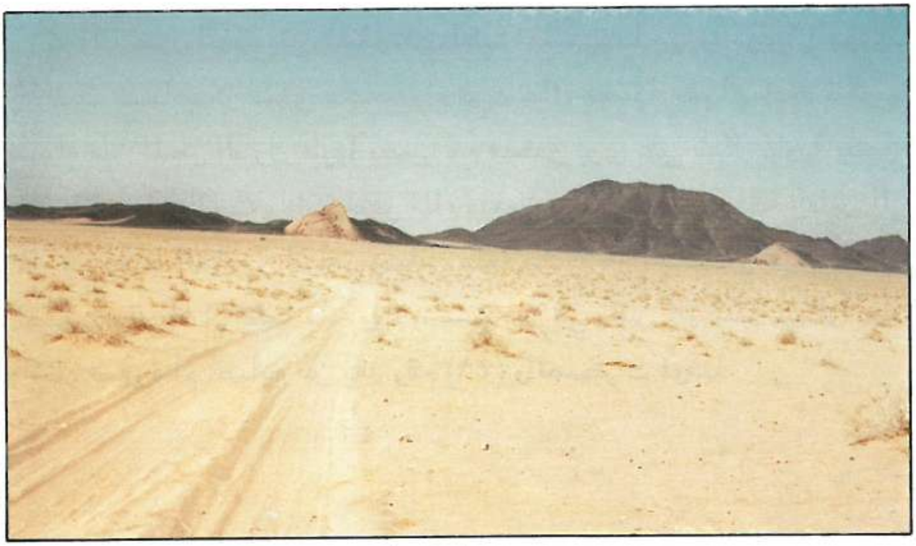

رقم (٤٦)

منظر الهضبتين المنفردتين «أم أصابع» اليمنى و«هضبة صنيتان» اليسرى، المنظر مأخوذ من جهة الشرق، وترى فريدة شعر خلفهما

رقم (٤٧)

منظر الهضبتين المنفردتين. المنظر مأخوذ من الشمال مما يلي جبل شعر، واليسرى هي أم أصابع

تجولنا حول الهضبتين المنفردتين لعلنا نجد فيهما مياهاً كبقية الهضاب ولم نجد شيئاً يذكر سوى مجمع ماء في شمال هضبة «أم أصابع» فلكونها ملساء فإن المطر النازل عليها يصب مع منحدر يرى على شكل زاوية يتجمع الماء النازل في السفح، ولكن مقر الماء مدفون والسبب عدم حاجة الناس إلى الماء في وقتنا الحاضر لتوافر وسائل جلبه من الآبار البعيدة والقريبة، انظر الصورة رقم (٤٨) علما بأنه يوجد شبيه به في نفس الهضبة يساراً منه، وانظر صورة أم أصابع من بعد رقم (٤٩) والصخرات فوقها.

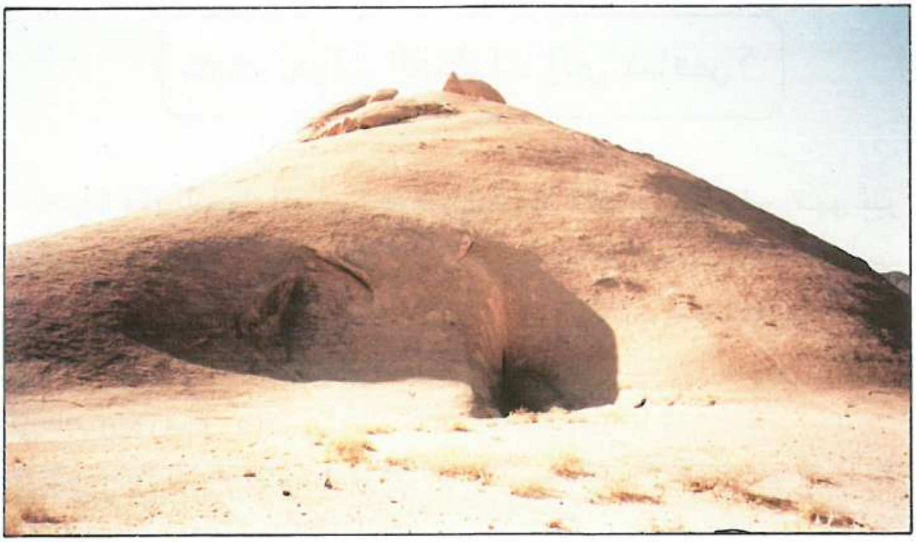

رقم (٤٨)
منظر رس ماء في شمالي هضبة «أم أصابع»

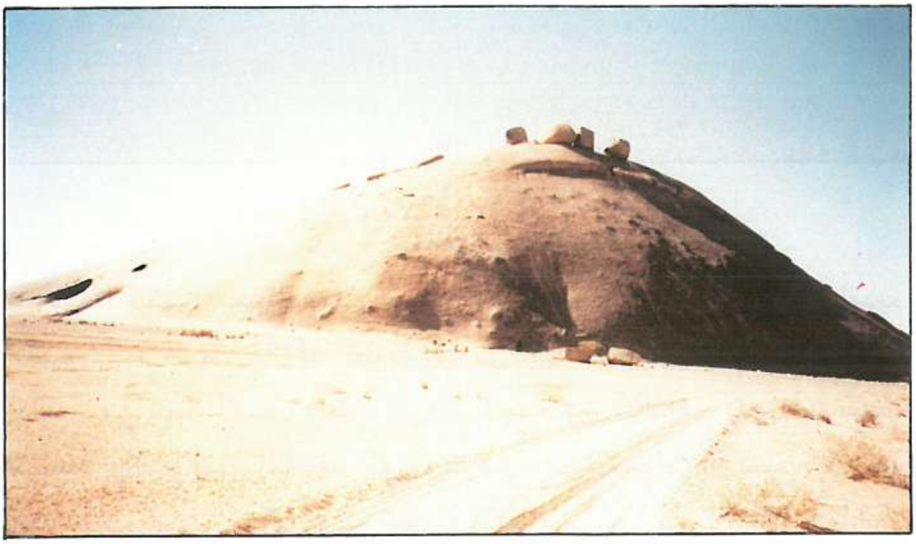

رقم (٤٩)
منظر هضبة «أم أصابع» وترى الصخرات في قمتها ، وهى سبب التسمية

كيف تحولت القطيات إلى خنافس؟

لمعرفة هذا التحول العجيب علينا زيارة هذا الأقعس المتخنفس فهو غير بعيد منا الآن. عندما وقفنا عليه تبين أنه عمود من هضب، وهذا الهضب مكون من ثلاث هضبات صاحبنا أطولها وتلك الهضاب شبه متلاصقة بنظر العين إلا أنه بالإمكان المرور بين عمود الأقعس وهضبتيه الجنوبيتين، انظر إلى الصورة رقم (٥٠).

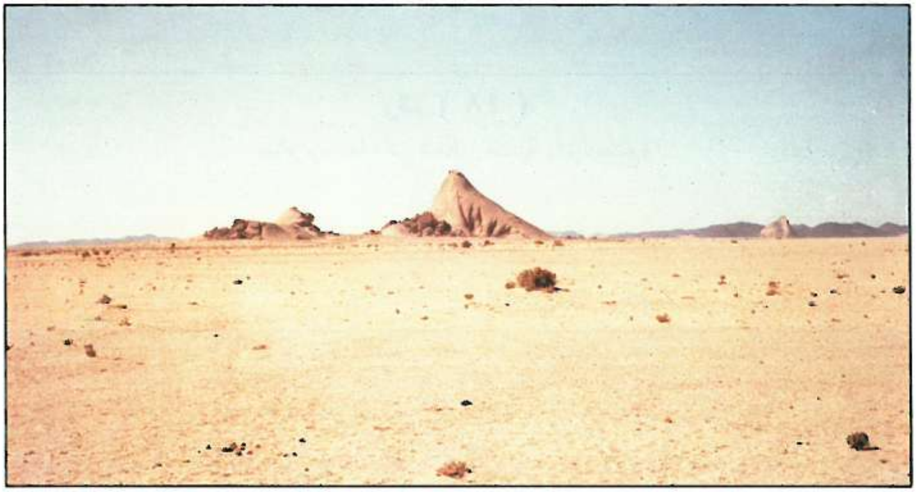

رقم (٥٠)

منظر هضبة الأقعس «الخنفسية»

ويهمنا كثيرا معرفة سبب تسميته بالخنفسية بدلاً من اسمه القديم الأقعس. أحد الرفقة قال إذا نظرت إليه من جهة الشرق فإنه يشبه الخنفساء ولذلك سمي بهذا الاسم، ونظراً إلى أن جميع من سألناهم لايعرفون سبب التسمية. والذي أميل إليه وقد يكون فيه شيء من الصواب أن سبب التسمية وجود حجر كبير بارز في جهته الغربية قريباً من القمة يشبه شكل حيوان أو حشرة وأقرب الحشرات المشابهة لهذا الحجر هي «الخنفساء» ولهذا سمي

بالخنفسية ومرة يطلق عليه الخنفسيات مع الهضاب التي حوله، انظر إلى الصور رقم (٥١) ورقم (٥٢) ورقم (٥٣)

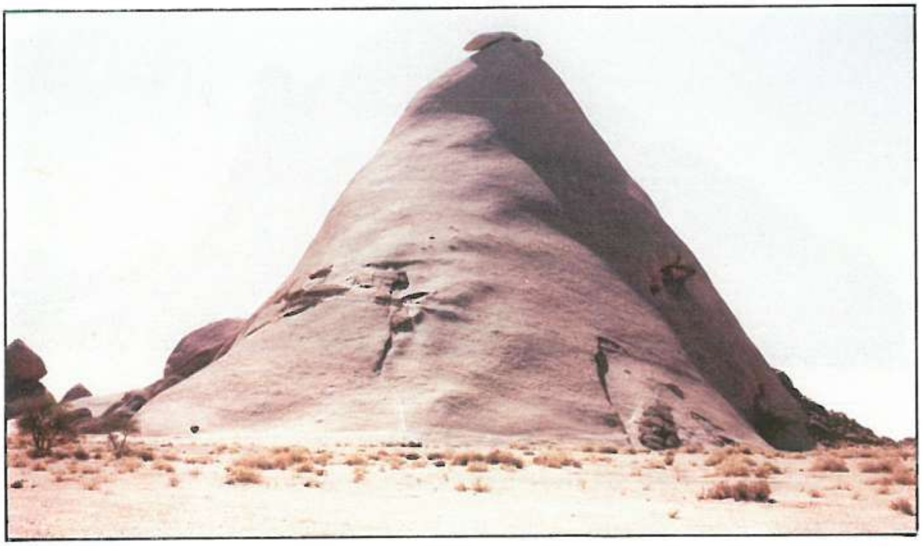

رقم (٥١)
منظر الأقعس من جهة الشرق «الخنفسية»

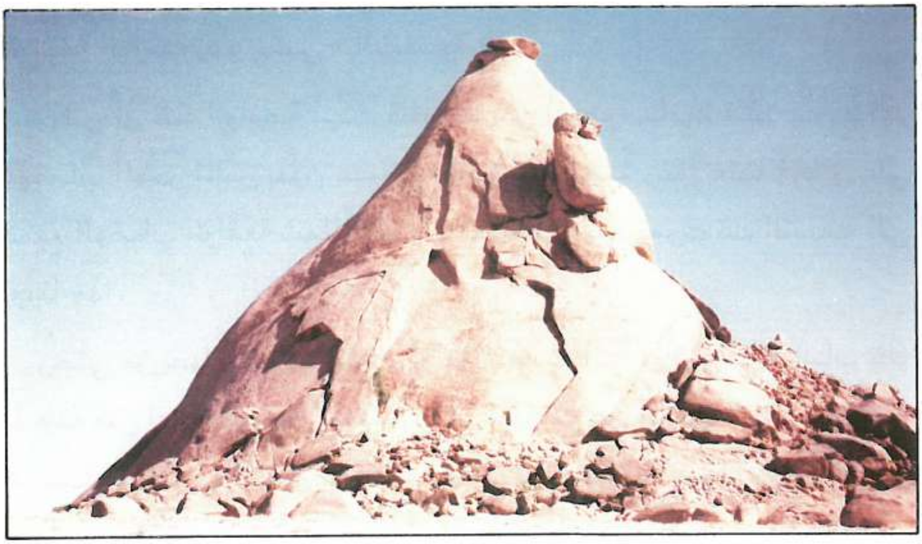

رقم (٥٢)
منظر الأقعس من الغرب وترى الخنفساء قرب القمة

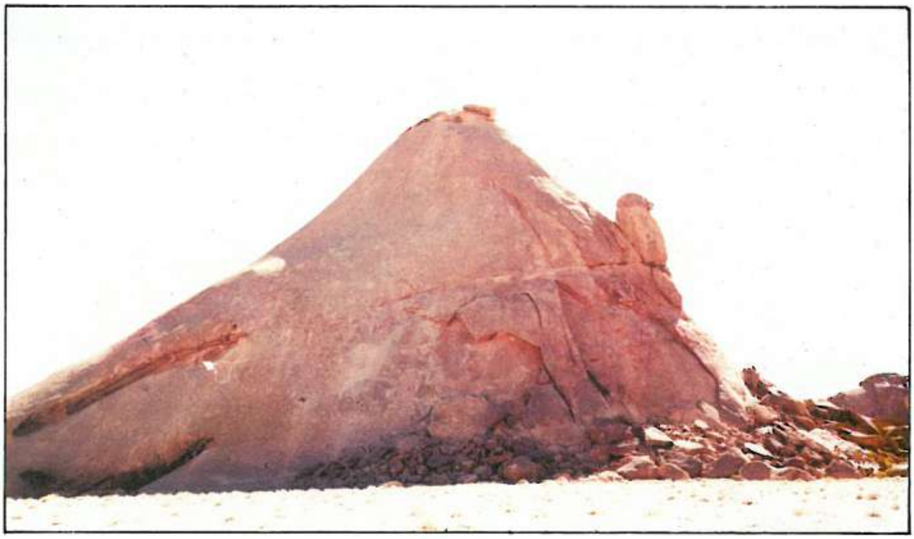

رقم (٥٣)
منظر الأقعس من الشمال وترى الخنفساء شبه منعزلة

وعلى كل فسبب التسمية الحقيقية ذهب مع من أطلق عليه هذا الاسم الذي لايتناسب مع جمال منظره، ومنذ أطلق عليه ذلك الاسم الذي يشم منه الرائحة الكريهة وهو يسمى « الخنفسية » .

وأظن أن تلك الرائحة أَجْلَتْ قطياتنا عن أفحوصاتها فأصبحت تلك الهضاب الحمر الملس بدون مسمى فتخنفست أيضاً رغماً عنها فأطلق على جميع الهضاب الواقعة شمالاً منه «الخنفسيات»، واستمرت تلك التسمية إلى يومنا هذا.

وحتى مؤرخوا عصرنا عندما أرادوا تحديد أسماء ومواقع هضاب تلك المنطقة كان لهذه التسمية أثر مباشر في إبعادهم عن اسمها الحقيقي. ماعدا صاحب الاسمين (الأقعس ـ والخنفسية)، ولعلنا نتساءل كيف لم يهتد كل من محمد بن بليهد رحمه الله، وسعد بن جنيدل إلى قطيات بدقة فاختار الأول «مغطيات»: واختار الثاني «أم المشاعيب»؟ هذا ما سأتحدث عنه فيما يأتي:

تشابهت الخنافس علينا:

عندما حدد لنا مؤلف (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) الخنفسيات قال:

(هي هضاب معروفة لاتبعد عن العرائس، وشعر، وقال الشاعر:

وقالوا: ماتريد؟ فقلت: أرمي جموعاً بالخنافس ذي أثول

وقال آخر:

صبحنا بالخنافس جمع بكر وحيّاً من قضاعة غير ميل [(١)]

فهل ما أورده رحمه الله من نصوص شعرية تنطبق على خنافس وضح الحمى؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل لابد لنا أن نطلع على ماقاله بالنسبة لقطيات، وقد مرَّ بنا ماقاله، ولكن من المفيد هنا إيراد نبذة مما قاله حتى نستطيع الإجابة قال:

(أما قطيات: فهي هضبات حمر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغير قليلاً ... يقال لها اليوم «مغطيات» .... وهناك هضبات بها ماء وقلات بالقرب من ضرية في جهتها الجنوبية يقال لها «مطيوي ضرية»، وهناك هضبات حمر في طرف شُعَبى ... يقال لها «المطيويات» ... والأول أقرب لقطيات.) أقول: إنه رحمه الله قرب كثيراً من قطيات، وأصاب في نظري إحداهن بسهم، ولكنه غير متأكد حيث صوب على أكثر من قطاة، وعلى كل فهو ولاشك صاد نصيبه منهن، ووصف قطيات واضح لا لبس فيه، ولكن نظراً لاختلاط القطا مع الخنافس في المكان نفسه غلبت الخنافس على القطا فطاش السهم إلى حدود العراق!!

قد يقول قائل: كيف حصل هذا؟ فأقول:

---

(١) صحيح الأخبار: ص٢/١٦٢

عندما عرف رحمه الله الخنفسيات أورد البيتين المتقدمين، ولا أدري كيف استشهد بهما مع أنهما لا يتعلقان بتلك الخنافس، وإنما يعنيان خنافس أخرى على حدود العراق.

فقد أورد الحموي في معجم البلدان مايلي:

(الخنافس: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البَردَان، تقام فيه سوق للعرب، أوقع عندها بالمسلمين في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وأميرهم من قبل خالد بن الوليد رضي الله عنه، أبو ليلى بن فدكي فقال:

وقالوا: ماتريد؟ فقلت: أرمي ... جموعاً بالخنافس بالخيول

فدونكم الخيول، فألجموها ... إلى قوم بأسفل ذي أثول

فلما أن أحسوا ماتولوا ... ولم يغررهمُ ضَبَحُ الفيول

وفينا بالخنافس باقياتٌ ... لمهبوذان في جنح الأصيل

ثم كانت بها وقعة أخرى في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإمارة المثنى ابن حارثة كبسهم يوم سوقهم وقتلهم وأخذ أموالهم، فقال المثنى في ذلك:

صبحنا بالخنافس جمع بكر ... وحيّاً من قضاعة غير مِيلِ

بفتيان الوغى من كل حيّ ... تُباري، في الحوادث كل جيل

نسفنا سوقهم، والخيل رُودٌ ... من التطواف والشرب البخيل[1]

هذا النص واضح في أن البيتين الذين أوردهما مؤلف «صحيح الأخبار» خاصان بأرض العرب التي بأطراف العراق، مع أنه رحمه الله عندما صحح عجز البيت في الجزء الرابع ذكر أن تلك الخنافس بأطراف العراق[2]

وزيادة مني بالتوثيق فقد رجعت إلى كتب التاريخ، وإليك هذا النص من كتاب (الكامل في التاريخ)، لابن الأثير قال:

(١) معجم البلدان : ص ٢/٣٩١

(٢) صحيح الأخبار : ص ٤/٤٤

(ذكر خبر الخنافس، وسوق بغداد): (وجاء إلى المثني رجلان أحدهما أنباري فدله على سوق الخنافس، والثاني حيري، دله على بغداد فقال المثنى: أيهما قبل صاحبتها؟ فقالا: بينهما مسيرة أيام. قال: أيهما أعجل؟ قالا: سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى، والسواد، وربيعة، وقضاعة يخفرونهم. فركب المثنى وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء، فانتهب السوق ومافيها، وسلب الخفراء[1] .. الخ).

وقد أورد شارح الكتاب الأبيات المتقدمة للمثنى «رحمه الله».

ومن ذلك يتضح أن الشواهد التاريخية والنصوص الشعرية القديمة كلها تتعلق بالخنافس التي بأطراف العراق، أما خنافس حمى ضرية والرابضة شرقي جبل شعر فتسميتها محدثة ولم أجد بشأنها نصوصاً نثرية أو شعرية.

(مدى انطباق ماجاء بالنصوص القديمة على قطيات بعد عودتها)

إذا ألقيت نظرة على الخارطة السابقة الموضح عليها تلك الأعلام التي مر ذكرها وطبقت عليها جميع النصوص القديمة فلن يكون هناك ـ في نظري ـ أدنى شك فيما توصلت إليه غير أنني أحب أن أستظهر ماورد في بعض تلك النصوص لأوفق بين واقع الأمر وتلك النصوص، وهذا ولا شك اجتهاد شخصي قد أخطىء فيه أو أصيب، وأرجو أن أوفق للصواب، أما إذا جانبني الصواب فقد يُحالف من يحاول فيما بعد أن يستظهر تلك النصوص حتى نكون على حقيقة من الأمر واضحة:

النص الأول:

رُوي بيت أمريء القيس مرة بصيغة الجمع (أصاب قطيات فسال اللوى

(١) الكامل في التاريخ : ص ٣١٦/٢

له . . .) ومرة روي بالتثنية : (أصاب قطيات فسال لواهما . .)، وروي ثالثة بالتثنية أيضاً (أصاب قطاتين فسال لواهما . . .) .

فهل هي قطاتان أم قَطَيَات؟ أقول : أرجح أنها مجموعة قَطَيَات ، ولكن تنوعت الروايات . فكثيراً ماتروى النصوص الشعرية بصيغ مختلفة مع الاحتفاظ بالمعنى، ولا أجد مخرجاً في الحالة التي أمامنا إلا أن من رواه بالتثنية قصد اثنتين من قطيّات ، وهما الهضبتان الجنوبيتان المواليتان للأقعس لانفرادهما عن بقية أخواتهما ، إضافة إلى قربهما من منعطف الوادي الفاصل بين قطيات وجبل شعر ، ويسمى في الوقت الحاضر «وادي الخنقة» ولاأستبعد أن اسمه القديم (اللوى) وإن كنت أعرف أن المقصود باللوى طرف الرمل وهو طرف (عريق الدسم) ولكن استنتاجاً من قول امرىء القيس: (أسال قطيات فسال لواهما) هذا القول يوحي بأن العبلة التي تقع فيها قطيات لما نزل عليها المطر سال منها الوادي ، ومن جبل شعر الواقع عنها غرباً أيضاً وهذا الوادي هو وادي اللوى الواقع بين قطيات وشعر ، كما جرى من هذا المطر النازل وادي البديّ فكلا الواديين سالا ، أما أن يسيل نفود الرمل بمعنى يجري معه الماء فهذا أمر مستبعد خصوصاً إذا عرفنا أن اللوى وهو الرمل بعيد عن قطيات ويفصل بينهما جبل شعر الطويل العريض ، مع أن خيال الشاعر لايعترف بالمسافات ، مع أنني لم أعثر على الاسم القديم لوادي الحنقة هذا في المعاجم القديمة ، والحديثة إلا إذا كان يحمل اسماً غير هذا ، وهذا الوادي ينعرج أمام تلك القطاتين فهو ملتوى أو منعرج الوادي ، وعلى كل فرواية الجمع أعم سواء ماورد من النصوص شعراً أم نثراً .

على أننى لا أستبعد أن يكون امرؤ القيس شطح به خياله كما عودنا بشعره عندما يصف السحاب والمطر النازل . فقد جلس مرة يرقب سحاباً في مكان بين «ضارج » وبين «العذيب» وأفادنا أن أيمن هذا السحاب أمطر على «قطن» وأمطر أيسره على الستار ويذبل ، وتلك الأماكن يفصل بينها

مئآت الأكيال .

ومرة أخرى قعد بين «ضارج» وبين تلاع يثلث والعريض . تلك القِعْدَة التى أفادنا فيها أن مطر هذا السحاب أصاب قطيات فسال لواها .

ومادمنا نحدد تلك الأماكن على أساس من شطحات خيال امرىء القيس حيث كان ديدنه مد نظره إلى أماكن نائية جداً ، فالبعيد عنده قريباً ولاغرابة في ذلك فهذه حالة البدو في البرية . وهناك مثل يقول : (قريب بدوي) فالبدوي بخلاف الحضري فإنه إذا وصف له البدوي مكاناً وقربه له صار عنده بعيداً ، ولذا قيل فى المثل : (تَيْهَة الحضري قصْرَهْ) أى أنه يقصر دون المكان الموصوف له فلايجده .

ومن هذاالمنطلق أقول : قديكون أمرؤ القيس نسب وادى اللوى لقطيات مع أنه يفصل بينه وبين قطيات رميلة اللوى وجبل «شعْرٍ» وهذا الوادى بمقياس امرىء القيس ليس بعيداً من قطيات حيث يقع عنها غرباً ، وأعالي هذا الوادي قِبْلَة هضاب قطيات ، والأقعس .

ووادي اللوى هذا يسمى في وقتنا الحاضر «وادي المياه» وقد يكون «اللوى» أو « رميلة «اللوى» الواقعة شرقاً منسوبة إليه وهي المسماة الآن «عريق الدسم» أو قد يكون هو منسوب إليها فيقال : «بطن اللوى»ولاداعى لذكر النصوص التى تكلمت عن هذا الوادي هنا .

وقد طرأ تغيير لمسماه فأصبح يسمى « وادي المياه » ومما زاد طين هذا الوادي بلة أن واضعي بعض الخرائط ومنها ماهو حديث الإعداد ذكروا هذا الوادي باسم «وادي الشبرم » ومعروف أن وادي الشبرم إذا سال يمر غرب «عفيف» ووادي اللوى «وادي المياه» حالياً تمر أعاليه من شرق عفيف وفرق بين مشرق ومغرب » ، وانظر إلى الخارطة رقم (١) لترى موضع هذا الوادي بالنسبة لقطيات .

النص الثاني والثالث :

مما تقدم اتضح أن قطيات هضاب حمر ملس متجاورات ينظر بعضهن إلى بعض ، ويوجد بها مجمعات مياه على شكل رسوس ، أو قلات كما هو واضح من الصور الفوتوغرافية ، وقد يتبين لمن يتقصى ، مجمعات مياه أكثر مما ذكرت .

النص الرابع :

كما ذكر الهجري رحمه الله : فإنها مع الأقعس في أعلى الوضح تحده من الغرب، وهذا فعلاً واقع الأمر .

النص الخامس :

أنها محاذية لغرب النير ، ودغانين ، وهكذا بالفعل الأقعس وقطياته .

النص السادس :

أيمنها من مهب الجنوب ، وأيسرها من مهب الصَّبَا ، وكل هذا متقارب ينظر بعضه إلى بعض .

أقول إن من يصفها هذا الوصف قد يكون وصفها وهو مقيم في العراق : فإذا كان الأمر كذلك فإن قطيات بدايتها من الجنوب، ثم تتجه شمالاً، ثم تأخذ باتجاه مطلع الشمس: وهو مهب الصَّبا ويتضح ذلك من زيارتها أو إلقاء نظرة على الخارطة.

النص السابع :

أنها تناوح هضب العرائس، وعمود من الهضب يقال له الأقعس، إلى جنب أجبل سود عظام يقال لهن كبشات، وكل تلك الأعلام في وضح الحمى.

وهذا واضح لا غبار عليه.

النص الثامن :

وجود مائين لبني أبي بكر بن كلاب هما : الشطون، وحفيرة خالد يقعان

بين الأقعس، وقطيات، وأحد هذين المائين وهو الشطون في ناحية شعر.

وهذا الوصف دقيق يدلنا على قطيات حيث أن ماء الشطون هو مايسمى اليوم بالأشعرية وقد أثبت هذا أستاذنا سعد بن جنيدل، ويقع فعلاً بين الأقعس، وقطيات إلا أنه داخل قليلاً في واد جوف جبل شعر.

أما حفيرة خالد فلا أعرف أين تقع، وقد تكون إحدى المياه المجاورة، أو أنها الآن سدوم فلا تعرف في وقتنا الحاضر، وهذا دليل واضح على أن هضب أم المشاعيب ليس بهضاب قطيات إذ كيف يقع ماء الشطون «الأشعرية» بين الأقعس وبين أم المشاعيب وهو في جوف جبل شعر؟!! فألق نظرة على موقع الأقعس، وأم المشاعيب والأشعرية، هل يمكن هذا؟!!!.

كلمة أخيرة موجهة إلى الجمعية الجغرافية بجامعة

الملك سعود بالرياض

لا أعرف عن نشاط تلك الجمعية شيئاً وهذا بلا شك قصور مني، وكل ما أعرفه عن هذه الجمعية ماسبق أن قرأته لرائد من رواد هذا المجال، وفارس من فرسانه هو الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس في كتابه «محاضرات وبحوث» تحت عنوان ـ جغرافية بلادنا لاتزال مجهولة ـ

حيث قال معلقاً آمالاً كبيرة على هذه الجمعية.

(لقد استقبلنا هذه الأيام مولد الجمعية الجغرافية في جامعة الرياض، واستمعنا في ندوة مولدها الشيقة ـ من أفواه أسرتها دكاترة، وأساتذة، وطلاباً ما هو خليق بمثلها .... وجغرافية بلادنا رغم الأشواط التي قطعناها في التعليم، ورغم الكشوف المتتالية، وأماكن الزراعة والمياه ... رغم ذلك لاتزال جغرافيتها متأبدة، وكثير من جوانبها مغلق ... ولايزال العالم ـ بله المتعلم ـ أمام مجاهلها، ومعاقلها خالي الذهن متبلد المعرفة ... ولاتزال أمية الأعرابي المتمكنة، هي ذات الاختصاص في معرفة طرقها، ومعالمها،

وأعلامها،ونباتاتها،وحيواناتها،ومناهلها،ومجاهلها...

واستطرد أستاذنا عبدالله قائلاً: ولدينا رصيد جم من المؤلفات عن جغرافية بلادنا منذ بدء عصر التدوين إلى هذا العهد لرجال بروا، وأبروا، وأعطوا من أنفسهم ماتقتضيه الوطنية، ويقضي به حق العلم. فوضعوا المعاجم، ودونوا الرحلات، ووصفوا الديار، وتحدثوا عن السير والأخبار. فكانت مؤلفاتهم مزيجاً من الاجتماع، والأدب، واللغة، والتاريخ، والجغرافيا ... فأحرى بنا أن نبدأ من حيث انتهى سلفنا، وأن نجعل مؤلفاتهم أساساً لما سوف نبني، ومنطلقاً لما سوف ندون

فعلى جمعيتنا الجغرافية الناشئة عبء ثقيل وأمامها طريق طويل ولها رسالة شاقة متعبة ... ولكن نفوسها كبيرة، وعزائمها المستحصدة ونفاسة ماتطلب سوف تكون عوناً على تذليل الصعاب، وترويض النافر، وكسب الانتصار) انتهي.

وأملي أن يكون تحقق لهذا الرائد المتكلم بعض ما أمله في هذه الجمعية، وأنها سائرة على الخط الذي رسمته لنفسها.

فحري بعزيمة الشباب أن تحقق ما أمله الآباء في أبنائهم، فالشباب هم القادرون بحول الله وقوته بإكمال ما بدأه هؤلاء الآباء في شتى المجالات، خاصة وأن هؤلاء الآباء أجهدوا أنفسهم بإخراج ما انطمر من وسائل المعرفة في مجالنا الذي نتحدث عنه إلى حيز الوجود فأصبح في متناول الباحثين من الناشئة.

خاصة وأن الوسائل متوافرة، والطرق معبدة فالحجة قائمة.

ولعلها فرصة أمام الجمعية الجغرافية أن تدرس مثل هذه الأمور وتقرر ما تراه الأصوب خصوصاً وأنه بين ظهرانينا رواد خدموا هذا الجانب من العلوم، وألفوا فيه المعاجم المطولة، والبحوث المستفيضة، ولهم حاسة قوية لاتتوافر لغيرهم، فحري بنا أن نستفيد من هذه الخبرات التي أعطت الكثير ولازالت تعطي.

والله ولي التوفيق ،،

الموضع: (الرابع)

« بحث ضمن رسالة »

الكلام عن :

ــ خفــا ، وخفــاف ــ

رقم (٥٤)

هضبة خفا من جهة الشرق

على أثر نشر بحثين في جريدة «الجزيرة» حققت في الأول «ثهمد وبرقته» وفي الثاني حققت موضع «هضاب قطيات»، وبحث ثالث تم نشره في مجلة «الدارة» حققت فيه «هضب متالع» ومنزل «إِمَّرَةَ».

تلقيت من الشاعر الأستاذ/ سعد بن علي الشعيلان الماضي أبياتاً من الشعر عبر من خلالها عن انطباعه حول ماورد في تلك البحوث الثلاثة.

ولم يكن في نيتي إدخال تلك القصيدة ضمن هذا الكتاب لسبب لايخفى على القارىء، ولكن لجودة النظم، وروعة الخط جعلاني أتحمل اللوم على نشرها، أضف إلى ذلك أن صاحب تلك القريحة المبدعة سألني عن موضعين أجبته عنهما ضمن رسالة بعثت بها إليه رداً على رسالته.

وفيما يلي أبيات القصيدة وإجابتي عما استفسر عنه الأخ سعد عسى أن يكون فيما أجبت به فائدة تشفع لي عند القارىء:

بسم الله الرحمن الرحيم

سعد بن عبد الله الماضي (مستعيل؟)

الشعراء في

الجمعة ١١/٨/١٤١٢هـ

الموافق ١٤/٢/١٩٩٢م

إعجاباً وتقديرًا، أبعثُ بهذه الأبياتِ المتواضعةِ إلى الأخِ العزيزِ الأستاذِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ محمّدِ بْنِ إبراهيمَ الشّايعِ حفظهُ اللهُ، حيثُ يبذلُ جهدًا كبيرًا لتحقيقِ أسماءِ مواضعَ مختلفةٍ في عاليةِ نجدٍ..

أَجَلْ هُوَ ذَا التّحقيقُ

مَدَدْتَ يَدًا نَجْمُ الثُّرَيَّا لَهَا مَدَى (١) وَكَانَتْ يَدًا مِنْ رَاحِهَا نَبْعُ النَّدَى

يَدَ الصِّدْقِ إِنَّ الصِّدْقَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ (٢) إِذَا مَا ابْتَغَى فِيهَا الْقِرَى الْبَابُ أُوصِدَا

فَآوَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَذِلَّةٍ (٣) فَطُوبَى لَهُ إِذْ أُلْهِمَ الرُّشْدَ وَالْهُدَى

مَدَدْتَ يَدَ التَّحْقِيقِ - وَالْحَقُّ قَدْ خَبَا - (٤) فَأَصْبَحْتَ فِي ذَاكَ الْمَجَالِ مُجَدِّدَا

نَفَضْتَ غُبَارَ الْأَعْصُرِ السُّودِ إِذْ طَغَى (٥) فَأَعْشَى عُيُونًا قَبْلَ هَذَا وَأَرْمَدَا

وَأَيْقَنَ كُلُّ الْبَاحِثِينَ بِأَنَّ مَا (٦) تُقَدِّمُهُ حَقٌّ مُبِينٌ تَأَكَّدَا

فَتِلْكَ قُطَيَّاتُ الَّتِي مَرَّ بَارِقٌ (٧) بِهَا أَعْجَبَ الْكِنْدِيَّ لَيْلًا فَأَنْشَدَا

وَإِمَّرَةٌ عَاتَبْتَهَا فَتَوَاضَعَتْ (٨) وَكَانَتْ عَلَى جِيرَانِهَا تَبْسُطُ الْيَدَا

وَتِلْكَ طَرِيقٌ مِنْ ضَرِيَّةَ يَمَّمَتْ (٩) مِنًى، سِرْتَ فِيهَا حَيْثُ آخَيْتَ أَحْمَدَا

فَأَلْفَيْتَهَا بِيدًا طِوَالًا وَبُرْقَةً (١٠) تَغَنَّى بِهَا عَمْرٌو تُجَاوِرُ ثَهْمَدَا

أَجَلْ، هُوَ ذَا التَّحْقِيقُ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ (١١) لَهُ عِنْدَ مِثْلِي - لَوْ تَقَصَّيْتَهُ - صَدَى

فَزِدْ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلْتَحْيَ هَانِئًا (١٢) وَبَاعَدَ رَبِّي بَيْنَ عُمْرِكَ وَالرَّدَى

★

بحـــث ضمـــن رســـالة

أخي الكريم سعد بن علي شعيلان الماضي وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تلقيت رسالتك مشفوعاً بها المقطوعة الشعرية التي جادت بها قريحتك تلك المقطوعة التي يلمس فيها الشعور والإحساس.

ولا أخفي عليك أنني أعجبت بها كثيراً لا لأنك أطريتني فيها ذاك الإطراء الذي لا أستحقه، ولكن لروعة النظم والمعنى.

كما لا أخفي عليك أن هذا الإعجاب خبا ـ لبرهة ـ عند تركيز النظر على الأحرف التي كتبت بها تلك الأبيات الشعرية.

فياترى: أتحولت القريحة إلى أنامل خطت بالقلم فاختلطت روعة النظم بروعة الخط، فأصبحت القريحتين في حالة تنافس؟!

ولا أجد وصفا للقريحة المنشدة، ولليد المسطرة إلا أنهما كفرسي رهان لم ترض أي منهما إلا أن تتغلب على منافستها وهيهات لها ذلك.

ولا يسعني إلا أن أقول:

بارك الله لك أبا العلاء في قريحة نظمت فأنشدت وفي يمين سطرت فأبدعت.

وكان بودي أن أجيبك شعراً ولكن همتي تقصر دون ذلك ولكل ميدان فرسانه، ولعلي أسلي النفس وأرد بشيء أستطيعه فأجيبك عما استوضحت عنه مما خفي من أمر «خَفَا»، وعن الطير التي رآها «نُصَيبٌ» فوق منقعة بين العرائسوالنسر

فأقول: إنما سأكتبه لك ليس لي فيه فضل وإنما الفضل فيه لعلمائنا الذين

مهدوا الطريق أمامنا لمعرفة مواضع بلادنا، ولذلك فلن أوافيك بجديد يذكر، ولكن كما قيل:

يجود علينا الخيرون بما لهم ونحن بمال الخيرين نجود

وعندي أنما نقرأه لهم من علم في هذا المجال أغلى من المال.

وإليك الإجابة عما ارتسم في ذهنك من تساؤلات:

أولاً : (المنقعة التي دَفَّتْ عليها عُقَابُ ضَرِيَّةَ)

قال الهجري رحمه الله تعالى: (ثم الجبال التي تلي نضاد من جانبه الأنسر وهي أبارق ثلاثة بأسفل الوضح يقال لأحدهما النسر الأسود، وللآخر النسر الأبيض، وللثالث النُّسير وهو أصغرها، وهذه الأجبل هي النسار والأنسر وهي في حقوق غني وقد ذكرتها الشعراء:

قال نُصَيْبٌ :

ألا ياعقاب الوكر وكر ضرية سقتك السواقي من عقاب ومن وكر

رأيتك في طير تدفين فوقها بمنقعة بين العرائس والنسر[(١)]

أقول : مما فهمته من هذين البيتين أن الشاعر نُصَيْباً مر في أحد أسفاره بوضح الحمى «حمى ضرية» أو قد يكون أحد العاملين في هذا الحمى فشاهد عقاباً تحوم فوق منقعة حددها بأنها واقعة بين العرائس والنسر، وكلنا يعرف العرائس وهي: هضاب حمر تحف بها أرض رملية حمراء زادت من جمالها، وهي واقعة جهة مغرب الشمس من بلدة القاعية غير بعيد منها.

أما النسر: أو الأنسر فهي واقعة شرق بلدة القاعية تشاهد منها بالبصر

(١) أبو علي الهجري وابحاثه : ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠

واقعة شمالاً من جبل النضادية «نضاد» وصفها لنا الهجري رحمه الله وصفاً دقيقاً لاغموض فيه.

أما المنقعه التي رأي نصيب العقاب تدف فوقها فهي كما يبدو لي قاع تجتمع فيه مياه الأمطار فتمكث فيه مدة طويلة، وليس بين العرائس والأنسر قاع غير القاع الذي تقع على جانبه بلدة «القاعية» ولعل اسم هذه القرية منسوب إلى هذا القاع.

وقد شاهدت في إحدى السنوات تلك المنقعة مليئة بمياه الأمطار حتى أن المياه داهمت بيوت القاطنين حولها.

ولعل نُصَيْباً مر على تلك المنقعة وهي مليئة بالمياه وعادةً ماتكثر الطيور على الغدران ومناقع المياه فشاهد عقاباً تدف فوق تلك المنقعة لاصطياد ماتناله مخالبها من تلك الطيور.

ودفيف الطائر هو: طيرانه قرب الأرض. وقال صاحب لسان العرب:

(دَفَّ الطائر يدف دفاً ودفيفاً وأدف: ضرب جنبيه بجناحيه.

وقيل: هو الذي إذا حرك جناحيه ورجلاه في الأرض، وفي بعض التنزيه: ويسمع حركة الطير صافها ودافها؛ الصافُّ: الباسط جناحيه لايحركهما.

ودفيف الطائر: مرّه فويق الأرض.

والدفيف: أن يدف الطائر على وجه الأرض يحرك جناحيه ورجلاه في الأرض وهو يطير ثم يستقل.

ودف العقاب يدف إذا دنا من الأرض في طيرانه.

وعقاب دفوف للذي يدنو من الأرض في طيرانه إذا انقض. قال امرؤ القيس:

كأني بفسخاء الجناحين لَقْوَةٍ دَفُوقٍ من العقبان طأطأتُ شِمْلالِ

وقوله: شملال: أي شمالي، ويروى شملال دون ياء وهي الناقة الخفيفة.

وأنشد ابن سيدة:

فبينا يمشيان جرت عقاب   من العقبان خائتة دفوف[1])

وبهذا أظن أننا عرفنا مكان المنقعة بالتحديد وأنها القاعية حالياً وليس مكاناً آخر كما عرفنا العقاب التي تدف فوق الطير الواقعة على تلك المنقعة أليس كذلك؟

ولعلي أوافق الاستاذ سعد بن جنيدل فى أن اسم القاعية في القديم «مِذْعَى» وهي مورد ماء ينطبق تحديد علماء البلدان القدماء عليه.

ثانياً: («خَفَا» ليست «خُفَافاً»)

تتساءل يا أخ سعد عن هضبة «خَفَا» تلك الهضبة الواقعة شمال المنقعة التي دفت عليها عقاب ضرية وهي لاتبعد عنها كثيراً جميلة المنظر واقعة في منخفض من الأرض، ولعل اسمها مأخوذ من تخفيها أو أن الاسم أطلق على البئر الواقعة بجانبها فسميت الهضبة بهذا الاسم. انظر إلى صورة هضبة «خفا» رقم (٥٤)

وتساؤلك نشأ مما قرأته في معجم «عالية نجد» للأستاذ سعد بن عبدالله بن جنيدل حيث بدا للمؤلف أن «خَفَا» هي «خُفَافٌ» قديماً.

ويحق لك أن تتساءل لأنك ممن يقطن حول تلك الهضاب والمرابع الجميلة.

وقد يكون لخيالك كشاعر جولات بين تلك الهضاب الواقعة في وضح الحِمى «حمى ضرية» وكأنني بهذا الخيال يَدِفُّ حول تلك الهضاب يصطاد ماجزل من المعاني كما دفت عقاب ضرية على المنقعة المجاورة لها، وفرق بين من يدف لاصطياد المعاني لاشباع الفكر وبين من يدف لاصطياد مايملأ البطن..

(١) لسان العرب لأبن منظور (مادة ـ دفف).

ولعلي أتساءل معك هل هضبة «خفا» أو الماء الذي حولها هو مايعرف قديما باسم «خُفَاف»؟ ولكي نستبين ذلك علينا إلقاء نظرة على ماقاله مؤلف «معجم عالية نجد» حيث أن هذا الكتاب من أهم المراجع الحديثة التي تكلمت عن مواضع عالية نجد حيث أجاد مؤلفه وأفاد وسد فراغاً كبيراً.

ولن يقدح فيه تعديل مسمى موضع من المواضع. فماذا ياترى قال المؤلف عن «خَفَا»؟

يقول: (خَفَا .... ماء قديم يقع في جانب هضبة صغيرة منفردة ومنطرحة في بيداء من الأرض تحف بالماء من الناحية الغربية ماؤه وفير منزعه قريب، ويرتفع ماؤه في أيام الربيع ووفرة السيول إلى أعالي آباره، وهو منخفض بجانب الهضبة .... ـ النقط تعني الاختصار ـ

يقع هذا الماء شمال بلدة القاعية، غرب هضبة شرثة (ثَهْمَد) وشرق العرائس في أسفل وضح الحمى ....

ويبدو لي أن كلمة «خفا مختصرة من كلمة خُفَاف لأن الوصف والتحديد لماء خفاف ينطبقان على ماء خَفَا قال ياقوت : ..... من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية وهو يُسْرة وضح الحمى قال الراعي:

رَعَتْ من خُفَافٍ حيث نَقَّ عُبَابُهُ وَحَلَّ الروايا كُلُّ أسحم قَاطِرِ

وقول الراعي: نق عبابه وحل الروايا، يدل على أنه إذ جاده المطر يرتفع ماؤه إلى فوهات آباره، وهذا الوصف ينطبق على ماءِ خَفَا.

وذكر الأصفهاني أنه لبني جعفر قال: من مياههم عمود الكود وهو جرور أنكد وخفاف مويهة لهم. والواقع أن الكود (الكودة) قريبة من خفا وبنو جعفر وبنو عمرو بلادهم متقاربة.) انتهى[1]

أقول: إن خُفَافاً هذا استخفه أكثر من باحث في عصرنا الحاضر فحملوه إلى غير موضعه، وماعلينا إلا أن نلقي نظرة سريعة على بعض ماقيل حول «خُفَافٍ» لنرى ماذا قالوا عنه.

---

(١) معجم عالية نجد / ص ٢/ ٤٦١

١ ـ يقول الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله في كتابه صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار:

(خُفَاف: أما خفاف فقد قال في معجم البلدان ـ وهو من مياه عمرو بن كلاب.

وأنا لا أعلم اليوم في نجد ماء بهذا الاسم وثمة خُفُّ وخفيف. وهما واقعان في طريق السيارات المجاورة لنفوذ السر في بطن الوادي الذي ينصب من وادي حميان والتسرير والدوادمي وتسلك مع القرنة التي تسلكها السيارات اليوم في صفراء السر، فتنحدر السيول وتمر بخفيف ثم بخف وتندفع إلى رياض السر تجتمع في روضة يقال لها مطربه وكان وادي خف لبني نمير في الزمن القديم قال الراعي:

رعت من خفاف حيث نَقَّ عبابه وحل الروايا كُلَّ أسْحَمَ ماطِرِ[1] انتهى.

٢ ـ الأستاذ/ عبدالل بن خميس في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز» ـ عند ماخلف نفود السر وراء ظهره وهو في طريقه إلى الحجاز ـ يقول: (ومن مناهل هذا السهل التي يتركها الطريق يساره بعد أن يأخذ به قريباً من نصفه مناهل (نفجة) و(مكينة) و (الشهيبية) متواليات حسب الترتيب أقربها مسافة سبعة أكيال وأبعدها مسافة خمسة وثلاثين كيلاً، وعلى يميننا ونحن نجتاز هذا السهل ماءة (خف) واسمها قديماً (خُفَاف) وهي لبني نمير قال الراعي النميري:

رعت من خفافٍ حيث نَقَّ عبابه وحل الروايا كل أسحم ماطر

وقال امرؤ القيس:

ثج حتى ضاق عن آذيه عرض خيم فخفاف فيسر[2]) انتهى.

لن أعلق كثيراً على هذين الرأيين لأن مجال بحثنا هو «خَفَا» وكلما أريد

(١) صحيح الأخبار : ص١/٧١

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز ٦٩.

قوله هنا: إنني لست مع المؤلفين في أن «خُفّ» كان يسمى قديماً «خفافاً» لأن خُفا محتفظ باسمه القديم حتى يومنا هذا فلماذا نبحث له عن اسم آخر؟ فنقول إنه خفاف، ووادي خف حالياً كان يسمى قديما «وادي السِّر» ويدل على ذلك قول الهمداني رحمه الله في كتابه «صفة جزيرة العرب» حيث قال:

(ويقطعه من ورائه بطن السِّر ومياهه وهو واد فيه المياه: عكاش، وخف، والنطاف، وفي أسفله أدنى مياه حائل، والعوينـد، والأعبده، ومكينه، يدفع أسفله في القريتين)[1]

والشيخ محمد بن بليهد رحمه الله عندما علق على هذا النص في كتاب «صفة جزيرة العرب » حينما قام بنشره عام ١٣٧٢هـ قال: (في هذه الجملة مياه باقية على اسمها إلى عهدنا هذا وهي «خف» إلخ)[2]

ألم أقل لك إن الباحثين استخفوا «خُفَافاً» فنقلوه إلى غير موضعه ؟ ! !

ولنعد الآن إلى مناقشة ماورد فى كتاب « معجم عالية نجد» :

أولاً يقول المؤلف : (يقع هذا الماء شمال بلدة القاعية غرب هضبة شرثة (ثَهْمَد).

فأقول: إن تحديد المؤلف لموقع «خَفَا» صائب ولكن لي تعليق هنا على قوله: (غرب هضبة شرثة «ثمهد») فالذي أراه أن هضبة شرثة ليست هى هضبة «ثمهد» وقد أفردت لهذا الرأى بحثاً بكامله حققت فيه موقع هضبة ثهمد وبرقة خولة صاحبة طرفة بن العبد وهى تقع شرقاً من وضح الحمى بعيداً منه وقد تم نشر هذا البحث في جريدة «الجزيرة» بتاريخ ٢١، ٢٢ ، ٢٣/ القعدة عام ١٤١١ هـ الاعداد رقم ٦٨٢٣ ، ٦٨٢٤ ، ٦٨٢٥ وهو أحد مواد هذا الكتاب.

ثانياً : يقول المؤلف : (يبدو لي أن كلمة خفا مختصرة من كلمة خُفَاف

---

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٠ «نشر دار اليمامة»

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني : ص ٣٤٢ «تحقيق محمد بن بليهد»

لأن الوصف والتحديد لماء خفاف ينطبقان على ماء خفا واستشهد بأقوال ياقوت ، وبيت الراعي ، وقول الأصفهاني المتقدم ذكرها) وتعليقي على ذلك :

١ ـ أظن أن كلمة خفا لم تكن مختصرة من خفاف لأن كلمة «خفا» أخذت من التخفي لأن هذا الماء وهضبته واقعان في منخفض من الأرض ، أما التحديد فقد حدد المؤلف موقع خفا في أسفل الحمى وياقوت الحموى حدد خفافاً بأنه من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية وهو يسرة وضح الحمى ، ويبدو لي أن الماء الذي أشار إليه ياقوت واقع داخل بلاد بني عمومتهم بني جعفر كما ذكر الأصفهاني . وهو بالتأكيد داخل حمى ضرية يسرة وضح الحمى . ومعروف أن «خفا» واقع في أسفل وضح الحمى أي في شرقيه مع ميل إلى يمنة وضح الحمى لايسرته .

٢ ـ أما قول ياقوت : (خفاف من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية وهو يسرة الحمى قال الراعي :

رعت من خفاف حيث نق عبابه وحل الروايا كلُّ اسحم ماطر)

فإن لي كلاماً فيما بعد حول هذا البيت الذي استشهد به كل واحد من الباحثين الثلاثة.

٣ ـ قول المؤلف : (وقول الراعي نق عبابه وحل الروايا يدل على أنه اذ جاده المطر يرتفع ماؤه إلى فوهات آباره وهذا الوصف ينطبق على ماء خفا.)

أقول إن الوصف الوارد فى بيت الراعي لاينطبق على ماء خَفَا وكذلك بالنسبةلقول الأصفهاني الذي ساقه المؤلف وهو جملة «وخفاف مويهة»

وإذا رجعنا إلى قراءة النص في كتاب الأصفهاني «بلاد العرب» نجد أن مؤلف «عالية نجد» عفا الله عنه لم يورد النص كاملاً. حيث قال الأصفهاني وهو يعدد مياه بني جعفر: (وعمود الكود وهو جرور أنكد . وخُفَاف مويهة لهم ، بئر جرور أي بعيدة القعر ، والأنكد العسر المشئووم المتعب للسقاة.)

فإذا عرفنا أن بئر خفا منزعها قريب كما أوضح لنا ذلك مؤلف «عالية

نجد» وأن خفافاً بئر جرور بعيدة القعر كما ذكر الأصفهاني فأى تطابق فى الوصف بين البئرين ؟ هذا إذا كان الوصف يعود لخفاف ولذلك أقول إن ماء خـفـا ليس هو مـاء خـفـاف الذي أشـار إليـه كل من ياقـوت الحـمـوي والأصفهاني.

أما بالنسبة لخفاف الوارد فى بيت الراعي النميري فإنه موضع آخر مختلف عن هذا تمام الاختلاف .

البلدانيون وبيت الراعي

الراعي النميري : هو لقب الشاعر عُبَيد بن حصين بن نمير بن عامر بن صعصعة ، ورجح كاتب مقدمة ديوانه أنه (لقب بالراعى لكثرة وصفه راعي الإبل وقطعانه فى شعره ولكن هناك محاولات لجعل بعض أبياته الشعريه سبباً لتلقيبه بذلك) وأقول: إن الراعي هو الذي أطلق على نفسه هذا اللقب وذلك يتضح من أبيات له في ديوانه فى صفحة (٧٣) حيث قُدِّم لهذه الأبيات بمايلي:

(قدم الراعي على خالد بن عبدالله القسري ومعه ابنه جندل فكان يغشاه مع أبيه ثم فقده فقال: مافعل ابنك ؟ فقال توفي ـ أصلح الله الأمير ـ بعد أن زوجته وأصدقته . فأمر له خالد بدية ابنه وصداقه فقال الراعي :

وَدَيْتَ ابن راعي الإبل اذحان يومُه   وشَقَّ له قبراً بأرضك لاحد)

وعندي أن هذا دليل واضح بأن الراعي هو الذي أطلق على نفسه هذا اللقب .

ولنعد الآن إلى بيته مدار بحثنا .

نلاحظ أن بيت الراعي المتقدم إستشهد به من قال : إن «خُفاً» هو خُفَاف ، ومن قال: إنه «خفا» ، ومن قال: إنه مويهة لبني جعفر بحمى ضرية فهل ياترى أمعن هؤلاء النظر حينما استشهدوا بهذا البيت ؟

عندما نعود إلى ديوان الراعي نجد أن هذا البيت ترتيبه السابع عشر من بين أبيات قصيدة عدد أبياتها ثمانية وعشرين بيتاً ، وسيلحظ القارىء أن في بعض كلمات البيت الموجود في الديوان إختلاف عن كلمات البيت الذي مر معنا .

ويحسن أن أسوق بين يدي القاريء عدداً من أبيات القصيدة مما قبل هذا

البيت وبعده لنتمكن على ضوئها مجتمعة من الكلام عن بيت الراعي المستشهد به .

يقول الراعي :

فَلَمَّا الْتَقَتْ فُرْسَانُنَا وَرِجَالُهُمْ ... دَعَوْا يَا لَكَلْبٍ وَاعْتَزَيْنَا لِعَامِرِ
تُلَاعِبُ أولَادَ الْمَهَا بِكُرَاتِهَا ... بِإِثْبِيتَ فَالْجَرْعَاءِ ذَاتِ الأَبَاتِرِ
نَشَرْنَاهُمُ أَيَّامَ إِثْبِيتَ بَعْدَمَا ... شَفَيْنَا غِلَالاً بِالرِّمَاحِ الْعَوَاتِرِ
رَعَتْ مِنْ خُفَافٍ حِينَ بَقَّ عِيَابَهُ ... وَحَلَّ الرَّوَايَا كُلُّ أَسْحَمَ مَاطِرِ
جَعَلْنَ حُبَيًّا بِاليَمِينِ وَنَكَّبَتْ ... كُبَيْساً لِوِرْدٍ مِنْ ضَئِيدَةَ بَاكِرِ
فَلَبَّثَهَا الرَّاعِي قَلِيلاً كَلَا وَلَا ... بَلَوْذَانَ أَوْ مَا حَلَّلَتْ بِالكَرَاكِرِ
وطَبَّقْنَ عُرْضَ القُفِّ لَمَّا عَلَوْنَهُ ... كَمَا طَبَّقَتْ فِي العَظْمِ مُدْيَةُ جَازِرِ
تَرَى الطَّرِفَاتِ الْعِيطَ مِنْ بَكَرَاتِهَا ... يَرُعْنَ إلى أَلْوَاحِ أَعْيَسَ جَاسِرِ
أَلَمْ يَأْتِ حَيًّا بِالجَرِيبِ مَحَلُّنَا ... وَحَيًّا بِأَعْلَى غَمْرَةٍ فَالأَبَاتِرِ
تَرَكْنَ رِجَالَ العُنْظُوَانِ تَنُوبُهُمْ ... ضِبَاعُ خُفَافٍ مِنْ وَرَاءِ الأَبَاتِرِ[1]

البيت السابع عشر هو محل الشاهد عند البلدانيين الذين مر ذكرهم والاختلاف الحاصل واضح في جملة «حيث نَقَّ عُبَابُهُ» بينما هنا في الديوان نجد الجملة هكذا «حينَ بَقَّ عِيَابَهُ» وهذا التباين يترتب عليه بلا شك اختلاف في المدلول.

إذ أن جملة «نق عُبابُه» توحي بأن المقصود ماء فالعباب للماء والنق للضفادع ولست أرى أن كثرت الماء في البئر المورودة تجلب الضفادع ليكثر نقيقها وإنما تكثر في مجاري المياه والمستنقعات علماً بأن الضفادع غير مألوفة في موارد مياه البادية.

ويبدو لي أن جملة «بَقَّ عِيَابَهُ» الواردة في الديوان هي الأصح إذ أن هناك

(١) ديوان الراعي النميري : ص ص ١٣٤ ـ ١٣٧

فرق بين نقَّ وبَقَّ، وبين عُبَابُهُ وعِيابَه. حتى أن الروايتين تختلفان من ناحية الإعراب فكلمة عبابه كانت فاعلاً بينما في الرواية الأخرى الموجودة في الديوان أصبحت كلمة عيابه مفعول به.

فياترى ماذا تعني كلمة «بَقَّ»؟ يقول صاحب لسان العرب:

(«بَقَقَ» .... وبَقَّ المكان وأبَقَّ كثر بقه وأرض مبقة كثيرة البق.

وبَقَّ النبت بقوقاً وذلك حين يطلع. وأبَقَّ الوادي إذا أخرج نباته قال الراعي:

رَعَتْ من خُفَاف حين بَقَّ عِيَابَهُ   وَحَلَّ الرَّوَايا كُلُّ أسحَمَ مَاطِرِ

وقال بعضهم: بَقَّ عِيَابَه أي نشرها. الخ [1])

من هذا نفهم أن الراعي يصف المكان المسمى خُفاف بأن النبات منتشر فيه لأن سحباً سوداء جادت عليه بمطرها فشبه السحب السوداء بالروايا وهي الابل التي تحمل الماء.

ولن أطيل في شرح الروايا فارجع لها هناك في كتب اللغة تجد ذلك مبسوطاً.

فإذا عرفنا أن الروايا هي الابل الناقلة للماء وأن المزادة التي يحمل فيها الماء تسمى راوية على سبيل الاستعارة أمكننا فهم مايرمي إليه الراعي النميري، وأن تلك الخيل أو الإبل رعت من خُفَاف الذي انتشر نباته.

ولعلنا نتساءل إذا لم يكن «خفافٌ» هو «خف» أو «خَفَا» فأين يقع خُفاف هذا الذي ذكره الراعي بشعره؟

(١) لسان العرب لابن منظور : مادة (بقق).

محاولة الاقتراب من مكان خُفَاف

إن من الصعب الجزم بتحديد المكان الذي يقع فيه «خفاف» بشكل قاطع وذلك بسبب عدم توفر القرائن الواضحة الموصلة إلى تحديده، ولأن هذا المسمى يطلق على أكثر من موضع فهو مرة يطلق على مورد ماء، ومرة أخرى على واد، ومرة ثالثة على جبل.

ولكن لعلي في الأسطر القادمة أحاول قدر الإمكان ولو من الاقتراب إلى الجهة التي يقع فيها فأقول:

إذا ما استعرضنا قصيدة الراعي المتقدم بعض أبياتها نجد مايلي:ـ

ـ أن معركة حصلت بين قبيلة «كلب» وقبيلة «بني عامر» وهم قوم الراعي النميري ومعروف أن مساكن كلب تقع في شمال الجزيرة العربية.

ـ ورد في أبيات القصيدة عدد من المواضع منها:

إثبيت، الجرعاء، ذات الأباتر، الأباتر، خفاف، حُبَيّ، كُبَيْس، ضئِيدة، لوذان.

وسأحاول تحديد تلك المواضع لعلنا نستشف منها الجهة التي يقع فيها «خفاف».

١ ـ إثبيت: لم أطلع على تحديد له غير ماذكره صاحب اللسان من أنه اسم موضع أو جبل واستشهد ببيت الراعي.

٢ ـ الجرعاء: لم أجد مايسمى بالجرعاء ذات الأباتر، وإنما ذكر البلدانيون جرعاء مالك وجرعاء الرماض.

والجرعاء: تطلق على الأرض الرملية السهلة المستوية وجرعاؤنا التي نبحث عنها يوجد فيها مايسمى بالأباتر.

٣ ـ الأباتر: يطلق هذا المسمى على عدة مواضع ولعلنا نستشف من

المواضع التي قرنها الراعي معها عن مكانها.

يقول البكري: (الأباتر: موضع من ديار بني أسد قبل فَلْج وهو مذكور في رسم مِثقَّب قال الفقعسي:

رعت بذي السَّبتاء فالأباتر حيث علا صوب السحاب الماطر

وقال الراعي:

تركن رجال العنظوان تنوبهم ضباع خفاف من وراء الأباتر[١]

وقال البكري في رسم مِثْقَب : (هو اسم طريق بين اليمامة والكوفة .... إلى أن قال: في رسم (مُثَقِّب) وقال ربيعة بن مقروم:

وَحَلَّ بِفَلْجٍ فالأباتر أهلنا وشطت فحلت غمرة فَمِثقَّبَا

فذلك قوله أن الأباتر قبل فلج، وأن المثقِّب تلقاء غمـــرة)[٢]

أما الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله فيقول في كتابه صحيح الأخبار وهو يتكلم عن الأباتر وبعد أن أورد قول البكري: (إنها أكثبة رملية بين صفراء شقراء ووشيقر وبين كثيب السر يطلق عليها ثلاثة أسماء وهي: البتراء، والبتر، والأباتر . الخ)[٣]

أما الأستاذ محمد العبودي فيقول في معجم بلاد القصيم:

(الأباتر: واديان جنوب الرس جنوب جبل القشيعين (الأنعمين قديماً) .....

الأباتر: ثلاثة وديان أحدهما وهو الشرقي منها الذي فيه البتراء يسمى أبو صفا لأنه ينحدر من صفا في شفى صبيح ....

وقد تسمى البتر وسيأتي ذكرها في رسم البتر ....)[٤] ثم أورد قول البكري المتقدم.

وقد عرف لنا فلج بأنه مجرى وادي الرمة الشرقي.

(١) معجم ما استعجم : ص ٩٤/١
(٢) معجم ما استعجم : ص ١١٨٣/٤
(٣) ص : ٤٥/٣
(٤) معجم بلاد القصيم : ص ص ٢٥١/١ ـ ٢٥٢

ولعلي أشاركه القول: (على أنه يوجد عدة أماكن تسمى بالأباتر تحتاج معرفتها على وجه الضبط إلى قرائن ودلالات وهي غير موجودة هنا ماعدا قوله ــ يعني البكري ــ «من ديار بني أسد» لأن الأباتر هذه واقعة بالفعل في ديار بني أسد.)

٤ ــ حُبَيٌّ : يقول عنه ياقوت:

(حُبَيٌّ: بالضم وتشديد الباء والقصر موضع في قول الراعي:

أبت آيات حُبَّي أن تُبينـــا   لنا خبراً فأبكين الحزينا.)[١]

أما البكري فيقول عن حُبَيٍّ :

(حُبَيٌّ : ..... موضع بالعالية قال أوس بن حجر:

بِجَنْبَيْ حُبَيٍّ ليلتَيْن كَأَنَّمـــا   يُفَرِّط نَحْساً أو يُفيضُ بِأَســـهُمِ

وقال النابغة:

أمِنْ ظَلاَّمَةَ الدمن البوالي   بِمُرْفَضِّ الْحُبَىِّ إلى وُعَالِ

ووعال هناك أيضاً. قال النابغة الجعدي: يذكر أن حُبَيًّا وما ذكر معه من ديارهم التي غلبتهم عليها الحريش وبنو قشير:

أقفرت منهم الأجـــاربُ فالنِّهْـيُ   وحَوْضَى فَرَوْضَةُ الأدحال

فَحُبَىٌّ فالثغر فالصفح فالأجداد   قفر فالكُـورُ كُـورُ أُثَـالِ

وقال الراعي:

جَعَلْـنَ حُبَيـًّا باليمـين ونكبت   كبيشاً لورد من ضئيدة باكر

وابن جبلة يرويه كبيساً.[٢]

٥ ــ كُبَيْسٌ : قال ياقوت إنه موضع في شعر الراعي وأورد البيت.

أما البكري فقال انه ذكره في رسم حبي.

(١) معجم البلدان : ص٢/ ٢١٧
(٢) معجم ما استعجم : ص ٢/ ٤٢٣

٦ ـ ضئيدة: يقول ياقوت

(ضئيدة: بالفتح ثم الهمز مكسورة قال القتال الكلابي:

فتحملت عَبْسٌ فأصبح خالياً وادي ضَئيدَة عافياً لم يورد.)[١]

أما البكري: فقد أورد بيتاً للراعي وهو:ــ

دعاها من الحبلين حبلي ضئيدة خيام وعكاش لها ومحاضر..[٢]

وقد حدد لنا صاحب معجم بلاد القصيم ضئيدة بأنها: (ماء عد قديم يقع في الشمال الشرقي لمنطقة القصيم شمال ناحية الأسياح (النباج قديماً) ثم أورد قول ياقوت الحموي وبيت القتال الكلابي المذكور. وقال:

وهذا ينطبق على ضيدة فإنها تقع في واد منخفض اسمه (شطب ضيدة) ينتهي سيله إلى روضة «حمام» في الأسياح قال الراعي:

تبصر خليلي هل ترى من ضعائن بذي نبق زالت بهن الأباعر

دعاها من الخلين خلي ضئيـــدة خمام بعكاش لها ومحاضر

وهذا ينطبق عليها لأن قرب ضيدة خلان بالفعل إلى الشرق منها يسمى أحدهما حتى الآن (خل ضيدة) ......

وقد ذكر بن مقبل ضيدة .... بعد أن ذكر أنه تذكر محبوبة له هي إحدى بني عبس الذي تقع منازلهم في شمال القصيم من مياههم شرج الذي هو شري في الوقت الحاضر وهو مجاور لضيدة التي ذكرها القتال الكلابي في بيته السابق أن بني عبس تحملوا عن واديها)[٣] انتهى ماقاله باختصار.

ولا شك أن ضـئيدة قريبة من «ذي نبق» الذي ذكره الراعي في البيت الأول.

وأستاذنا محمد العبودي يرى أنها «النبقية» الواقعة شرق القصيم.

---

(١) معجم البلدان : ص ٣/٤٥١ . (وانظر فى ٣/٤٦٥)

(٢) معجم ما استعجم : ص ٣/٨٥٠

(٣) معجم بلاد القصم : ص ٤/١٤٥١

٧ ـ أما لوذان : فقد اقتصر ياقوت على قوله: إنه موضع وأورد بيت الراعي.

أما البكري فقال: لوذان موضع معروف قال الشاعر:

أمن أجل دار بين لوذان فالنقا   غداة النوى عيناك تبتدران[١]

وقد حدده مؤلف معجم «بلاد القصيم» في رسم لوذان) بقوله:

(ماء عد قديم يقع إلى الشمال الغربي من المذنب وسمي لوذان لأنه لائذ بالصفراء بين رمال الشقيقة التي تقع إلى الغرب منه).

---

(١) معجم ما استعجم هامش : ص ١١٦٦/٤

الخلاصـــــــة

لكل ماتقدم أقول : يبدو لي أن «خفافاً» الذي ذكره الراعي النميري في شعره يقع شمال منطقة القصيم إذ أن أغلب المواضع التي ذكرها في قصيدته وكذا المواضع في الأبيات الشعرية التي مرت معنا توحي بذلك.

والذي أميل إليه أن «خُفَافاً» واد، وقد يكون في هذا الوادي مورد ماء بهذا المسمى.

والهمداني يقول وهو يعدد لفيفاً من مساكن العرب: (خيم، وخفاف، ويسر، أودية قد ذكرناها[١])

على أن بعض الشواهد يدل مضمونها على أن هناك جبل يحمل هذا الاسم، ومن الشواهد التي تدل على ذلك ماذكره أبو علي الهجري في رسم «جلذية»:

(وأنشد لعبد العزيز بن زرارة:

فلما بدت جلذية من أمامنا ... وفتــك وجاوزنــا بلاد تميــم

وأعرض رَعْنٌ من خفاف كأنه ... نعائم ربـــد بينهــن ظليــم

بكيت بكاء ذي الودعتين يلده ... عن الثدي رجزاء القيام هضيم)[٢]

وفي الهامش: قال الشيخ حمد الجاسر: وجلذية تعرف الآن: جلدية بالدال المهملة.

ويقول في المعجم الجغرافي لشمال الجزيرة: (خفاف: جبل قرب جلدية وأورد بيت عبدالعزيز بن زرارة، وقول الكميت:

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٣٢٩.

(٢) ابو على الهجرى وابائه : ص ٢٢٥.

أقول لندماني والحزن بيننا وغبر الأعالي من خفاف فوارع).

أما فتك الذي ذكره عبدالعزيز بن زرارة فقد ذكر ياقوت الحموي أنه ماء بأجإ أحد جبال طيء

ومما تقدم أرجو أن أكون قد أفدتك أبا العلاء وأجبت عما ارتسم في ذهنك من تساؤلات ودمت لأخيك.

عبدالله بن محمد الشايع

بتاريخ: ١٤١٢/٨/١٥هـ

الموضع: (الخامس)

« معدن الأحسَن »

تحقيق :

١ ـ قرية معدن الأحسن .
٢ ـ هضاب الأحاسن .
٣ ـ يحاميم الأحاسن .
٤ ـ ماء الجذاة ، ووادي الجذاة .
٥ ـ قرية معدن العيصان .
٦ ـ معدن الكوكبة .

معدن الأحسن

مَعْدِنُ الأَحْسَنِ : كان أواخر القرن الثالث الهجري قرية عامرة آهلة بالسكان وكانت تلك القرية لها شهرتها نظراً لوقوعها على طريق القوافل التي تعبر وسط الجزيرة العربية من شرقها إلى غربها وبالعكس.

وقد تكلم علماء البلدان كثيراً عن تلك القرية، وحددوا موقعها والمسافة التي بينها وبين القرى الواقعة عنها شرقاً أو غرباً. كمعدن العيصان ، ومعدن الكوكبة ، وبلدة ضرية .

ولكننا لانعلم متى اندثرت تلك القرية بالتحديد ولكنها عندما كانت عامرة في الزمن السابق تعتبر من القرى المشهورة في وسط عالية نجد يدلنا على ذلك ماحكاه الإمام الحربي رحمه الله فى كتاب : (المناسك ـ وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة) حيث قال:

(وإذا خرجت من مرأة، معترضاً في بلاد بني كعب، ففي بلاد بني نمير منبر بأضاخ، وهو لبني نمير ومنبر بحظيان لبني نمير، ومنبر بالمعدن معدن الأحسن لبني كلاب)[1].

وقد كتب علماء البلدان في عصرنا الحاضر عن هذا المعدن وكل منهم حدد موضعه حسبما تبين له من ظاهر النصوص القديمة إلا أن القارىء عندما يقرأ ماكتبوه لايخرج بنتيجة واضحة محددة ، وإنما يرتسم أمامه سوآل مفاده : إذاً أين يقع معدن الأحسن بالتحديد ؟

وقد تبين لي من قراءة ماكتبه مؤلفو زمننا هذا أن كل واحد منهم حاول جاهداً تحديد هذا الموضع .

---

(١) ص ٦١٨.

وبعد أن استقرأت النصوص القديمة إتضح لي أن هذا المعدن لم يحدد مكانه بدقة وهذا ماداعني أدلي بدلوي وأغوص مع من غاص فى أعماق النصوص الواردة لعلي أخرج بشربة تروي ظمأ الباحثين والمتخصصين في جغرافية الجزيرة، وكذا المهتمين بتحديد معالمها التاريخية. وقد استحسنت قبل استعراض ماقيل عن معدن الأحسن في وقتنا الحاضر أن أورد بشكل موجز ماقاله علماء البلدان قديماً حتى تكون لدى القارىء صورة عن الموضوع الذي نتحدث عنه.

١ ـ ذكر الحربي رحمه الله أن معدن الأحسن قرية تقام فيها صلاة الجمعة، وهذا يدلنا على أنها قرية عامرة آهلة بالسكان .

٢ ـ يقول ياقوت الحموي : (أَحْسَنُ : اسم قرية بين اليمامة وحمى ضرية يقال لها معدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب، بها حصن ومعدن ذهب، وهي طريق أيمن اليمامة، وهناك جبال تسمى الأحاسن[١] .

٣ ـ أما الأصفهاني فيقول وهو يصف لنا الطريق من حَجْر «اليمامة» إلى مكة: (فإذا جزت عكاشاً وردت العيصان وهو معدن وبه تجار وهو لبني نمير. ثم تجوز العيصان فترد معدن الأحسن وهو لبني كلاب)[٢].

٤ ـ ويقول الأصفهاني فى موضع آخر (ومعدن الأحسن معدن ذهب، معدن لبني كلاب بينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث، وبينه وبين ضريه ليلتان)[٣].

٥ ـ وعند كلامه عن هضاب «قطيات» أورد قول العامري، وهو يحدد تلك الهضاب بما حولها ومما قاله العامري : «إلى جنب أجبل سود عظام للضباب يقال لهن كبشات. وهذا كله بالوضح وضح الحمى، وبين هؤلاء الأجبل الذي ذكرت يأخذ طريق اليمامة من ضرية حتى يرد الأحسن)[٤].

(١) معجم البلدان : ص ١١٢/١
(٢) بلاد العرب : ص ٣٧٠
(٣) بلاد العرب : ص٣٨٣
(٤) بلاد العرب : ص١٥٨

لن أعلق هنا على تلك النصوص لأنها ستـرد معنا في هذا البحث مع غيـرها من النصوص المتعلقة بالموضوع، ولكي أتيح للقارىء الكريم أن يستدل معي : أين يقع هذا المعدن المشهور بموضعه عند القدماء، المجهول فى عصرنا الحاضر ؟

معدن الأحسن ومؤلفوا عصرنا :

ممن أهتم بتحديد مكان «معدن الأحسن» إثنان من علماء البلدان في وقتنا الراهن وهما: الشيخ حمد الجاسر، والاستاذ سعد بن جنيدل، وقد بذل كل منهما جهداً مشكوراً في محاولة تحديد مكان هذا المعدن، فأين ياترى حدد كل منهما مكانه؟

أولاً : بإلقاء نظرة على ماقاله الشيخ حمد الجاسر في بحثه المفيد الخاص بالتعدين والمعادن في جزيرة العرب الملحق في آخر كتاب «الجوهرتين» للهمداني نجده بعد أن أورد النصوص القديمة التي تكلمت عن هذا المعدن يخلص إلى القول :

(ويفهم من كلام المتقدمين أن هذا المعدن يقع في عالية نجد على مقربة من منهل عفيف الذي أصبح الآن قرية)[1].

ثم أردف قائلاً : (ويرى الأستاذ سعد بن جنيدل فى كتاب «عالية نجد أحد أقسام المعجم الجغرافي» أن معدن الأحسن يقع في الجبال على مقربة من جبال الأسودة على مقربة من عطية الجبل الأسود الذي بجنب منهل عطية في بلاد العصمة غرب بلد الدوادمي، وقد حاول تطبيق نصوص المتقدمين على الجبال الواقعة غرب عطية)[2].

وعندما أورد ما خلص إليه مؤلف كتاب عالية نجد من رأي لم يعلق

(١) كتاب الجوهرتين : ص ٣٣٣
(٢) كتاب الجوهرتين ص ٣٣٤

الشيخ حمد الجاسر عليه بشيء.

ولكني أجده يعلق على هذا الرأي عندما أورده في ذيل كلامه عن معدن «الكوكبة» حيث قال: (وليس هذا القول بعيداً من الصواب إلا أن القول بأن معدن الكوكبة جزء من معدن الأحسن لايتفق مع قول نصر: إن بين المعدنين ليلتان أو ثلاث ليال)[1].

ثانياً : معدن الأحسن عند مؤلف معجم «عالية نجد» :

يقول المؤلف في رسم معدن الأحسن : (وهذا المعدن له شهرة في كتب المعاجم القديمة، وأكثروا الأقوال في تحديده وقد استوفيت كل مايخصه في رسم عطية فانظره)[2].

وفي رسم «عطية» قال المؤلف : (عطية: ماء قديم عذب يقع في ناحية الأسودة الغربية الشمالية مما يلي طرف الخوار الجنوبي وسيل واديها يفيض شمالاً وهي إلى جانب جبل أسود، قرن مرتفع على ماحوله يدعى مركز عطية وهي إلى جانبه الشرقي.. وفي الجبال الواقعة غرب عطية التي تمتد بينها وبين الخوار - أم لدام، أشقر البراقة - معالم تعدين قديم وآثار مساكن قديمة حول حفر المناجم وهذه المناجم وآثار التعدين تنتشر في منطقة واسعة من هذه الناحية، ويبدو لي أن معدن أشقر البراقة هو معدن الكوكبة، والبراقة في عرف عامة نجد تعني اللامعة.

وأما المعادن الممتدة منه غرباً شمالياً هي معدن الأحسن وأن معدن الكوكبة جزء من معدن الأحسن أو قريب منه لأن التحديد الذي ذكره الأصفهاني لمعدن الكوكبة ولمعدن الأحسن ينطبق على هذه المناجم. قال الأصفهاني :

ولبني ربيعة بن عبدالله ماءة يقال لها الذئبة والضمر والضائن علمان وفي أحدهما الخضرمة وفي الآخر مخضورا، وكانا فيما مضى لبني سلول

(١) كتاب الجوهرتين ص ٣٣٤
(٢) معجم عالية نجد : ص ١٢١٧/٣

وهما في قبلة معدن الأحسن ومعدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب.

ـ ثم أورد المؤلف قول الأصفهاني عن العامري، فقال :

قلت : في هاتين العبارتين مايؤيد القول بأن المعادن الواقعة في جبال عطية وما يمتد منها غرباً شمالياً إلى قرب قرية البجادية ـ في حمة ذريع ـ هى معدن الأحسن ومعدن الكوكبة لأنه ذكر أنها لبني كلاب وأن الذنبة والضمر والضائن في قبلتهما فيما تضمنته العبارة الأولى، وفي العبارة الثانية حدد تحديداً واضحاً، فذكر أن الطريق من ضرية إلى اليمامه يمر عبر وضح الحمى بين هضاب قطيات والأقعس والعرائس وكبشات حتى يرد معدن الأحسن وهذا التحديد فيه دقة ووضوح لأن من يعبر الوضح بين هذه الأعلام قاصداً اليمامة من ضرية لابد أن يقع في بلاد معادن عطية وماحولها، وذكر أن الأحسن قرية ومن يزر هذه المعادن يشاهد آثار القرى القديمة عندها والمقابر وآثار التعدين.

ـ ثم أورد المؤلف بعض النصوص التي تتضمن المسافات بين معدن الأحسن وغيره. ثم قال:

ـ قلت : ـ القول لمؤلف كتاب عالية نجد ـ ماتضمنته هاتان العبارتان يؤكد القول بأن معدن الأحسن هو الواقع قرب عطية، لأن المسافات والاتجاهات التي رسمها في هاتين العبارتين فيها وضوح وملاءمة للواقع الطبيعي إذ أنه قد اتضح بالبحث والمعاينة والتحقيق أن معدن العيصان هو معادن سمره والسدرية التي تحف بمدينة الدوادمي جنوباً وشمالاً ... ـ النقط تفيد الاختصار في قول المؤلف ـ وإذا نظرنا إلى المسافة بين معادن الدوادمي «العيصان» وبين معادن عطية «الأحسن» وجدنا أنها في حدود تتراوح بين ليلتين أو ثلاث، وكذلك يتضح لنا أن الدوادمي تقع في الشريف من بلاد بني نمير وأن عطية مرتفعة عنها غرباً في بلاد بني كلاب.. انتهى[1]) .

أنظر مركز أو مذروب «عطية» الصورة رقم (٥٥).

---

(١) معجم عالية نجد : ص ٣/ ٩٦٠ إلى ٩٦٣

رقم(٥٥)
منظر مذروب عطية من جهة الشمال واقع شرق جبل الخوار المشهور وجنوب أشقر البراقة

مناقشة رأي مؤلف «معجم عالية نجد»

نستخلص مما قاله المؤلف : أنه يرى أن معدن الكوكبة هو معدن أشقر البراقة، وأن معدن الأحسن هو آثار التعدين الموجودة فى الجبال الواقعة بين مركز عطية وجبل الخوار وما امتد من آثار التعدين شمالاً غربياً من ذلك، وأن معدن الكوكبة جزء من معدن الأحسن وحيال هذا الرأي أقول :

١ ـ استشهد المؤلف بقول الأصفهاني: (ولبني ربيعة بن عبدالله ماءة يقال لها الذئبة، والضمر والضائن علمان... وهما فى قبلة معدن الأحسن. كما استشهد بقول الأصفهاني عن العامري.

أقول إن المؤلف باستشهاده بهذين النصين مد نطاق حيز معدن الأحسن، ومعدن الكوكبة عبر مساحة تقارب العشرين كيلاً أي من جبال عطية ومايمتد منها غرباً شمالياً إلى قرب بلدة البجادية ـ في حمة ذريع ـ وقال : إنها هي معدن الأحسن ومعدن الكوكبة.

ونحن هنا نتكلم عن تحديد مقر معادن مستقل أحدها عن الآخر ويبعد بعضها عن بعض مسيرة ليلتين أو ثلاث ليال، هكذا قالت النصوص.

ومعدن الأحسن الذي نسعى لتحديد مكانه عبارة عن قرية تحتوي على بعض المساكن وحصن ومسجد تصلى فيه صلاة الجمعة والجماعة وآثار التعدين التابعة له لابد أن تكون بجواره. ولعل المؤلف أبعدنا كثيراً جهة الجنوب عن الموضع الصحيح لهذا المعدن ولكنه قربنا عندما أورد ذكراً لحمة ذريع.

أما عن القول بأن الضمر والضائن يقعان قبلة معدن الأحسن فسأتكلم إن شاء الله عن هذين العلمين في مكان غير هذا البحث لأن الكلام عنهما يطول وهما بلا شك واقعان قبلة معدن الأحسن، كما يقول النص.

٢ ـ أما حول استشهاد المؤلف بما أورده الأصفهاني عن العامري حيث قال العامري: (قطيات هضبات لنا وهن هضاب حمر ملس متجاورات، بالوضح وضح الحمى، وهي في فلاة مياه كعب بن كلاب ومياه بني أبي بكر بن كلاب. وهؤلاء الهضاب يناوحهن هضب بالوضح يسمى العرايس، و عمود من الهضب يقال له الأقعس إلى جنب أجبل سود عظام للضباب يقال لهن كبشات، وهذا كله بالوضح وضح الحمى، وبين هؤلاء الأجبل التي ذكرت يأخذ طريق اليمامه من ضرية حتى يرد الأحسن، والأحسن: قرية لبني كلاب بها حصن وبها بحث معدن للذهب وهو طريق أيمن اليمامة وأعلاها وهو الفلج). انتهى قول العامري.

فقد علق المؤلف على هذا النص بقوله: (فذكر أن الطريق من ضرية إلى اليمامه يمر عبر وضح الحمى بين هضاب قطيات والأقعس والعرائس وكبشات حتى يرد الأحسن، وهذا التحديد فيه دقة ووضوح لأن من يعبر الوضح بين هذه الأعلام قاصداً اليمامة من ضرية لابد أن يقع فى بلاد معادن عطية وماحولها)[1] انتهى.

مناقشتي لهذا التعليق : أقول : إن العامري بقوله هذا رسم لنا الطريق

(١) معجم عالية نجد : ص ٩٦٢/٣

من ضرية إلى معدن الأحسن وكلامه واضح لا غبار عليه، ولكن إذا قلنا بأن الطريق من ضريه إلى اليمامه يمر بين هضبات قطيات والأقعس والعرائس وكبشات عبر وضح الحمى حتى يرد الأحسن. فإن هذا القول في نظري فيه شطط وإجهاد للقافلة المسافرة لأننا حرفنا طريقها جهة الجنوب انحرافاً لا مبرر له، وهذا مالم يقله العامري. وإنما الذي قاله بالتحديد: (وبين هؤلاء الأجبل التي ذكرت يأخذ طريق اليمامة من ضرية حتى يرد الأحسن).

وإذا ما أمعنا النظر في النص وجدنا العامري أورد اسم الإشارة «هؤلاء» فياترى ماذا يقصد العامري باسم الإشارة هذا؟

إن اسم الإشارة يعود إلى الأجبل والأجبل التي ذكر هي «كبشات» وليس لقطيات والأقعس والعرائس نصيب من هذا الطريق ولا يمر بقربها، فتلك الهضاب تقع فى الجنوب الشرقي من ضرية والخارج من ضرية قاصداً معدن الأحسن واليمامة يتجه شرقاً ويمر به الطريق بين جبال أو أجبل «كبشات» أما قطيات والأقعس الواقعة جنوب شرقي جبل شعر فهي بعيدة عن هذا الطريق، وإنما يمر قريباً منها من يسافر من ضرية إلى مكة المكرمة حيث يتركها على يساره غير بعيد منه، كما أوضح ذلك لنا الهجري رحمه الله. وقد حددت موضع قطيات وصاحبها الأقعس في بحث مستقل تحت عنوان «إجلاء الخنافس عن وضح الحمى» فأرجع إليه، ومما يؤيد قولي هذا ما ذكره الهجري عندما تكلم عن «حمى ضرية» حيث قال: (والبكرة عن يسار ضرية للمصعد إلى مكة على طريق اليمامة)، والبكرة التي أشار إليها الهجري حددها السمهودي في كتابه «وفاء الوفا» وهو يتكلم عن حمى ضرية بقوله: (البكرة عند هضاب يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية). ولهذا فلست مع مؤلف معجم «عالية نجد» من أن طريق اليمامة يعبر وسط الوضح بين الهضاب التي ذكرها وبالتالي يمر على معادن عطية وماحولها لأننا بهذا القول أوغلنا بالقافلة جنوباً، ولذا أرى أن قول العامري على هذا المفهوم ليس فيه دقة ولا وضوح وإنما الوضوح إذا طبقنا النص حسب منطوقه الصحيح، فطريق اليمامه يتجه من ضرية شرقاً ليمر بالبكرة، وهضاب البكرات ليعبر بين جبال «كبشات» ومن ثم يرد معدن الأحسن.

العثور على موقع معدن الأحسن

نظراً لأني لم أقتنع من أن معدن الأحسن ومعدن الكوكبة هما آثار التعدين الواقعة بالقرب من جبل الخوار، وعطية، وأشقر البراقة. فقد أخذت على نفسي محاولة الاهتداء إلى المكان الصحيح لكلا المعدنين على أن تنطبق النصوص القديمة على ما أتوصل إليه تمام الإنطباق.

وعلماء البلدان الأقدمون لم يبخلوا علينا بوصف هذين المعدنين أو تحديد مكانهما وقد ابتدأت بمحاولة الاهتداء إلى معدن الأحسن.

فاتخذت النص الذي أورده الأصفهاني وحدد فيه المسافة بين معدن العيصان ومعدن الأحسن من جهة، وبين معدن الأحسن وبلدة ضرية من جهة أخرى اتخذته أساساً لتحديد ما أبحث عنه وهذا النص يقول:

(معدن الأحسن معدن ذهب لبني كلاب بينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث، وبينه وبين ضرية ليلتان).

وهذا يعني أن معدن الأحسن يبعد عن معدن العيصان الواقع قرب مدينة الدوادمي سبعين كيلاً تقريباً وهذا كتقدير مبدئي للمسافة التي تقطعها حاملات الأثقال في ليلتين أو أكثر قليلاً.

وقمت على هذا الأساس برسم خط مستقيم على الخارطة من مدينة الدوادمي إلى بلدة ضرية وبتقدير المسافة ظهر لي أن الموقع الذي أتحرى عنه يقع فى المنطقة الواقعة شمال بلدة البجادية غير بعيد منها.

ولما كان الموضع الذي أتحرى عنه عبارة عن معدن ذهب فقد رجعت إلى المصادر الخاصة بأماكن التعدين من خوارط وغيرها فتبين لي أن أقرب معادن الذهب إلى تلك الناحية معدنين أحدهما في جبل «حليت» والثاني يقع قرب «الذريعين» فى حمة ذريع.

فاستبعدت معدن حليت لوقوعه شمالاً غربياً عن هذا الطريق إضافة إلى أنه معروف الاسم ومحدد المكان منذ القدم.

ولذا فقد ركزت على معدن «الذُّرَيِّعَيْنِ» قرب بلدة البجادية وهذا المعدن يقع موازياً للمكان الذي حددته على الخارطة مع ميل إلى الجنوب قليلاً.

ولما كان الأمر يتعلق بمسألة تقريبية فلم أحفل بميل الطريق لمعرفتي أن طريق القوافل لايسلك خطاً مستقيماً في الغالب وإنما يتعرج تبعاً لموارد المياه وغير ذلك من الاعتبارات الأخرى.

ولهذا اتخذت هذا التحديد منطلقاً لبحثي عن آثار قرية معدن الأحسن التاريخية فقد يسعفني الحظ وأجد آثار تلك القرية بالقرب من أماكن التعدين الموجودة في حمة ذريع لاسيما وإنه لايوجد معدن ذهب غيره في تلك الناحية.

ولما كانت المسافة بين مدينة الدوادمي «العيصان» وبين حمة ذريع قرب قرية البجادية خمسة وستين كيلاً فالمسافة قريبة مما حدد النص. ولذا قمت برحلة استطلاعية إلى حمة ذريع وماجاورها علني أجد أثراً لقرية معدن الأحسن وقد تجولت في المنطقة فلم أعثر على مايدل على وجود لآثار تلك القرية ولكن آثار التعدين في الحمة مازالت واضحة المعالم ومنتشرة في أرجائها.

وعندما سألت بعض القاطنين هناك عما إذا كان يوجد أثر لبئر جاهلية أو آثار مباني قديمة، أفادني أحدهم أن أمير البجادية سبق أن عثر على بئر جاهلية في هذا المكان وذلك في زمن سابق إلا أنه لايعرف موقعها. هذا القول اعطاني طرفاً من حبل أتمسك به للوصول إلى كنه هذه البئر القديمة فقد يكون بجوارها آثار مطمورة لمعالم قديمة.

بعد عودتي من هذه الرحلة القصيرة قمت بجمع النصوص والبحث عن نصوص أخرى فيها ذكر لمعدن الأحسن أو الأحاسن، أو الذريعين. فاجتمع لدي عدد من النصوص التي قمت بتحليلها لمعرفة مدى انطباقها على هذا

الموضع، ولم أجد نصاً واحداً منها يحول دون القول بأن معدن الأحسن يقع في تلك الناحية.

في نهاية إجازة الربيع لهذا العام ١٤١٢ هـ وأثناء عودتي من المنطقة الغربية إلى الدوادمي وعند مروري ببلدة البجادية كان الوقت بعد العصر فوجدتها فرصة لزيارة أمير البجادية الشيخ محمد بن زايد النخيش فوجدته في منزله واستقبلني برحابة صدر وقضيت معه وقتاً ممتعاً لأن الرجل أعطي حظاً وافراً من سلاسة القول مع رحابة الصدر وهذا مما شجعني على أن أثقل عليه بأسئلتي التي لاتنتهي.

ومما سألته عنه موضوع البئر القديمة التي عثر عليها، وماهي قصتها، فقال لي:

قبل أربعين عاماً تقريباً كنا قبائل رحل لم نتوطن بعد ولم يبن أي مسكن في البجادية وعلى ضفة وادي البجادية عثرنا على فوهة بئر مدفونة فقمت بحفرها وكان ماؤها وفيراً فقطنت عليها وكان يوجد بجوارها آثار مبان قديمة لم يتبين سوى أساساتها، وفي أحد الأيام عثرت على حجر مثل لوح الرخام أملس مكتوب عليه عبارات لم نتمكن من قراءتها رغم أنها مكتوبة بخط جميل واضح. وفي أحد اسفاري إلى مكة المكرمة أخذت هذا الحجر معي فعرضته على الوزير عبدالله السليمان الحمدان رحمه الله وقد أعجب به كثيراً لأنه حجر أثري، وممن اطلع عليه في ذلك الوقت الأستاذ محمد حسين زيدان، ومما فهمته من كلامهم أن هذا الحجر مكتوب عليه بعض الأسماء ومن بينها اسم كبير هذه القرية.

وقد عدت إلى أهلي ومعي هذا الحجر فوضعته في «بيت الشَّعْرِ» وكنا نضع عليه حقائبنا.

وبعد عودتي من أحد أسفاري لم أشاهد الحجر في مكانه فسألت عنه أم الأولاد فقالت: إن فلاناً ـ سماه لي ـ أخذ الحجر ولم يعده، وعندما سألته عنه قال: إنني أخذته بالفعل ولكني الآن لا أعلم أين وضعته، وقد بحثنا عنه

كثيراً فلم نجده، وبهذه الصفة فقد هذا الحجر ومايحتوي عليه من كتابات قديمة.

وأضاف الشيخ محمد بن زايد قائلاً: أما بالنسبة للبئر فقد أهديتها على الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وعندما عمرت البجادية وتوفرت المياه العذبة انطمرت تلك البئر.

وإذا ألقينا نظرة في رسم «البجادية» من معجم «عالية نجد» نجد أن الاستاذ سعد بن جنيدل يعطينا تفصيلات أخرى عن تلك البئر والقرية الأثرية، ومما قاله: (البجادية: قرية حديثة تقع غرباً من الدوادمي على بعد ستة وستين كيلاً.. وسميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل من قبيلة الفلته من النفعة من عتيبة اسمه بجاد بن مقنفذ عثر بجاد بن مقنفذ على بئر قديم بين وادي غسل وبين سمار الحمة على ناحية طريق السيارات المسفلت في الجنوب فاحتفرها، وكانت في ناحية آثار بلدة قديمة، وكانت مرصوصة بالحجارة وحينما أعمقها إلى الماء إنهار عليه جانب منها فمات فيها، ونبش عنه جماعته وأخرجوه ميتاً، وقبروه إلى جانبها.

بقيت هذه البئر مهدمة فاشتراها محمد بن زايد النخيش - أمير البجادية حالياً - من ورثة بجاد، في الفترة التي كان طريق السيارات في دور البناء - وكان ماء هذا البئر عذباً، وكان جماعة ابن زايد يسكنون في الهمجة، على طريق السيارات القديم وكان ماؤها همجاً لايصلح للشرب.

وحدثني بعض سكان البجادية، أن بجاداً حينما أزاح التراب عن فوهة البئر وجد فيه حجراً عليه كتابة تاريخية قديمة، وأن هذا الحجر قد نقل إلى قسم الآثار في جامعة الرياض.... - النقط تفيد الإختصار في القول - أما من الناحية التاريخية فإن موقع بلدة البجادية يعتبر ضمن بلاد غني مما يلي بلاد باهلة...)[1] انتهى.

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٢٠٠

أقول إذا كان هذا الحجر بطريقة أو بأخرى استقر في جامعة الملك سعود بالرياض فهذا مكانه الصحيح، وإذا كان الأمر كذلك فلعلي ببحثي هذا أفتح مجالا للتحري عن هذا الحجر وعن كنه ماكتب عليه ولاشك أن ذوي الاختصاص قد كتبوا عنه نبذة تعرف به. هذا إذا كان موجوداً لديهم كما قيل.

ولم يوضح لنا مؤلف معجم «عالية نجد» كما هي عادته شيئا عن أسم تلك القرية الأثرية القديمة. وأجده في رسم «غِسْل» الوادي الذي يحف ببلدة البجادية، يقول: (.... وعلى ضفته الشرقية آثار قرية قديمة دارسة المعالم ولم أطلع لها على ذكر في كتب التاريخ، وفي الحمة مما يلي ضفافه الشرقية حفر معادن قديمة كالتي ترى بقرب مدينة الدوادمي، في منطقة السدرية وغيرها..)[1] انتهى.

أثناء إجتماعي بأمير البجادية وبعد أن زودني ببعض المعلومات عما جئت أسأله عنه قلت له: مايهمني الآن هو مشاهدة موقع البئر وآثار القرية القديمة التي بجوارها. فأبدى الرجل استعداده لمرافقتي، وصحبنا من كان حاضراً مجلسه، وفي شرقي بلدة البجادية مما يلي «حمة ذريع» جنوب الطريق العام طلب مني التوقف ثم أراني مكاناً منخفضاً وقال: هذه هي البئر قد اندفنت مع مرور الزمن، كما أوقفني على آثار القرية القديمة الواقعة شرقي البئر قريباً منها وقال لي كانت أساساتها واضحة المعالم فيما سبق ولكن بعض الناس أزالوها بآلة من آلات الحفر الحديثة للبحث عن الآثار.

وقد أسفت كثيراً عندما شاهدت أنقاض تلك المباني مبعثرة هنا وهناك، كما شاهدت بعض الحفر التي أحدثها الباحثون عن الكنوز الوهمية هذا البحث العشوائي الغير منظم.

وياليت إدارة الآثار تتولى ماتبقى من أثر لتلك القرية التاريخية وتحافظ

(١) معجم عالية نجد : ١٠٢٣/٣

عليها كغيرها من الأماكن الأثرية المحافظ عليها لاسيما وأن بعض أساساتها مازالت على حالها.

بعد مشاهدة آثار تلك القرية وبئرها عرض علي الرجل أن نتجول على آثار حفر التعدين القديمة في الحمة المجاورة لتلك القرية فشكرته على تلك المبادرة.

والحقيقة إنه أطلعني على بعض آثار التعدين التي لم أشاهدها فى زيارتي السابقة. وذلك يرجع إلى خبرته في خفايا تلك الناحية لكثرة تردده فيها (وقتل أرض خابرها).

وقد ودعت الرجل بعد أن شكرته على تجاوبه معي، وعلى المعلومات الإضافية التي زودني بها منها ما أخذت به ومنها ما استبعدته لعدم توفر مايؤيده خاصة وأن الأمر يتعلق بتحقيق موضع مختلف بشأنه.

وبعد مشاهداتي تلك لم يبق لدي أدنى شك في أن آثار تلك القرية القديمة والبئر ماهي إلا قرية «معدن الأحسن» التي تكلمت عنها المراجع القديمة.

مناجم عطية وماحولها ليست «معدن الأحسن»

إن آثار التعدين الواقعة بين جبل الخوار وعطية المسمات بـ «أم لدام» وماحولها من آثار التعدين لايوجد لدينا دليل يعضد القول بأنهما «معدن الأحسن» لأمور منها:

١ ـ إنها تبعد عن الذريعين حوالي عشرين كيلاً جنوباً ولا رابط بينها وبين آثار التعدين الواقعة شمال ذريع نظراً لبعد المسافة ولأن مجاري وادي الرمادية تفصل بين الموضعين، وقد زرت تلك المنطقة وتجولت فيها فتبين لي هذا على الطبيعة.

٢ ـ إن عطية، وأشقر البراقة لايقعان على الطريق بين ضرية والعيصان

«الدوادمي» وإنما يقعان جنوب هذا الطريق.

٣ ـ والقول الفصل في ذلك : إن آثار التعدين في «عطية» «أم لدام» معدنها عبارة عن نحاس، والأحسن معدنه ذهباً، ويؤيد هذا القول ماهو موجود في بيانات «إدارة المعادن» التي توضح أسماء أماكن التعدين ومواضعها، ونوع المعادن فيها فارجع إلى تلك البيانات فهي موجودة ضمن الإضافات التي ألحقها الشيخ حمد الجاسر ذيل كتاب «الجوهرتين ـ العقيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء» تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني.

فإذا ما ألقينا نظرة على البيان الخاص بمواقع الذهب القديمة صفحة (٣٢٢) سنجد أن المعدن رقم: ١٤ ـ دُرَيْعَان: الواقع على خط الطول ١٤َ ـ ٢٤ْ وخط العرض ٤٥َ ـ ٤٢ْ.

ماهو إلا آثار التعدين الواقعة في حمة ذريع.

وقد أطلق عليه اسم «دُرَيْعَان» ويبدو لي أن هذا المسمى حرف نتيجة للترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية كما يبدو لي أن خطي الطول والعرض معكوسين هنا. وأن تسمية هذا المعدن منسوبة إلى «الذريعين» أما إذا ألقينا نظرة على البيان الخاص بمناجم النحاس القديمة صفحة (٣٢٨) المنجم رقم: ٢٧ ـ أم لدام: الواقع على خط الطول ٣٩َ ـ ٤٤ْ وخط العرض ٤٧َ ـ ٢٣ْ.

يتضح بما لايدع مجالا للشك أن معدن مناجم «أم لدام» عبارة عن نحاس وليس ذهباً ولذا وجب استبعاد هذا المنجم من نطاق بحثنا إذ أن مانبحث عنه معدن ذهب وليس نحاساً. وإذا أردت زيارة المنطقة الموجود بها أثار التعدين الواقعة بالقرب من عطية فستشاهد من على بعد مذروب عطية وهو أعلى قمة في غربي جبال الأسودة، ويقع جبل الخوار غرباً منه، وأشقر البراقة شمالاً منه غير بعيدين. (أنظر إلى مذروب عطية الصورة رقم ٥٥).

مدى انطباق النصوص القديمة على معدن «الذريعين»:

مادمنا خلصنا إلى القول بأن معدن عطية «أم لدام» ليس هو معدن الأحسن، وأن آثار معدن الأحسن واقعة في حمة ذريع وأن القرية التى ذكرتها النصوص القديمة ماهي إلا تلك القرية الموجودة آثارها بالقرب من تلك الحمة ولذا فإن من اللازم تطبيق نصوص علماء البلدان على هذا الموضع. وفيما يلي سأحاول تطبيق تلك النصوص على هذه القرية وآثار تعدينها، فأقول:

النص الأول- قول ياقوت الحموي:

(أحسن: اسم قرية بين اليمامة وحمى ضرية يقال لها معدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب بها حصن ومعدن ذهب، وهي طريق أيمن اليمامة، وهناك جبال تسمى الأحاسن) - تقدم معنا هذا النص .

التطبيق:

١ - قريتنا التي شاهدنا آثارها تقع بالفعل بين اليمامة وحمى ضرية فهي غير داخلة ضمن نطاق الحمى إذ تقع شرقاً منه على بعد مسافة خمسة وعشرين كيلاً تقريباً .

٢ - وهي واقعة في أرض بني أبي بكر بن كلاب، وواقعة على الطريق الأيمن لليمامة.

٣ - أما قول ياقوت : (وهناك جبال تسمى الأحاسن).

فهذا يستلزم منا تحقيق موقع تلك الأحاسن التي ذكرها فأقول:

يبدو لي أن اسم هذا المعدن مشتق من اسم «الأحاسن» وهي بلا شك

أعلام بالقرب من هذا المعدن فهل تلك الأحاسن معروفة في وقتنا الحاضر؟

لم أقرأ لمن كتبوا في وقتنا هذا كلاماً عن «الأحاسن» فلذا يحسن أن أتكلم عنها نظراً لأهميتها فيما نسعى إلى تحقيقه.

وياقوت الحموي ذكر لنا الأحاسن في موضع آخر من كتابه «معجم البلدان» حيث قال:

(الأحاسن: جبال قرب الأحسن بين ضرية واليمام، وقال أبو زياد: الأحاسن من جبال بني عمرو بن كلاب، قال السري بن حاتم:

كأن لم يكن من أهل علياء باللوى حلول ولم يصبح سوام مبرح

لوى برقة الخرجاء ثم تيامنت بهم نية عنا تشب فتنزح

تبصرتهم حتى إذا حال دونهم يحاميم من سود الأحاسن جنح[1]

إلى آخر الأبيات.

أقول : أمامنا نصين أوردهما ياقوت الحموي ذكر فيهما أن الأحاسن جبال قرب الأحسن.

وإذا أدرنا النظر في الأعلام الموجودة قرب مانقول إنه معدن الأحسن.

نجد أن آثار قرية معدن الأحسن تقع في سفح مايسمى حالياً «حمة ذريع» من جهة الغرب وحمة ذريع لونها أسود ويدلنا على عدم حسنها مسماها ولذا فهي ليست الأحاسن.

ويقع عنها جنوباً الذريعين (ذريع). وقد حدده لنا الاستاذ سعد بن جنيدل ووصفه لنا وصفاً دقيقاً، حيث قال: (ذريع: جبل أبيض تعلوه كدرة يمتد من الغرب إلى الشرق، له قمتان بارزتان متناوحتان يقع شرق جبل النضادية وجنوب خنوقة جنوباً من بلدة البجادية على بعد خمسة أكيال منها.. وقد اشتهر هذا الجبل بماء فيه يوجد عنده ثعبان يقال إنه لايفارقه، ويقع هذا

---

(١) معجم البلدان : ص ١٠٧/١

الماء في جانب الجبل الشمالي مابين قمتيه يرتفع عن الأرض قليلاً في صدر الجبل تطلع إليه بين صخور متراكمة إلخ)[1]

أقول: إن ذريع «الذريعين» مسماه قديم فلا يمكننا القول بأنه: أحسن، أو الأحاسن.. أنظر إلى صورة الذريعين رقم (٥٦).

وماعلينا إلا أن ندير النظر كرة ثالثة فإذا وقفنا على أطلال تلك القرية فلن نشاهد من الأعلام من حولنا جهة الجنوب الغربي سوى هضبتين شامختين حسناوين إحداهما شمالية والأخرى جنوبية لاتبعدان كثيراً عن القرية.

رقم(٥٦)

منظر الذريعين من جهة الغرب وهو الموجود به الرس ذو الحكايات والأساطير

(١) معجم عالية نجد : ص ٥٥٢/٢

إن الناظر إلى هاتين الهضبتين يلحظ حسنهما وجمالهما الأخاذ تسمى الشمالية منهما في الوقت الحاضر (أم احجول) وتسمى الجنوبية (أم رقيبة). وأنظر إلى صور هاتين الهضبتين رقم (٥٧، ٥٨) ويوجد في الشمالية منهما غار أرضي واسع إشتهرت به كما أكسبها شهرة في السنوات الماضية مرور الطريق من الرياض إلى الحجاز بمحاذاتها وذلك قبل أن يزفت الطريق ويتركها عنه جنوباً وكان هذا الغار بمثابة محطة استراحة للمسافرين وسائقي الشاحنات أثناء القيلولة، وكان منتهى الطلب لدى سائق السيارة - الذي كان في تلك الحقبة محل الإعجاب، أكثر من سائق الطائرة في وقتنا الحاضر - أن يجتمع له ثلاثة أمور: لحمة من الدوادمي، وماء من «ريق البنات» - أحد الآبار قرب الدوادمي - والقيلولة في غار ذريع.

وكانوا يسمون تلك الهضبة ذريع، ويبدو لي أن تلك التسمية أطلقت عليها لقربها من ذريع المعروف. ومما ظهر من المعاينة على الطبيعة وتطبيق النصوص أن هاتين الهضبتين مع ماحولهما هما «الأحاسن» التي ورد ذكرها في نصوص الأقدمين وأن التسميات التي أطلقت عليها مستحدثة.

ولا أستبعد أن يكون الأقدمون يلحقون «الذريعين» بتلك الهضبات فيطلق عليها جميعاً الأحاسن إلى جانب تسمية كل هضبة منها بمسمى خاص وهذا كثير - إذ يطلقون على مجموعة من الجبال أو الهضاب مسمى واحداً ويسمونها منفردة بمسميات خاصة.

وإذا ما ألقينا نظرة على أبيات السري بن حاتم التي ذكرها أبو زياد نجد الشاعر يذكر الأحاسن في البيت الثالث مما يتطلب منا فهم تلك الأبيات لمعرفة موقع اليحاميم السود التي نسبها إلى الأحاسن فأقول:

يذكر الشاعر أن أهل محبوبته «علياء» كانوا يحلون باللوى وقد عرف لنا هذا اللوى بأنه «لوى برقة الخرجاء»، وأن أهلها رحلوا من هذه البرقة ثم تيامنوا عندما ساروا قاصدين جهة «يحاميم الأحاسن» الواقعة شرقي جبل

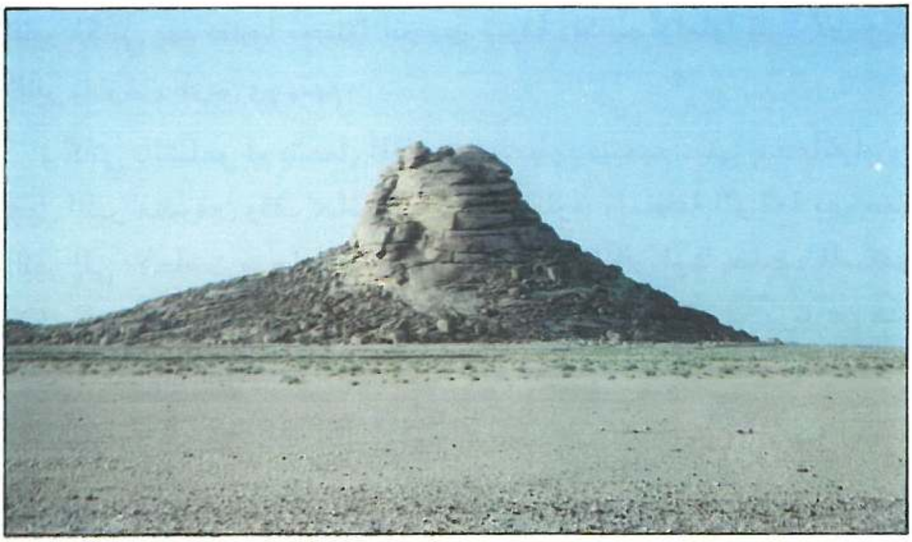

رقم (٥٧)

منظر إحدى هضاب الأحاسن وهي الشمالية وتسمى في الوقت الحاضر «أم احجول»

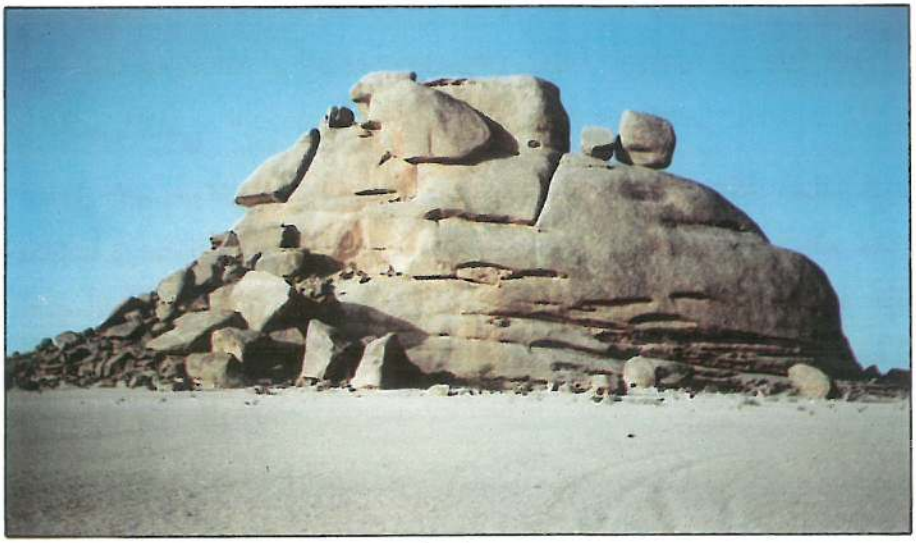

رقم (٥٨)

من هضاب الأحاسن وهي الجنوبية وتسمى في الوقت الحاضر «أم رقيبة»

النير فكأني بهم عندما تحملوا اتجهوا شرقاً ولكنهم تيامنوا قليلاً لأن جبل النير يعترض طريق وجهتهم.

و كأني بالشاعر لم يتحمل المقام بعد رحيلهم فتبعهم حتى إذا ماتجاوزوا جبل النير مشرقين وقف حائراً يسايرهم بنظره، والمنطقة الواقعة بين جبل النير إلى الأحاسن ويحاميمها أرض لا يحجب النظر فيها حاجب فاستمر ينظر اليهم حتى حال بينهم وبينه شيء حجب الرؤية، وقد أخبرنا عن هذا الشيء الحاجب بقوله :

تبصرتهم حتى إذا حال دونهم يحاميم من سود الأحاسن جنح

بهذا أفادنا أن يحاميم الأحاسن تلك اليحاميم السوداء حالت بينه وبين رؤيتهم عند ذلك عاد يكفكف دموع حزنه.

وتلك اليحاميم هي كما وصفها لنا الشاعر حاجز يحجب الرؤية وينطبق وصفه على مايسمى في وقتنا الحاضر «حمة ذريع» فهي معروفة بسوادها.

ولكل ماتقدم يمكنني القول بأن الأحاسن التي حكت عنها نصوص المتقدمين من علماء البلدان ونسب اليها معدن الأحسن ماهي إلا تلك الهضاب الجميلة المنظر الواقعة جنوب غربي بلدة البجادية غير بعيد منها.

النص الثاني:

قول الأصفهاني وهو يصف الطريق من اليمامة إلى مكة: «فإذا جزت عكاشاً وردت العيصان وهو معدن وبه تجار وهو لبني نمير. ثم تجوز العيصان فترد معدن الأحسن وهو لبني كلاب وهو من أول عمل المدينة. فإذا جزت معدن الأحسن وردت ماءة لبني كلاب أظنها يقال لها العلكومة ثم تجوز ذلك فترد الدثينة».

وفي موضع آخر قال: «ومعدن الأحسن معدن ذهب لبني كلاب بينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث وبينه وبين ضرية ليلتان».

من ذلك نستنتج مايلي :

١ ـ أن الطريق من اليمامة إلى مكة يمر بمعدن الأحسن. وواقع الأمر يثبت ذلك فهذا الطريق لم يتغير مساره حتى وقتنا الحاضر .

٢ ـ إن القادم من اليمامة يريد «ضرية» يعدل إليها من معدن الأحسن ليمر به الطريق بين جبال كبشات حتى يصل إلى ضرية.

٣ ـ يفهم من هذا النص أن معدن الأحسن معدن ذهب وليس معدن نحاس أو فضة وواقعه كذلك.

٤ ـ تضمن هذا النص تحديداً بمقدار المسافة بين معدن الأحسن والعيصان «الدوادمي» وكذلك المسافة بينه وبين ضرية.

إن من يقيس المسافة بين الدوادمي والبجادية «معدن الأحسن» والمسافة بين البجادية إلى ضرية بالأكيال يجد صدق هذا التحديد الوارد في النص المتقدم ومطابقته للواقع المحسوس.

النص الثالث:

أورد لنا الشيخ حمد الجاسر في كتاب «الجوهرتين» مانصه:

(وأنشد لابن أحمر:

جررن بذي الجذاة فضول ريط   لكيما يحتوين ويرتدينا

قال : الجذاة: واد وماء حذاء الذريعين هضبات مطلع الشمس من معدن الأحسن من الحزيز الأبيض)[1] انتهى.

هذا النص ورد فيه ذكر لمعدن الأحسن، والذريعين، والجذاة ـ ماء ووادي ـ فهل ياترى ينطبق هذا النص على ماتوصلت اليه؟

أقول: هذا النص لم أقرأه في أي من المراجع التي اطلعت عليها وإنما استنبطه شيخنا من ثنايا المخطوطات وما أكثر ما أتحفنا به هذ الشيخ الجليل وخاصة فيما يتعلق بأبي علي الهجري وأبحاثه ونوادره وأملي أن يفي

(١) كتاب الجوهرتين ص ٣٣٣

لنا الشيخ حمد بإخراج نوادر الهجري إلى حيز النور، كما وعد بذلك.

لقد وقفت عند هذا النص طويلاً وأشغلني بالبحث عن «ماء الجذاة» فمعدن الأحسن عرفته والذريعين معروفين ولكن أين ماءة الجذاة وواديها؟.

إن معرفة مكان ماء الجذاة مهم بالنسبة لتحديد مكان معدن الأحسن.

وهذا النص الذي أمامنا واضح الدلالة فالشاعر ابن أحمر ذكر لنا أنه شاهد بوادي الجذاة فتيات يجرجرن أذيال مرطهن فأخذن بلبه فقال فيهن شعراً حفظ لنا فيه اسم «ذي الجذاة».

ومن ثم عرف لنا أبو علي الهجري رحمه الله الجذاة وحددها تحديداً واضحاً وضوح شروق الشمس، عندما تشرق على «الذريعين». حين قرن الجذاة بمعدن الأحسن والذريعين.

ولعلي فيما يلي أوفق إلى تحديد أماكن تلك المواضع وخاصة ماءة الجذاة وواديها فأقول: معدن الأحسن كما أسلفت يقع فى سفح «حمة ذريع» واسمها القديم «يحاميم الأحاسن».

أما الذريعين: فتقع جنوب معدن الأحسن «البجادية» على بعد خمسة أكيال فقط.

أما الجذاة وهي مانسعى إلى تحقيق موقعها وكذا واديها الذي جرجرن فيه صويحبات ابن أحمر ذيول رياطهن:

فإن أبا علي الهجري عرفها لنا بقوله: «الجذاة: واد وماء حذاء الذريعين هضبات مطلع الشمس من معدن الأحسن» هذا النص اتخذته دليلاً ومرشداً إلى وادي الجذاة وماءته.

ولما كنت مقتنعاً تمام الاقتناع من مكان «الذريعين» ومعدن «الأحسن» فلم يبق أمامي إلا تحديد الجذاة فأمعنت النظر في قول الهجري وتساءلت عما يقصده من قوله «مطلع الشمس من معدن الأحسن» هل هو يقصد الذريعين، أو يقصد الجذاة؟

ماتبادر إلى ذهني وفهمته من النص أنه عرف لنا الموضع الذي يصفه لنا وهو الجذاة بأنها واقعة مطلع الشمس من معدن الأحسن وأنها واقعة حذاء الذريعين، أما كلمة «هضبات» فأراد بها تمييز الذريعيين بأنها هضبات ليس إلا.

وعلى هذا المفهوم انطلقت من آثار قرية معدن الأحسن باتجاه مطلع الشمس وعندما سرت عشرة أكيال تقريباً كان «الذريعين» بمحاذاتي يميناً جهة الغرب.

وعندما خلفت حمة ذريع خلفي سلكت طريقاً سهلاً ولكنه يسير خلال حزيز أسود حتى قربت من وادي الرمادية فانقطع هذا الحزيز الأسود، وعندما تجاوزت وادي الرمادية باتجاه مطلع الشمس وصلت إلى قرية صغيرة عبارة عن عدد من المنازل ولما سألت عن اسمها قيل إن اسمها «الهمجة» وأن تلك المساكن أقيمت حول بئر ماؤها مر ولذا سميت الهمجة، وقد عرف لنا الاستاذ سعد بن جنيدل هذه البئر حيث قال:

(الهمجة : ماء قديم يقع في ضفة وادي الرمادية جنوباً شرقياً من بلدة البجادية، وهو من مياه قبيلة النفعة من عتيبة ويبعد عن مدينة الدوادمي غرباً سبعين كيلاً تقريباً[(١)]) . انتهى.

وقد إتضح لي من مساءلة الآخرين أن بئر الهمجة هذه عثر عليها عام ١٣٦٠ هـ وكانت قديمة ولكنها مدفونة فحفرت فأصبحت مورداً من الموارد وأقيمت حولها بعض المنازل في السنوات الأخيرة. عند ذلك تيقنت أن تلك البئر ماهي إلا بئر الجذاة وأن الوادي الذي تقع فيه هو وادي «ذي الجذاة» الذي ذكره ابن أحمر في بيته المتقدم.

ولكن التيقن من ذلك يحتاج إلى أدلة وقرائن ولعلي أوفق إلى إيجاد تلك الدلائل والقرائن.

---

(١) معجم عالية نجد ص ١٣٢٦/٣.

وقبل أن أتكلم عن إثبات أن وادي الرمادية هو «ذو الجذاة» يلزم التثبت من أن بئر الهمجة هي بئر الجذاة قديماً.

وإذا مارجعنا إلى وصف أبي علي الهجري رحمه الله نجده يحدد لنا موقعها بأنها مطلع الشمس من معدن الأحسن من الحزيز الأبيض. فياترى أين هذا الحزيز الأبيض الذي أورد ذكره الهجري. ولماذا ميزها بهذا الحزيز الأبيض؟

إن من يزر تلك المنطقة ويتجول فيها يعرف مدى دقة هذا الوصف، فالمنطقة الواقعة غرب وادي الرمادية عبارة عن حزيز أسود أما الجانب الشرقي لهذا الوادي وجنوب قرية الهمجة فهو عبارة عن حزيز أبيض مغاير للأرض الواقعة غرب الوادي تمام المغايرة.

من هذا اقتنعت بأن بئر الهمجة هي بئر الجذاة لانطباق الوصف عليها.

ووادي الرمادية إذاً يصبح وادي «ذو الجذاة».

ومادمنا سنعمل على تغيير مسمى وادي الرمادية ونرجعه إلى مسماه القديم دعونا نتكلم عن هذا الوادي فأقول: إذا سرت مع الطريق المزفت - طريق الرياض الحجاز - من الدوادمي متجهاً غرباً وحاذيت جبل ثهلان على يسارك وتجاوزته فستسير على جسر طويل هذا الجسر هو معبر وادي الرشاء متجهاً شمالاً. وإذا ما استمريت في سيرك وقبل أن تصل الى بلدة البجادية فستشاهد جسراً آخر إن هذا الجسر هو معبر وادي «الرمادية» وإذا تجاوزت بلدة البجادية وقبل أن تصل إلى جبل نضاد فستشاهد جسراً لايقل عن سابقيه إنه معبر وادي «طينان» إذاً المنطقة الواقعة بين جبل ثهلان، وجبل نضاد، والنير يجري فيها ثلاثة أودية تعتبر من فحول الأدوية فى عالية نجد تتجه جميعها جهة الشمال الشرقي لتفيض في وادي التسرير.

ووادي الرشاء الذي يجري بمحاذاة جبل ثهلان اسمه قديماً وحديثاً

«الرشاء».

أما وادي «طينان» الذي يجري بمحاذاة جبلي النير ونضاد من الشرق فاسمه هذا مستحدث واسمه القديم «ذوبحار» وقد تكلم عنه علماء البلدان في وقتنا الحاضر مع وادي الرشاء وحدودهما تحديداً واضحاً.

إذا يبقى عندنا واسطة العقد بينهما «وادي الرمادية» وهو مانود معرفة الكثير عن اسمه قديماً وحديثاً.

من قراءاتي في المراجع القديمة لم أجد من تكلم عن واد يسمى «وادى الرمادية» وهذا يدل على أن اسمه هذا حديثاً، أما في المراجع الحديثة فلننظر ماذا قال مؤلفوها:

١ ـ يقول مؤلف معجم «عالية نجد»

(الرمادية: .. واد ينحدر من ناحية جبل الخوار وشمالي الأسودة وأودية المتعرضات، ويتجه شمالاً شرقياً ويجوز طريق السيارات المزفت بين الدوادمي والبجادية، غرباً من وادي الرشاء.. إلخ)[١].

ولم يوضح المؤلف عما إذا كان اسم هذا الوادي مستحدثاً أو قديماً ولو كان اسمه هذا قديماً لأورد النصوص، كما هي عادته فى كثير من تعريف المواضع.

٢ ـ أما الاستاذ عبدالله بن خميس فتكلم في كتابه المجاز بين اليمامة والحجاز عن وادي الرمادية بقوله:

(الرمادية: ولم نلبث بعد اجتياز بطن الرشاء حتى يتلقفنا أحد روافده وهو وادي «الرمادية» يصب من الناحية الجنوبية الغربية وبه منهل ماء)[٢].

٣ ـ يقول الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ في كتابه «ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه».

---

(١) معجم عالية نجد : ص ٦٢٣/٢

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ١١٥

(الرمادية: واد يصب فيه أودية وتصب الرمادية في وادي الرشا فموقعها بين وادي الرشاء وذريع)[1] انتهى.

مما قرأته في المراجع القديمة والحديثة لم يظهر لي أن مسمى وادي الرمادية قديماً،. ولذا أقول: بأن اسمه القديم «ذو الجذاة» والماء الموجود فيه هو ماء الجذاة.

وبهذا نخرج من تحديد أبي علي الهجري بفائدتين: الأولى معرفة موقع «معدن الأحسن» بشكل دقيق، والثانية معرفة وادي «ذي الجذاة» المسمى في وقتنا الحاضر «الرمادية» وأن الماء المسمى «الهمجة» هو ماء الجذاة.

ولنترك الخيال مع صويحبات ابن أحمر وهن يجرجرن أذيال ريطهن، أو رياطهن بذي الجذاة تلك الجرجرة التي أكسبت ابن أحمر اللوعة والحسرة، وأكسبتنا الاحتفاظ بمسمى واد من أشهر الأودية في عالية نجد، وانظر إلى الخارطة رقم (٢) لترى موقع وادي الجذاة بين مجاري الأودية التي تكلمنا عنها.

النص الرابع:

أورد لنا الشيخ حمد الجاسر في بحثه الذي ألحقه في كتاب «الجوهرتين» مانصه:

(وذكر نصر الاسكندري فقال - عن كتاب نصر المخطوط - معدن الأحسن معدن ذهب لبني كلاب، وبينه وبين الكوكبة ليلتان أو ثلاث، وبينه وبين ضرية ليلتان من عمل المدينة، أدنى عمل المدينة إلى اليمامة[2]).

أقول هذا النص يتفق مع النص الذي سبق ذكره في تحديد المسافة والذي ورد فيه أن معدن الأحسن بينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث وبينه وبين ضريه ليلتان.

---

١) ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه : ص ٢١٠

(٢) كتاب الجوهرتين : ص ٣٣٣.

«الرشاء».

أما وادي «طينان» الذي يجري بمحاذاة جبلي النير ونضاد من الشرق فاسمه هذا مستحدث واسمه القديم «ذوبحار» وقد تكلم عنه علماء البلدان في وقتنا الحاضر مع وادي الرشاء وحدودهما تحديداً واضحاً.

إذا يبقى عندنا واسطة العقد بينهما «وادي الرمادية» وهو مانود معرفة الكثير عن اسمه قديماً وحديثاً.

من قراءاتي في المراجع القديمة لم أجد من تكلم عن واد يسمى «وادى الرمادية» وهذا يدل على أن اسمه هذا حديثاً، أما في المراجع الحديثة فلننظر ماذا قال مؤلفوها:

١ ـ يقول مؤلف معجم «عالية نجد»

(الرمادية: .. واد ينحدر من ناحية جبل الخوار وشمالي الأسودة وأودية المتعرضات، ويتجه شمالاً شرقياً ويجوز طريق السيارات المزفت بين الدوادمي والبجادية، غرباً من وادي الرشاء.. إلخ)[١].

ولم يوضح المؤلف عما إذا كان اسم هذا الوادي مستحدثاً أو قديماً ولو كان اسمه هذا قديماً لأورد النصوص، كما هي عادته فى كثير من تعريف المواضع.

٢ ـ أما الاستاذ عبدالله بن خميس فتكلم في كتابه المجاز بين اليمامة والحجاز عن وادي الرمادية بقوله:

(الرمادية: ولم نلبث بعد اجتياز بطن الرشاء حتى يتلقفنا أحد روافده وهو وادي «الرمادية» يصب من الناحية الجنوبية الغربية وبه منهل ماء)[٢].

٣ ـ يقول الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ في كتابه «ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه».

---

(١) معجم عالية نجد : ص ٦٢٣/٢

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ١١٥

(الرمادية: واد يصب فيه أودية وتصب الرمادية في وادي الرشا فموقعها بين وادي الرشاء وذريع)[1] انتهى.

مما قرأته في المراجع القديمة والحديثة لم يظهر لي أن مسمى وادي الرمادية قديماً،. ولذا أقول: بأن اسمه القديم «ذو الجذاة» والماء الموجود فيه هو ماء الجذاة.

وبهذا نخرج من تحديد أبي علي الهجري بفائدتين: الأولى معرفة موقع «معدن الأحسن» بشكل دقيق، والثانية معرفة وادي «ذي الجذاة» المسمى في وقتنا الحاضر «الرمادية» وأن الماء المسمى «الهمجة» هو ماء الجذاة.

ولنترك الخيال مع صويحبات ابن أحمر وهن يجرجرن أذيال ريطهن، أو رياطهن بذي الجذاة تلك الجرجرة التي أكسبت ابن أحمر اللوعة والحسرة، وأكسبتنا الاحتفاظ بمسمى واد من أشهر الأودية في عالية نجد، وانظر إلى الخارطة رقم (٢) لترى موقع وادي الجذاة بين مجاري الأودية التي تكلمنا عنها.

النص الرابع:

أورد لنا الشيخ حمد الجاسر في بحثه الذي ألحقه في كتاب «الجوهرتين» مانصه:

(وذكر نصر الاسكندري فقال ـ عن كتاب نصر المخطوط ـ معدن الأحسن معدن ذهب لبني كلاب، وبينه وبين الكوكبة ليلتان أو ثلاث، وبينه وبين ضرية ليلتان من عمل المدينة، أدنى عمل المدينة إلى اليمامة)[2].

أقول هذا النص يتفق مع النص الذي سبق ذكره في تحديد المسافة والذي ورد فيه أن معدن الأحسن بينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث وبينه وبين ضريه ليلتان.

---

١) ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه : ص ٢١٠
(٢) كتاب الجوهرتين : ص ٣٣٣.

خارطة رقم (٢)

خارطة رقم (٢)

أي أن المسافة بين معدن الأحسن وبين كل من معدن العيصان، ومعدن الكوكبة متساوية البعد.

وهذا التحديد لايمثل إشكالا لدينا وإنما الذي يمثل الإشكال هو نص أورده الأصفهاني مفاده: (أن الكوكبة من وراء العيصان على مسيرة يوم وليلة)[1].

وإزاء هذا التناقض بين القولين يحسن بنا التحقق قبل كل شيء عن الجهة التي يقع فيها «معدن الكوكبة».

معدن الكوكبة

هذا المعدن لايقل عن صنوه «معدن الأحسن» من حيث عدم اتفاق علماء البلدان في وقتنا الحاضر على تحديد مكانه؛ فمنهم من قال: إنه واقع قرب جبل الخوار، وأشقر البراقة غربي جبل ثهلان أي في عالية نجد.

ومنهم من قال: إنه واقع في أنف من أنوف جبل طويق بين وادي الدواسر والسليل بمحاذاة بلدة تمرة ولن أعلق على هذين القولين هنا فقد أشبعهما الشيخ حمد الجاسر بحثاً عندما تكلم عن «معدن الكوكبة» في كتاب الجوهرتين فارجع إلى ماقاله هناك من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٠٨.

وكمحاولة للتوفيق بين النصوص القديمة الواردة حول معدن الكوكبة، ومعدن الأحسن، ومعدن العيصان من حيث المسافة والابعاد؛ فقد افترضت وجود معدن «الكوكبة» جنوباً غربياً من العيصان «الدوادمي» على بعد يوم وليلة على أن يبعد عن معدن الأحسن جنوباً شرقياً مسيرة ليلتين أو ثلاث وخمنت وجوده جنوب غربي جبل ثهلان، وبالبحث والتحري في تلك الناحية لم يتبين لي وجود معدن فضة يمكن أن ينطبق عليه الوصف الوارد عن

(١) بلاد العرب : ص ٣٨٢

الكوكبة. كما حاولت تطبيق تلك النظرية من الناحية الشمالية ولكن لاوجود لأماكن تعدين على أساس هذا التقدير.

وهذا ماجعلني أعيد النظر في النصوص الواردة وكذا أقوال من كتبوا عن هذا المعدن.

لقد وصفه علماء البلدان وصفاً واضحاً متميزاً وهل أوضح مما وصفه به الأصفهاني حين قال: (والكوكبة من وراء العيصان على مسيرة يوم وليلة. وهي على رأس جبل كان منقوباً فيه بابا. وإنما سميت الكوكبة لأن رجلاً مر فإذا هو بفضة شبه الكوكب فحفروها فانشعبوا فيها، حتى كان يدخل فيها نحو من مائة رجل من مدخل واحد فينشعب كل واحد منهم في معمل لايراه صاحبه. وهو لبني نمير، وهي متاخمة لأرض بني كلاب)[1].

ولعل القارىء يشاركني التعجب والتساؤل: وهل أوضح من هذا الوصف؟!

- جبل منقوب الرأس. يدخل مع هذا النقب نحو مائة رجل فيحدثون فيه نقوبا وسراديب بحيث يدق كل عامل منهم ولا يسمعه صاحبه.

- وهذا المعدن لبني نمير وواقع في بلادهم.

- وهذا المعدن معدن فضة.

فقل لي بربك هل يختفي مثل هذا الجبل من بلاد بني نمير ويُحْتَار في معرفة مكانه؟!

معدن الكوكبة لازال في مكانه ببلاد بني نمير شرقي ثهلان

كان للشيخ حمد الجاسر الفضل حينما حال دون نقل هذا المعدن الى منطقة السليل وماجاورها.

(١) بلاد العرب : ص ٣٨٣.

فأصر على إنه موجود فى بلاد بني نمير قرب العيصان وأضاخ.

وكذا عدم موافقته على الرأي القائل: بأن معدن الكوكبة جزء من معدن الأحسن الواقع قرب جبل الخوار وأشقر البراقة غربي جبل ثهلان لأن هذا القول لايتفق مع قول نصر: إن بين المعدنين ليلتان أو ثلاث ليال.

ولما كنت أرجح أن معدن الكوكبة واقع في بلاد بني نمير شرقي جبل ثهلان قريباً من العيصان، وهذا الترجيح لايكون في محله إلا إذا كان هناك أدلة قوية تؤيد الأخذ به.

ولايمكننا إيجاد تلك الأدلة إلا عن طريق فهم النصوص الواردة بشأنه والتوفيق بينها ومن ثم تحديد المواضع الوارد ذكرها معه في تلك النصوص. وأهم تلك المواضع موضعين هما: معدن الأحسن، ومعدن العيصان.

ومتى ماحددنا هذين المعدنين، أمكننا تطبيق النصوص والجمع بينها لنتوصل عن طريق ذلك إلى تحديد مكان معدن الكوكبة. وأقول في تحديدهما مايلى:

أولاً: معدن الأحسن: قلت فيما سبق إن معدن الأحسن واقع شرقي بلدة البجادية وهو المعروف والمحدد لدى «إدارة المعادن» تحت مسمى «معدن الذريعين».

وقد حددت قرية معدن الأحسن القديمة بأنها واقعة في سفح «حمة ذريع» وتقع بالتحديد على خط العرض ٥٢ً ١٧َ ٢٤ْ وخط الطول ٠٥ً ٤٥َ ٤٣ْ .

وأن آثار التعدين الخاصة بهذا المعدن هي الموجودة بقرب تلك القرية في الحمة المجاورة لها.

ثانياً: معدن العيصان: لاخلاف بين الباحثين في وقتنا الحاضر من أن معدن العيصان بقرب مدينة الدوادمي. ولعلي أسوق فيما يلي بصفة موجزة ماقالوه عن العيصان:

١ ـ يقول الشيخ حمد الجاسر: (إن أقرب مكان تنطبق عليه أوصاف هذا المعدن هو الدوادمي الذي أصبح الآن بلدة ويقع بقربه آثار معادن كثيرة منها معدن يقع بجنوبه في موضع يدعى السمرا (سمرة في كتاب الثروة المعدنية) ويقع على خط العرض ٣٠َ ـ ٢٤ْ وخط الطول ٢٠َ ـ ٤٤ْ... وقال: «ومن الآثار البارزة بقرب هذه البلدة جنوباً وغرباً آثار خمسة معادن ليس من المستبعد أن يكون اسم «العيصان» القديم يشملها»[١].

٢ ـ ويقول الاستاذ عبدالله بن خميس: (الدوادمي: ... وهي تتربع على شكل هضبة في مكان فسيح وجوها لطيف معتدل صحي، وماؤها نقي بارد، ويكثر شجر الرمث حواليها، وتقع في أجمل المراتع وأمرئها ولاشك أن لها ميزة عما سواها مما جاورها من المناطق من حيث موقعها الممتاز.

ولم يرد لهذه البلدة ذكر في معاجم الأمكنة واسمها غريب من بين الأسماء العربية فلم يوجد ما يشابهه أو ما هو على وزنه ولها اسم آخر يسميها به بعض أهل تلك الناحية وهو (داورد).. ويسمونها العويصي أيضاً، ولايبعد أن تكون هي المعروفة بالعيصان وهو معدن من أشهر معادن تلك الناحية..[٢].

٣ ـ أما الأستاذ سعد بن جنيدل فيقول عن الدوادمي: (... وتسمى أيضا داورد، أما اسم العاصي وتصغيره العويصي فيبدو لي أنه محرف من كلمة العيصان التي هي اسم لقرية لبني نمير فيها معدن وقيل اسم للمعدن، والواقع أن الدوادمي واقعة في بلاد بني نمير وهي محفوفة من جانبها الشمالي والغربي والجنوبي بآثار التعدين القديم. ـ وبعد أن أورد النصوص القديمة قال ـ :

ومن مقارنة هذه العبارات بالوصف الجغرافي لموقع الدوادمي والآثار التاريخية لهذا البلد حيث المعادن القديمة التي تحف بهذه المدينة وآثار

---

(١) كتاب الجوهرتين : ص ٣٩٥.
(٢) كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ٨١.

القرى القديمة حول مواقع التعدين القديم، وكذلك موقعها بالنسبة لحجر اليمامة وتحديد المراحل بينها يتبادر لنا أن الدوادمي واقعة في بلاد العيصان القديمة)(١).

وفي رسم «السدرية» قال: (السدرية، وقد تذكر بصيغة الجمع فيقال السدريات وهي سنفان وأودية فيها سدر تقع شمال مدينة الدوادمي وهي منطقة أثرية قديمة فيها آثار تعدين قديم منتشرة في سنفانها وفيها آثار قرى ومساكن قديمة حول مواطن التعدين)(٢).

وفي رسم «سمرة» قال: (سمرة: قرية زراعية تقع في واد ضيق من الغرب إلى الشرق تحف به حزوم وسنفان حمر خشنة وتكثر فيها النتواءات الصخرية تقع جنوباً من مدينة الدوادمي على بعد اثني عشر كيلاً، وفي الحزوم الحافة بها من الغرب ومن الشمال توجد آثار تعدين قديم.. ومعظم المناجم التي جرى فيها التعدين محفورة إلى أعماق عميقة وتقع في ظهور السنفان تفلقها طولاً.. ويبدو لي أن منطقة سمرة جانب من حزم العيصان المعروف بهذا الاسم قديماً، والمعروف بمعادنه)(٣). انتهي.

هذه أقوال علماء البلدان في وقتنا الحاضر الذين تكلموا عن «العيصان» ومن تلك الأقوال يمكنني القول: إن المتتبع لما ورد في هذه الأقوال يلحظ أن أياً منها لايحمل الجزم بتحديد دقيق لمقر «معدن العيصان» بل أطلقوه على تلك المساحات الواسعة المشتملة على آثار التعدين القديمة المنتشرة شمال وجنوب وغرب «الدوادمي».

وهذا القول في نظري لايتمشى مع منطوق النصوص القديمة حيث وصف لنا الأصفهاني في أحد تلك النصوص «العيصان» بشكل محدود المساحة، حيث قال:

(والعيصان من حجر على مسيرة خمسة أيام أو ستة، وهو قرية كبيرة

(١) معجم عالية نجد : ص ص ٢/٥٣٧ - ٥٣٩.
(٣) معجم عالية نجد : ص ٢/٦٧٣.
(٣) معجم عالية نجد : ص ٢/٣٠٦.

فيها معدن لبني نمير)[1].

وهذا القول يدلنا على أن معدن العيصان عبارة عن قرية كبيرة فيها معدن ولكنها محدودة المساحة بالطبع فهي لن تمتد عشرات الأكيال. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن وسائل النقل في تلك الأزمان هي الإبل فأي معدن يبعد عن الآخر عشرات الأكيال لابد أن تشد له الرحال، وبالتالي فلا يعقل أن تسمى باسم واحد.

أما حزم العيصان الذي أشارت إليه النصوص فلا يعني أنه هو معدن العيصان وإنما قد يكون معدن العيصان جزء منه. فإذا أطلق الحزم أو الحزيز مثلاً ونسب إلى بلد أو أي مسمى فإن ذلك لايعني أنه محدود المساحة ولكنه في الغالب يشتمل على مساحات واسعة من الأرض مثل:حزيز أضاخ، وحزم العيصان، وحزم الدواسر، وغيرها. فإذا تكلمت النصوص عن هذه الحزوم أو الأحزة فإنها قد تعني عشرات أو مئآت الأكيال.

وقرية العيصان التي نتكلم عنها وإن وصفت بأنها كبيرة فيها معدن وبها تجار فهذا لايعني أنها من الكبر بحيث تشمل مساحات شاسعة، ويدلني على صغر حجمها أن «الحربي» عندما عدد القرى التي فيها منابر لم يعد العيصان معها مما يدل على أن «أضاخاً» مثلا أكبر منها وأكثر سكاناً.

تحديدي لقرية «معدن العيصان»

العيصان : عبارة عن قرية حولها مناجم تعدين، وكانت تلك القرية على طريق القوافل القادمة من حجر اليمامة قاصدة مكة المكرمة أو غيرها من البلدان الواقعة غرباً مثل معدن الأحسن أو ضرية وكلمة «العيصان» أوضح لنا معناها ياقو ت الحموي حيث قال:

(١) بلاد العرب : ص ٣٨٢.

(العيصان: بكسر أوله تثنية العيص: وهو منبت خيار الشجر؛ قال عمارة: العيص من السدر والعوسج وما أشبهه إذا تدانى والتف. والعيصان: من معادن بني نمير بن كعب قريب من أضاخ البرم....)[1].

ولن أسهب وأنساق وراء تعريفات علماء اللغة بل سأكتفي بهذا التعريف لياقوت (ولا عطر بعد عروس) والذي أفهمه أن قرية العيصان سميت بهذا الاسم لكثرة شجر السدر والعوسج وما أشبهه بشكل كثيف وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على معدن «السدرية» الواقع شمال الدوادمي قريباً منها ومعدن السدرية محدود المساحة ويجرى خلاله واديان صغيران تكثر فيهما حتى وقتنا الحاضر أشجار السدر و العوسج وبعض الأشجار الأخرى.

ولم يبعد من أبدل مسمى «العيصان» بمسمى «السدرية» أو «السدريات» فالأقدمون نسبوه إلى العيص الموجود فيه، ومن قام بإبدال مسماه نسبه إلى كثرة شجر السدرفيه، ولا فرق بين التسميتين. وما أكثر الأماكن التي تغيرت أسماؤها مع مرور الزمن.

وقد وصف الأستاذ سعد بن جنيدل «السدرية» وصفاً دقيقاً كما تقدم ووصفه مطابق للواقع، وقد تم في الآونة الأخيرة أن قامت الجهات المختصة بإحاطة منطقة السدرية بسياج محكم وضع له بوابات وغرف حراسة، وكتب عليه لوحات تحذيرية بعدم التعدي على تلك الآثار.

وإذا ما أعدنا النظر في تعريف ياقوت الحموي للعيصان نلاحظ قوله «والعيصان من معادن بني نمير» وهذا يدل على أن معادن بني نمير متعددة ومختلفة بمسمياتها.

وفي وقتنا الحاضر يسمى هذا المعدن معدن السدرية كما يسمى المعدن الواقع جنوب الدوادمي «سمرة» وما أميل إليه فإنه لا رابط بين تلك المعادن المتباعدة ولاشك أن معدن سمرة مستقل عن معدن «السدرية» نظراً لبعد

(١) معجم البلدان: ص ٤/١٧٢.

المسافة بينهما ولي عودة للحديث عن معدن «سمرة» وقد يطول هذا الحديث.

ومما تقدم يمكنني القول بأن قرية ومعدن العيصان هو مايسمى في وقتنا الحاضر «السدرية» الواقعة بضاحية مدينة الدوادمي الشمالية وهي مساحة محاطة الآن بسياج طوله كيلاً ونصف وعرضه كيلاً واحداً، وبداخل هذا السياج آثار القرية ومعادنها. وتقع على خط العرض ٣١َ ـ ٢٤ْ وخط الطول ١٩َ ـ ٤٤ْ.

ومادمت تجرأت وولجت باب «علم البلدان» فحددت «معدن الأحسن» و«معدن العيصان» فلابد أن أوغل أكثر في هذا وأحاول قدر المستطاع تحديد موقع «معدن الكوكبة».

وليعذرني مشائخي وأساتذتي على الولوج في ميدانهم على أنني أعترف بأن الفضل يعود لهم فيما أتوصل إليه، لأنهم هم الذين بدؤا الولوج في منطقة العيصان التي تشابكت أغصان أشجارها من سدر وعوسج كتشابك النصوص الواردة بشأن أماكن التعدين فقلموا كثيراً من أشواك تلك العيصان مما سهل ولوجي وولوج غيري في هذا المجال.

تحديدي لمعدن «الكوكبة»

تكلمت في الأسطر السابقة عن معدن الكوكبة بما فيه الكفاية، ورغم ماقلته هناك مازال السؤال عنه قائماً، ورغبت تحديد موضعين هما: معدن الأحسن، ومعدن العيصان أولاً حتى يسهل الطريق إلى معدن الكوكبة وقد توصلت فيما ظهر لي إلى تحديد مكانهما بشكل دقيق يمكن الإنطلاق منهما للبحث عن «الكوكبة».

عندما لم أعثر لهذا المعدن في الجهات التي افترضت وجوده فيها، ولم يعرفه أحد ممن سألتهم من ذوي الخبرة والدراية بتلك الناحية سواء من

الحضر أو البدو، اضطررت إلى الرجوع لعيبة النصوص وقلبت محتوياتها، إذ هي المرجع الوحيد فيما نبحث عنه فلعلنا نجد من هذه النصوص مايشير إلى الوجهة الموجود فيها المعدن المتخفي عن الأنظار.

والنصوص التي تقدمت معنا واضحة لا غموض فيها ماعدا نص واحد منها توقفت عنده كثيراً وهو قول الأصفهاني: (والكوكبة من وراء العيصان على مسيرة يوم وليلة) فقد تبين لي أن هذا النص هو الذي الجأنا إلى البحث جنوباً وشمالاً في مساحات واسعة دون الوصول إلى نتيجة مرضية.

أما ماعداه من النصوص الأخرى فلا تعارض بينها.

وإزاء ذلك أقول إننا لايجب أن نقف مكتوفي الأيدي أمام بعض النصوص إذ كثيراً مايعتورها تقديم أو تأخير أو سقط أو زيادة أو نقصان سببه النساخ وعدم إلمامهم بمعرفة المواضع. وقد يكون الخلل في النص ناتج من وهم من الراوي أو المتلقي.

وبمقارنتي هذا النص بالنصوص الأخرى تبين لي أنه ليس من الدقة بمكان وهو على ظاهره الماثل أمامنا، أما بقية النصوص فواضحة ودقيقة. ولذا فقد استبعدت هذا النص جانباً ولو بصفة مؤقتة. وبعد استقراء النصوص التي تكلمت عن معدن الكوكبة خرجت بالنتيجة التالية:

١ ـ معدن الكوكبة معدن فضة والدليل على ذلك قصة العثور عليه وسبب تسميته، وتسمية المعدن الموجود فيه من قبل «الثروة المعدنية».

٢ ـ إنه واقع في بلاد بني نمير ولذا يلزم أن يكون شرقي جبل ثهلان بالقرب من الدوادمي.

٣ ـ البعد بينه وبين معدن الأحسن كما تقول النصوص مسيرة ليلتين أو ثلاث ليال، وهذه المسافة هي نفس البعد بين معدن الأحسن ومعدن العيصان. وهذا أعطاني مؤشراً إلى أنه واقع بمحاذاة معدن العيصان في بلاد بني نمير.

٤ ـ وصفته النصوص بأنه جبل منقوب الرأس و حول الرأس نقوب أو ثقوب كثيرة على شكل ممرات.

من هذه الاستنتاجات عدت أدراجي للبحث حول معدن بني نمير شرقي ثهلان وخاصة في الناحية التي قدرت أنها تبعد عن معدن الأحسن بليلتين أو ثلاث.

وكانت مصادفة عندما ارتسم في ذهني هذا التساؤل:

لماذا لايكون معدن الكوكبة هو المسمى «معدن سمرة» الواقع جنوب مدينة الدوادمي على بعد خمسة عشر كيلاً وعلى بعد عشرين كيلاً عن معدن السدرية «العيصان»؟!

وعلى ضوء هذا السؤال الذي فرض نفسه قمت بتطبيق جميع النصوص الواردة على معدن «سمرة» فأصبحت مطابقة تمام الانطباق سواء من ناحية الوصف أو الأبعاد بالمسافات ماعدا النص الذي قمت باستبعاده على أني بعد ترشيح معدن سمرة لما نبحث عنه قلت: ليس من المستبعد أن تكون صحة هذا النص كالآتي: (والكوكبة من وراء العيصان على مسيرة يوم أو ليلة) فحذفت الألف مع همزتها فاصبحت ـ أو ـ (واواً) فصارت الكلمة «وليلة» بدلاً من : «أو ليلة» فهذا أقرب إلى الصواب، ولايعدو أن يكون هذا مجرد استنتاج للخروج من تعارض نصين في المرجع نفسه. وقد يكون هذا الاستنتاج في محله.

ومن هذا المنطلق أعدت قراءة مايتعلق بمعدن الكوكبة وبعد استكمال تلك القراءة أدركت قيمة وقفة شيخنا حمد الجاسر للحيلولة دون نقل معدن الكوكبة إلى خشم طويق الجنوبي، أو إلى بلاد بني كلاب قرب جبل أشقر البراقة وجبل الخوار، وإصراره على بقاء هذا المعدن في «حزم العيصان» بالقرب من أضاح ومعادن العيصان في بلاد بني نمير.

والحقيقة إنه بدفاعه هذا وضع مشعلاً إهتديت على ضوئه في طريقي إلى

معدن الكوكبة، وهذا المشعل هو قوله وهو يتحدث عن هذا المعدن بعد أن أورد قولي الأصفهاني ونصر، الذين تقدما معنا في هذا البحث:

(وجاء في «الأغاني»، فغزتهم، فأتتهم النذر من نمير فانكشفوا، فلم يقدروا عليهم) انتهى.. كذا ورد النص وفيه «القيضان» وأرى الكلمة تصحيف «العيصان» فإذا صح هذا فهو يدل على قرب الكوكبة من العيصان الموضع الذي تقدم القول بأنه الدوادمي وماحوله. وضمير (وهم بالكوكبة) إذا صح إرجاعه إلى (بني حنيفة) وهو أقرب مذكور إليه فهو يؤيد هذا كما يؤيد ورود ذكر بني نمير فبلاد هؤلاء على مقربة من العيصان، وكانت تقع في غرب السر إلى حدود ثهلان غرباً إلى النير ويخالطون باهلة في طرف بلادها الجنوبي، وتمتد بلادهم شمالاً إلى الشريف ويظهر أن ماجرى بين عُقَيْل وبني حنيفة كان في آخر العهد الأموي بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك وثورة أهل اليمامة ـ بني حنيفة ـ ووقوع الحرب بينهم وبين أهل الفلج «الأفلاج» في هذا المكان وفي النشاش ومعدن البرم (أضاخ) ولعل الكوكبة ـ على هذا بقرب الموضعين الأخيرين في عالية نجد ـ كالعيصان (الدوادمي) وبلاد بني نمير في هذه الجهات.

ـ إلى أن قال وهو يحكي قول الاستاذ سعد بن جنيدل حول الكوكبة ـ :

إلا أن القول بأن معدن الكوكبة جزء من معدن الأحسن لايتفق مع قول نصر :

إن بين المعدنين ليلتان أو ثلاث ليال[1]) انتهى كلامه.

أقول صدق حدس الشيخ في ذلك فمعدن الكوكبة بالفعل يبعد عن معدن الأحسن «البجادية» ليلتان أو ثلاث وهو نفس البعد بين الأحسن والعيصان فالكوكبة والعيصان إذاً متحاذيان. ولذا أقول بأن معدن «سمرة» هو معدن «الكوكبة» وليس جزءاً من معدن العيصان؛ كما أنه ليس جزءاً من معدن الأحسن.

---

(١) كتاب الجوهرتين ص ٤٠٦

وَسمْرَةُ : عبارة عن جبل أزيلت قمته بعد نقبها نقباً كبيراً وعميقاً ومن ثم إحداث ممرات في أصل هذا الجبل تتبعاً لعروق الفضة ومن يلقي نظرة على هذا الجبل يشاهد كثرة النقوب التي ينفذ بعضها على بعض في الكثير منها ومن يقف على تلك النقوب ويرمي حجراً في أحدها فسيسمع الحجر يتدهده لفترة زمنية تدل على عمق تلك الشقوق وقد يحدث نتيجة لصوت الحجر داخل تلك الثقوب أن ترى الحمام يتطاير من فوهات الثقوب مما يدل على اتصال بعضها ببعض. وصعود هذا الجبل ليس صعباً لأنه ليس عالياً.

ألست معي بعد هذا كله بأن هذا المعدن ماهو إلا معدن الكوكبة؟ وإذا لم يكن هذا هو معدن الكوكبة فقل لي بربك أين يقع وفي أي صقع؟! إنه ليس بئر ماء حتى نقول انطمرت مع مرور الزمن، ولكنه جبل شاهد على نفسه بنقب قمته ونقوبه المنتشرة في جميع نواحيه، وجميع النصوص تنطبق عليه تمام الانطباق ولا عبرة لنص شذ في منطوقه فقد يكون دخل عليه شيء من التصحيف. ومعدن الكوكبة المسمى حالياً سمرة يقع على خط العرض ٥٤ً ٢١َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٢ً ٢٠َ ٤٣ْ .

(أنظر إلى الصور رقم : ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢).

رقم (٥٩)

منظر جبل الكوكبة المنقوب بعد أن أزيلت قمته التي كانت تلمع فضة

رقم (٦٠)

منظر جبل الكوكبة المسمى في الوقت الحاضر «سمرة»

ويري هذا الرجل وهو مصري اسمه «مختار» نازلاً من قمة الجبل المنقوبة

رقم (٦١)
منظر نقب من النقوب العميقة الضيقة في جبل الكوكبة «سمرة»

رقم (٦٢)
منظر نقب آخر من النقوب المنتشرة في جميع جوانب الكوكبة «سمرة»

خلاصة البحث

١ ـ معدن الأحسن : معدن ذهب يقع في طرف قرية البجادية الشرقي على ضفة الوادي مما يلي سفح «حمة ذريع» قريباً من الطريق العام، وآثار القرية القديمة واقعة على خط العرض ٥٢ً ١٧َ ٢٤ْ وخط الطول ٠٥ً ٤٥َ ٤٣ْ.

٢ـ معدن العيصان : وهو مايسمى الآن «السدرية» يقع في الضاحية الشمالية مدينة الدوادمي محاط في وقتنا الحاضر بسياج محكم على امتداد مساحته وهو واقع على خط العرض ٣١َ ٢٤ْ وخط الطول ١٩َ ٤٤ْ.

٣ ـ معدن الكوكبة : وهو مايسمى الآن «سمرة» يقع جنوب معدن العيصان «السدرية» على بعد عشرين كيلاً . ويقع على خط العرض ٥٤ً ٢١َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٢ً ٢٠َ ٤٤ْ.

٤ ـ وادي «ذي الجذاة» هو الوادي الواقع بين وادي الرشاء، ووادي «ذوبحار» طينان، ويسمى في وقتنا الحاضر وادي الرمادية، أما ماءة الهمجة الواقعة في وادي الرمادية فاسمها القديم «ماءة الجذاة».

أرجو أن أكون هديت إلى الصواب فيما توصلت إليه..

الموضع: (السادس)

« الجبل المتخفي بعباءة جارته »

تحقيق :

١ ـ هضب متالع .
٢ ـ منزل إِمَّرَة .

الجبل المتخفي بعباءة جارته*

مُتَالِعُ : جبل من أشهر الأعلام بنجد، أكثر المؤرخون في وصفه، وحن الشعراء إلى أيام حياتهم في ربوعه، فعندما ضاقت نفس الشاعر: صدقة بن نافع العميلي الباهلي وهو غريب بحران الجزيرة، استعاد بذاكرته مرابع الصبا فتذكر أياماً قضاها حول متالع فأنشد قصيدته التي منها هذين البيتين:

وَهَلْ تَرْجِعَنْ أيَّامُنا بمُتَالِـــعٍ وشُرْبٌ بِأَوشَـال لَهُنَّ ظِـلاَلُ

وَبِيضٌ كأَمْثالِ الْمَهَا يَسْتَبِينَنَا بقيلٍ وَمَامَـعْ قِيلَهُنَّ فِعَـالُ

عندما يقرأ القاريء هذين البيتين مع ماقرأ من أوصاف لهذا الجبل نعتته بأنه جبل أحمر عظيم، يسرح به خياله مع الشاعر فيصعد تلعة من تلاع هذا الجبل فيتصور الماء النازل يترقرق منساباً بين الأشجار والصخور كلما اختفى عنه الماء بينها ظهر له من ناحية أخرى وهذه هي الأوشال التي أشار إليها الشاعر يستمر جريانها وخريرها مادام المطر ينزل بين حين وآخر، ولاتجف تلك الأوشال إلا بعد إنقطاع الأمطار مدة طويلة، ونضوب مصادر المياه في الأعالي. صدقة بن نافع تذكر تلك الصورة الرائعة وهو جالس في ظل شجرة أو صخرة كبيرة من تلك الصخور التي يتجمع الماء تحتها مكونا بركة صغيرة يشرب منها الضمآن، ومن مكان جلوسه تتناهى إليه أصوات العذارى يتجاذبن أطراف الحديث وهن واردات صادرات يرتوين من الماء العذب الزلال، فتحدوه تلك الأصوات إلى مناغاتهن والتحدث اليهن ولكنه رجل شريف عفيف ذكر لنا: «أن ليس مع قيلهن فعال».

* سبق نشر هذا البحث في جريدة «الجزيرة» الأعداد رقم : ٦٩٠٥، ٦٠٠٧، شهر صفر عام ١٤١٢ هـ .

هل جبل متالع هذا معروف في وقتنا الحاضر ؟

قد يفاجأ القاريء كما فوجئت أن هذا الجبل الأحمر الكبير ذو الأوشال والتلاع الكثيرة، وذو العين الخرارة خفي على الباحثين في وقتنا الحاضر، وتضاربت آراؤهم حول تحديد مكانه الصحيح. مع أن علماء البلدان القدماء وكذا المؤرخين حددوا مكانه وأوضحوا صفاته بشكل دقيق. والنصوص التي تكلمت عنه ليست قليلة وكلها متفقة حول وصفه وتحديده دون تعارض فيما بينها.

فما هو ياترى السبب الذي جعل هذا الجبل الكبير المشهور يختفي كأنما انشقت الأرض عنه فابتلعته؟!

قبل أن نحاول إيجاد سبب ولو من باب الافتراض دعونا نلقي نظرة على ماقاله الباحثون في وقتنا الحاضر عن هذا الجبل.

فلعلنا من خلال ما أوردوه مع ما أوردته النصوص القديمة نستطيع شق طريق واضح المعالم يقودنا إلى مكان جبلنا المتخفي.

أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر حول «متالع»

معاجم البلدان القديمة حددت موضعه شرق جبل «سواج» وغرب جبل «خزاز وجبل «كير» أي إنه في الجهة الجنوبية الغربية من منطقة القصيم، ويحسن بنا باديء ذي بدء أن نطلع على ماورد في معجم «بلاد القصيم» لمؤلفه الأستاذ، محمد بن ناصر العبودي فماذا قال؟

أولاً - يقول المؤلف :

(أم سنُون: جبل يقع إلى الغرب من إمرة بينهما حوالي كيلين، اثنين في

المنطقة التي تقع الى القبلة من «دخنة» (منعج قديماً) في الجنوب الغربي من القصيم وهو جبل كبير في مثل حجم جبل خزاز، أحمر اللون.

وأوصاف الجغرافيين القدماء تدل على أنه هو متالع في القديم.

قال أبو عبيدة: خزاز وكير ومتالع: أجبال ثلاثة بطخفة مابين البصرة إلى مكة، فمتالع عن يمين الطريق للذاهب إلى مكة وكير عن شماله. وخزاز بنحر الطريق إلا أنها لايمر الناس عليها ثلاثتها.

أقول : ـ والقول هنا لمؤلف معجم بلاد القصيم ـ وهذا هو الواقع فإن طريق الإبل يمر بين هذه الجبال ويراها المار بوضوح ولكنها كلها بعيدة عنه وذلك للمتوجه من إمرة إلى طخفة وهو الطريق الذي كان يسلكه الحاج البصري إلى مكة.

وقال لغدة : وتنظر إذا أشرفت رامة إلى خزاز، والأنعمين، ومتالع وهو جبل عظيم قريب من امرة الحمى. أقول: هذا صحيح إذ أنك تستطيع أن ترى «أم سنون» هذه اذا علوت رامة. كما أنها أى أم سنون قريبة جدا من جبل إمرة. وفي جبل أم سنون هذا قلات مياه تدوم مدة طويلة تردها الغنم ويشرب منها الناس وإذا كثر المطر فاضت ولبثت مدة من الزمن، يصب منها الماء ويسمع لجريانه خريراً لعل هذا هو الذي من أجله سميت عين متالع «الخرارة» وسيأتي:

وقال في موضع آخر : سواج من أخيلة الحمى ثم النتاءة ثم إمرة والرائغة على متن الطريق أيضاً وهي متعشى بين إمرة وطخفة. ثم متالع وهو جبل وفيه عين يقال لها الخرارة، ومتالع هذا هو الذي يقول فيه صدقة بن نافع العميلي وكان بالجزيرة :

أرقت بحران الجزيرة مَوْهناً   لبرق بدا لي ناصب مُتَعَالي
وهل ترجعن أيامنا بمتالــــع   وشرب بأوشال لهن ظــلال

ـ إلى آخر الأبيات الستة ـ

أقـول ـ مؤلف المعجم ـ : والوشل الذي ذكره في القصيدة موجود في الشرق من جبل «أم سنون» هذا والظل التي أشار اليها هي بجهة هذا الوشل وهو الماء القليل، وهو يخرج من شطب بين حجرين اثنين كل واحد منهما بقدر البعير.

وقال يعقوب بن السكيت: كير جبل ليس بضخم أسفل الحمى في رأسه ردهة ويليه متالع.

أقول ـ المؤلف ـ : إن المسافة بين أم سنون وكير لاتزيد على ثلاثين كيلاً.

وقال الهجري : والنتاءة بين سواج ومتالع، ومتالع عن يمين إمرة بينه وبين إمرة ثلاثة أميال وهو جبل أحمر عظيم. أقول: النتاءة هي الشبيكية في الوقت الحاضر وهي بالفعل بين سواج «وأم سنون».

وقال في موضع آخر ـ أي الهجري ـ : ومحاذيه سواج : جبل أسود... ثم متالع جبل علم من الأعلام حذاء إمرة عن يسار الخارج من البصرة.

أقول ـ المؤلف ـ: هذان الوصفان ينطبقان على «أم سنون» هذا الجبل الذي نحن بصدده فقوله عن يمين إمرة: أي جنوبها لمن هو في مكة وقوله: عن يسار الخارج من البصرة يفسر ذلك فمتالع إلى الجنوب من إمرة.

أقول : وقد زعم بعض الناس في القديم وتبعهم الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله أن جبل متالع اسم لأبان الأحمر الجنوبي) انتهى[1].

ثم استطرد مؤلف «معجم بلاد القصيم» إلى تحليل بعض الأقوال إلى نهاية الصفحة (٤١٧) من الجزء الأول كما هي عادته سلمه الله في عدم ترك واردة ولا شاردة عندما يستدعي الأمر الاستطراد والتحليل مما يدل على سعة اطلاعه وغزارة علمه.

ثانياً ـ قول الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد رحمه الله: عن جبل «متالع».

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ص ١/٤١٢ ـ ٤١٥

أورد في كتابه «ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» عند كلامه عن مسمى «هضب» قال : «السابع: هضب متالع، ومتالع فيما ذكر أهل الأخبار إنه أبان الأحمر لأن الجبال المحيطة به كل جبل يحمل اسمه فقال أهل الأخبار: إنه لم يسم أبان إلا من باب التغليب، تغليب اسم أبان الأسود حتى قيل لهما أبانان ومنه قول الشاعر:

يضيء سناه الهضب هضب متالع ... وياحبذا بالهضب لو كان دانيا(١)

انتهى

ويقول في الجزء الثالث من كتاب صحيح الأخبار صفحة ٢٥٢ حينما ساق كلاماً للبكري رحمه الله وفحواه : (ثم الجبال التي تلي الستار عن يمينه، وعن شماله للمصعد غربي متالع فمنها جبلان صغيران مفردان يدعيان النائعين).

علق رحمه الله على كلمة متالع في هامش الصفحة بقوله (قال المؤلف: «متالع» انظر أيها القارىء تحديد البكري له حين قال فمنها جبلان صغيران مفردان يدعيان النائعين فيثبت هذا أن متالعاً هو أبان الأحمر.. إلخ).

وفي الصفحة ٢٢ من الجزء نفسه قال رحمه الله (قال المؤلف: إن كير باق بهذا الاسم إلى هذا العهد وهو واقع بين جبل خزاز وجبل أبان الأحمر. وهذا مما يؤيد ماذهبنا إليه في ذكر متالع الذي هو أبان الأحمر). انتهى.

من هذه الأقوال يتضح أنه استقر عند الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله أن أبان الأحمر هو متالع ولكننا عندما نحاول تطبيق النصوص الواردة في المعاجم القديمة وكذلك شواهد الشعر العربي لانجدها تسعفنا إلى تأييد ماذهب إليه من كون «متالع» هو «أبان الأحمر».

ولهذا فإني أميل إلى الرأى الذي أورده مؤلف «معجم بلاد القصيم» حول تحليله لأقوال مؤلف «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار».

---

(١) ص ٧٣.

ولست هنا أتحدث عن «أبان» وإنما محاولة مني لحماية «متالع» المجني عليه لئلا يبعد عن مكانه الصحيح أكثر.

هذا ماقيل عن متالع فماذا قيل عن «إمّرَةَ»؟

أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر عن «إمَّرَة»

أولاً ـ معجم بلاد القصيم :

يقول المؤلف : «أَمّرَه» بفتح الهمزة فميم مشددة ساكنة فراء مفتوحة مخففة ثم هاء. هكذا ينطق باسمها في الوقت الحاضر، أما في القديم فكان: بكسر الهمزة فميم مفتوحة مشددة فراء مفتوحة فتاء مربوطة.

جبل ممتد من الجنوب إلى الشمال له عدة هضبات، يخترقه من وسطه واد يسمى «الناصفة» لأنه ينصف هذا الجبل. ويسير الوادي من جهة الجنوب إلى الشمال فما كان منه إلى الشرق من صخور الجبل فهو يميل لونه إلى الحمرة، وماكان إلى الغرب منه فصخوره يميل لونها إلى السواد.

وفي هضابه الشرقية ماء قديم يقال له «مواجه» في الحاضر غرس فيه قوم من أهل الخشيبى نخلاً وزرعوه وأحدثوا فيه سداً على تلعة الوادي؛ وفي شمالي الجبل عين قديمة تسميها العامة من الأعراب «الشلالة»، لأن الماء يسقط منها سقوطاً هيناً يشبه مايحدث في الشلال وماؤها عذب يشرب منه نخل قديم هناك[1])انتهى.

ثم ساق المؤلف أقوال القدماء حول «إمّرةَ» وحلل تلك الأقوال فمنها ما وافق له رأياً، ومنها ماكان له عليها من تحفظ. ولا أريد أن أطيل البحث بإيراد كلما قاله هناك، وأكتفي بإحالة القارىء إلى ما أورده حول الموضوع

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١/ ٢٩٥ .

من صفحة (٣٩٥) إلى أول صفحة (٤٠٤) من الجزء الأول. وقد أرجع إلى ذكر بعض تلك النصوص إذا احتاج الأمر إلى البحث فيها لاحقاً.

ثانياً ـ كتاب «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار»:

يقول الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد رحمه الله وهو يتكلم عن المواضع التي تضمنها بيت امرىء القيس:

فنفـء فحليت فأكناف منعج — إلى عاقل فالجب ذي الأمارات

يقول: الجب ذو الأمارات: هو بئر يقع في طرف «إمرة» لأن الجب يطلق على البئر وإمرة هي التي ذكرها أمرؤ القيس باسم ذي الأمارات يقال لها «إمرة» بهذا الاسم إلى يومنا هذا ـ إلى أن قال ـ: وإمرة: هضبة يكتنفها أبارق بالقرب من سواج الجبل المشهور في الجاهلية بهذا الاسم.[1]

ويقول في موضع آخر: إمرة: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، جبيل صغير، كانت به أبارق بين أبانين وخزاز.[2] انتهى.

إنتبه أيها القاريء إلى التفاوت بين المؤلفين في وصف «إمرة» فالأول يقول جبل ممتد من الجنوب إلى الشمال له عدة هضبات يخترقه من وسطه واد، والثاني يقول: إمرة: جبل صغير كانت به أبارق بين أبانين وخزاز،.

ومادام هناك خلاف بين من بحثوا في «إمرة» من مؤلفي عصرنا فيحتمل أن الصواب مع أحدهما أو أن الصواب في قول ثالث لم يظهر بعد.

والسؤال القائم عندي الآن: هل جبل «متالع هو هضبة «أم سنون»؟

وهل الجبل الأحمر الكبير الواقع عنها شرقاً هو «إمرة»؟

قبل محاولة الإجابة على هذا التساؤل يحسن بنا أن نلقي نظرة فاحصة على ماورد في المراجع القديمة من نصوص حول «متالع» و«إمرة» لنتمكن على ضوء تلك النصوص من التحقق عن مدى انطباقها على المسميات

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١/٥٤.
(٢) صحيح الأخبار: ص ٢/٨٨.

الحديثة، وبالتالي يتسنى لنا مناقشة أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر إذا لزم الأمر.

ماذا قال العلماء القدماء عن «جبل متالع» وعن «إمَّرة»؟

لعله من المفيد الجمع بين النصوص التي قالها العلماء رحمهم الله عن كل من «متالع» و«إمرة» لأنه بحكم الجوار بينهما إذا أورد أحدهم نصاً عن أي منهما فغالباً مايذكر معه الآخر.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ففي جمع تلك النصوص عدم التطويل والتكرار، ولكي لايتشعب الموضوع على القاريء الكريم وتصعب المقارنة بين النصوص.

وتلك النصوص هي مستندنا الوحيد إلى إثبات مانسعى إلى تحقيقه، أما ما استجد بعدها من أقوال فهي لاتعدو أن تكون مجرد إجتهادات قد تصيب وقد تخطيء، ونصوص القدماء التي تمكنت من حصرها هي:

أولا: ماقاله أبو علي الهجري في أبحاثه:

١ - وأما جبال الحمى فأدناها جبل على ظهر الطريق يقال له الستار، وهو جبل أحمر مستطيل، ليس بالعالي فيه ثنايا يسلكها الناس، وطريق البصرة يأخذ ثنية من الستار، وبين الستار وإمرة من فوقها خمسة أميال.

وإمرة في ديار غنيّ، بلد كريم سهل ينبت الطريفة، وهو بناحية الأشيق[1].

٢ - ويقول الهجري في موضع آخر: والنتاءة بين سواج ومتالع (ومتالع) عن يمين إمرة، بينه وبين إمرة ثلاثة أميال وهو جبل أحمر عظيم[2].

(١) أبو على الهجرى وأبحاثه: ص ٢٦٠.
(٢) أبو على الهجرى وأبحاثه: ص ٢٦١.

٣ ـ ويقول أيضاً: ثم متالع: جبل أحمر علم من الأعلام، حذاء إمرة عن يسار الخارج من البصرة[١].

ثانياً ـ ويقول البكري:

١ ـ وخزاز في ناحية منعج دون إمرة، وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة ينظر إليه كل من سلك الطريق..

وحدد أبو عمرو خزازاً فقال: هو جبل مستفلك، قريب من إمرة عن يسار الطريق خلفه صحراء منعج، يناوحه كِيرٌ وكوير، عن يمين الطريق إلى إمرة، إذا قطعت بطن عاقل[٢].

٢ ـ وفي رسم «السرير» قال البكري: هو موضع في بلاد كنانه قال عروة بن الورد:

سقى سلمى وأين محل سلمى ... إذا حلت مجاورة السرير

إذا حلت بأرض بني علـــي ... وأهلك بين إمـــرة وكيـــر

بنو عليّ: هم بنو كنانة.... فإمرة وكير: من بلاد عبس[٣].

٣ ـ كما أورد البكري في صفحة ٣/٨٦٧ وصفحة ٣/٨٦٨ النصين المتقدمين للهجرى (١، ٢).

ثالثاً ـ ماقاله ياقوت الحموي في «معجم البلدان»:

١ ـ متالع : يجوز أن يكون من التلعة واحدة التلاع وهي مجاري المياه من الأسناد والنجاف والمواضع العلية والجبال، وتلعة الجبل. ان الماء يجيء فَيَجِدُّ فيه فيحفره حتى يخلص منه، ولا تكون التلاع في الصحارى، والتلعة ربما جاءت من أبعد من خمسة فراسخ من الوادي وإذا جرت من الجبال وقعت في الصحارى حفرت فيها كهيئة الخنادق.

قال: وإذا عظمت التلعة حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثه فهي سيل،

(١) أبو علي الهجرى وأبحاثه : ص ٣١٠.
(٢) معجم ما استعجم : ص ٢/٤٩٦.
(٣) معجم ما استعجم : ص ٣/٧٣٧ .

ويجوز أن يكون من التليع وهو الطويل ومنه عنق تليع.

قال الأصمعي: متالع جبل في نجد وفيه عين يقال لها الخرارة وهو الذي يقول فيه صدقه بن نافع العميلي وكان بالجزيرة:

وهل ترجعن أيامنا بمتالع وشرب بأوشال لهن ظلال. (ستة أبيات)

.. وقال الزمخشري :

متالع لبني عميلة قال صدقة بن نافع: - وأورد البيت -) [1]

٢ - وعن إمرة يقول: (إمرة: اسم منزل في طريق مكة من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة، وبعد رامة، وهو منهل وفيه يقول الشاعر:

وفى كتاب الزمخشري : إمرة ماء لبني عميلة على متن الطريق

وقال أبو زياد: ومن مياه غني بن أعصر إمرة، من مناهل حاج البصرة،

قال نصر : إمرة الحمى لِغَنِيٍّ وأسد، وهي أدنى حمى ضرية أحماه عثمان لإبل الصدقة. وهو اليوم لعامر بن صعصعة[2].

رابعاً ـ ماقاله الإمام الحربي في كتابه «المناسك»:

١ - ثم إمرة: أخبرني الثمالي عن التوزي عن الأصمعي: إنما سميت إمرة بآكام فيها، شبهت بأولاد الضأن، يقال للصغير أمر وللصغيرة أمرة.

قال التوزي: فسألت أعرابياً عما قال الأصمعي، فقال: ماصنع شيئاً، إنما سميت إمرة لنماء المال فيها، يقال: أمر بنو فلان إذا كثروا.

ومن رامة إلى إمرة سبعة وعشرون ميلاً.

وإمرة : بلاد قيس بها آبار كثيرة [1].

خامساً ـ ماقاله لغدة الأصفهاني في كتابه «بلاد العرب»:

(١) معجم البلدان : ص ٥/٥٢.
(٢) معجم البلدان : ص ١/٢٥٣ .
(٣) المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة : ص ٥٩٢.

١ ـ ثم إمرة: وهي على متن الطريق[١].

٢ ـ وفي موضع آخر قال: وتنظر إذا أشرفت من رامة إلى خزاز، والأنعمين، ومتالع، وهو جبل عظيم قريب من إمرة الحمى، وإمرة الحمى لِغَنِيٍّ وأسد.

قال الشاعر :

ألا هل إلى شرب بإمرة الحمى وتكليم ليلى ماحييت سبيل [٢].

سادساً ـ في كتاب «معالم طابة» يقول الفيروز آبادي:

ـ الستار : جبل من جبال ضرية بينه وبين إمرة خمسة أميال[٣].

سابعاً ـ في كتاب «وفاء الوفاء» يقول السمهودي:

١ ـ إمرة : كإمَّعَة، وبفتح الهمزة والميم، موضع بشق حمى ضرية قرب جبل المنار، وهو من منازل الحاج العراقي، به آبار كثيرة طيبة، سمي باسم الصغير من ولد الضأن[٤].

٢ ـ وفي رسم «متالع» يقول: (متالع: جبل عن يمين إمرة بحمى ضرية)[٥].

هذا ماتمكنت من جمعه من النصوص القديمة من واقع المراجع المتوفرة لدي.

وكأني بالقاريء وقد سئم من قراءة مامر به من سرد للأقوال والخلافات دون أن يخرج بنتيجة واضحة لتحديد موقع كل من إمرة، ومتالع. وهذا هو بيت القصيد، ولكني أهمس في أذن القاريء الكريم: بأن قول بيت القصيد صعب على مثلي إنشاده فمتى قلناه أنشدنا شعراً، وقد قيل:

---

(١) ص : ٨٨ .
(٢) بلاد العرب : ص ٣٨٦ .
(٣) ص : ١٧٦ .
(٤) ص : ١١٣١/٤ .
(٥) وفاء الوفاء : ص ١٢٩٩/٤ .

«الشعر صعب وطويل سلمه» وليس بخاف مايحصل لمن يرقى سلمه وهو لايعلمه، ولكي أضمن السلامة وأصل إلى الغرض المنشود، فلابد من صعود هذا السلم بتأن وبصيرة.

وكيف نبت بحكم على مانحن بصدده، ولم نشاهد ونكون صورة واضحة بعد.

وقد قيل: «الحكم على الشيء فرع من تصوره».

ولذلك فلابد من شد الرحال إلى مكان الاشتباك الحاصل بين إمرة، ومتالع.

الرحلة الميدانية

سبق أن زرت المنطقة التي نتحدث عنها أكثر من مرة ولكن هذه المرة تختلف عن المرات السابقة، لكوني أعددت لهذه الرحلة العناصر الواجب توفرها لتحقيق الهدف المنشود بإذن الله، كانت هذه الرحلة صباح يوم الخميس الثاني من شهر ذي القعدة عام ١٤١١ هـ .

وقد قررت أن تكون بداية البحث عن «منزل إمرة» ليس من موقع مضانها ولكن من المنزل الواقع عنها شرقاً وهو المنزل «الثالث عشر» لحاج البصرة واسمه «رَامَة» وأسهل طريق للوصول إليه خط مزفت يتجه جنوباً من وسط مدينة «البدائع» - أشار إليه الاستاذ محمد العبودي - وهو طريق زراعي سلكته إلى أقرب نقطة من رامة. وبالبحث والسؤال الذي لم يطل كثيراً عثرت على منزل «رامة» وهو عبارة عن عدد من الآبار المطمورة ماعدا واحدة مازالت واضحة المعالم تراها مدورة الشكل منحوتة في الصخر «أنظر صورتها رقم « ٦٣».

ويوجد بالقرب من تلك الآبار من جهة الشرق آثار قصر وحجرات قد طمرتها الرمال ولكن معالمها مازالت ظاهرة، وقد أخذت عينة من المادة المستعملة في البناء وهي بمثابة الإسمنت في وقتنا الحاضر، وقد حاولت الحصول على أثر قطع الزجاج أو الأواني الفخارية القديمة فلم أتمكن نظراً لأن الرمال تغطي المنطقة. (أنظر صورة آثار المباني رقم ٦٤).

رقم (٦٣)
إحدى آبار منزل «رامة» وهي الوحيدة التي مازالت واضحة المعالم

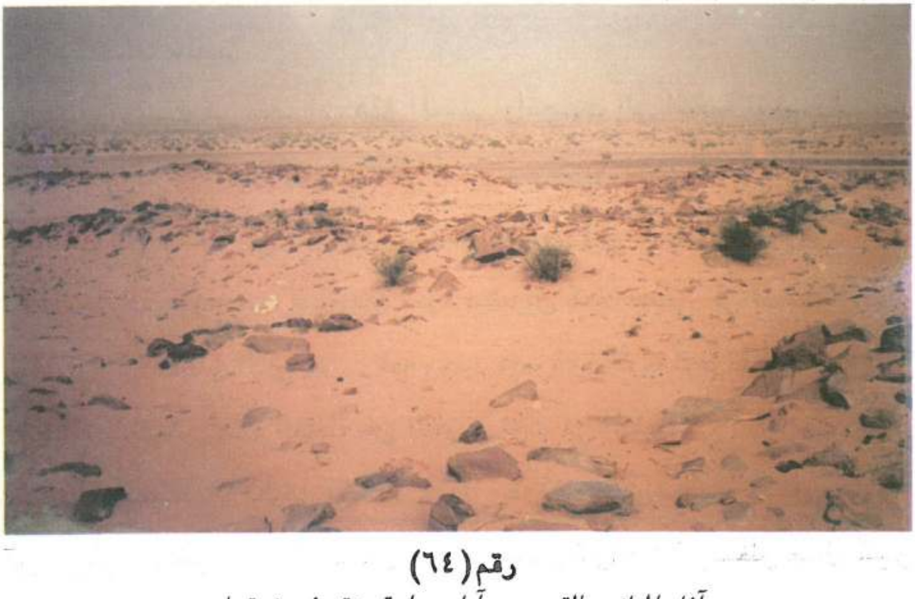

رقم (٦٤)
آثار المباني بالقرب من آبار «رامة» تقع في شرقها

ومن مشاهدتي لتلك الآبار وأثر المباني بجوارها تأكد لي أن هذه هي «رامة».

وقد حاولت أن أشاهد من مرتفعاتها الأعلام التي قالت النصوص القديمة إنها تشاهد من هذا المكان باتجاه القبلة مثل: الأنعمين، وخزاز، وكير، ومتالع.. ولكن كان الجو مغبراً والرؤية لا تسمح بمشاهدة تلك الأعلام.

وباتجاه القبلة وعلى الدرجة «٢٢٠» نزلت من رامة إلى بطن عاقل «العاقلي» حالياً وفيه يوجد متعشى الحاج عندما يصدرون من رامة في طريقهم إلى إمرة.

أثناء سيري كنت أتطلع إلى أى أثر يثبت لي أنني أسير في الطريق الصحيح، وعندما جاوزت أحد فروع وادي عاقل وجدت في أرض سهلة برجاً جُلِبَتْ حجارته من مكان آخر مما أثبت لي أن هذا البرج الصغير المتهدم المتناثرة حجارته من حوله كان أحد علامات الطريق، وقد جعل بجواره من ناحية القبلة مصلىً صغيراً حددت معالمه بحجارة موضوعة على الأرض ومازال وضعه سليماً.

عندما وقفت في محراب هذا المصلى واتجهت إلى القلبة اتضح لي أنه على نفس الدرجة مما أثبت لي أنني أسير مع طريق حاج البصرة القديم.

وعندما وصلت إلى الطريق المزفت الواصل بين «دخنة» و «الرس» كنت قطعت من المسافة بين رامة وبين إمرة عشرين كيلاً ليبقى من المسافة حتى الوصول إلى المكان الذي قدرت فيه وجود «إمرة» ثلاثون كيلاً تقريباً.

وبالوصول إلى هذه النقطة من الطريق تأكد لي أكثر أنني أسير إلى إمرة بالاتجاه الصحيح لكوني أشاهد جبل «خزاز» عن يساري، وجبل «كير» عن يميني.. أنظر صورة جبل خزاز الصورة رقم ٦٥ ومنظر جبل كير

الصورة رقم ـ ٦٦).

وهكذا حاج البصرة قديماً هذا هو طريقهم، إذاً ما علي الآن إلا أن أسير باتجاه جبل «الستار» وبالتحديد إلى الثنية، التي كان الحجاج يسلكونها لعلي أعثر على منزل «إمرة» والذي حدد دون الستار بخمسة أميال أي حوالي تسعة أكيال. أخذت بعين الإعتبار أن سير الإبل ليس مثل سير السيارة، إذ أن الإبل تأخذ الطريق قصداً لكونها تسير مع طريق محدد بالعلامات الإرشادية على طول الطريق، أما السيارة فيأخذ بها الطريق أحياناً ذات اليمين وذات الشمال، حسب وعورة الطريق .. إذا المسافة تقريبية.

وبما أن إمرة حسبما اتضح لي من النصوص القديمة مورد ماء وليس جبلاً فقد بحثت في المعاجم الحديثة عن موارد المياه القديمة ـ وإن كانت تحمل أسماء مستحدثة ـ في تلك الناحية، ولم أعثر في هذه المراجع سوى على بئرين فقط هما بئر «الركا»، وبئر «الظاهرية» حيث قيل عنهما:

١ ـ يقول الشيخ حمد الجاسر : (الرَّكَاءُ : من المياه بقرب «دخنة» بمنطقة القصيم)(١)

ويقول الاستاذ محمد بن ناصر العبودي: الركا مورد ماء عد قديم يقع إلى الغرب من جبال دخنة وخزاز، وإلى الشرق من جبال «إمرة» في غرب القصيم، وهو وسط جو تأتيه السيول من جهة إمرة، واشتهر بأنه يجمع منه ملح البارود. ورد ذكره فى كتابات بعض الأوروبيين التي وصفت الطريق من القصيم إلى مكة المكرمة وهو قول المستر لوريمر: (عند ثلث الطريق تقريباً يمر الطريق بآبار «الركا» الملحية حيث نجد حوطة يسكنها أهالي الرس أحياناً وقد حضروا لاستخراج الحجر الملحي من الأرض، والأرض من

(١) المعجم الجغرافي (معجم مختصر) : ص ٦٤٦/٢ .

رقم (٦٥)
منظر جبل «خزاز» الذي يتركه حاج البصرة على يسارهم، وهذا الجبل له شهرته التاريخية حيث أوقد في رأسه ذات غداة.

رقم (٦٦)
منظر جبل «كير» الذي يمر الحاج بينه وبين خزاز تاركينه على يمينهم وخزاز على يسارهم

الصخور البركانية البازلتية والجرانيتية)[1] انتهى.

٢ ـ أما عن الظاهرية: فيقول الشيخ حمد الجاسر : (الظاهرية: من مياه الظواهرة من بني سالم من حرب جنوب الرس بمنطقة القصيم)[2].

ويقول عنها الاستاذ محمد العبودي: (الظاهرية: مورد ماء احتفره قوم من الظواهرة (واحدهم ظاهري) من بني سالم من قبيلة حرب.. والذي أرجحه أنه كان ماءً قديماً منسي الاسم فأعاد حفره المذكورون.. ويقع إلى الجنوب الغربي من منطقة القصيم في الشمال الشرقي من جبل كير المعروف، وقد عرفت بعد ذلك أنها مورد قديم يرده الحاج... ويقول أهل الرس إن هذه سبيل على الحاج لأنهم كانوا يردونها، ويريدون حاج البصرة إلى مكة)[3] انتهى.

أقول : هذين الموردين «الركا و«الظاهرية» هما أقرب موارد المياه من المكان الذي وصفه القدماء، ولكن بدا لي استبعاد البحث عن بئر «الظاهرية» لأن استاذنا «العبودي» حدد مكانها بأنها واقعة إلى الشمال الشرقي من جبل «كير» ومكان «إمرة» الصحيح كما يظهر في جنوب هذا الجبل.

ولذا فقد ركزت على «الركا» التي قال عنها الشيخ حمد الجاسر إنها من المياه بقرب دخنة، وهي التي مر عليها المستشرق «لوريمر» وحدد مكانها مؤلف معجم بلاد القصيم.

وقد استنتجت أن تلك الآبار سميت بالركا حديثاً لكون المعاجم القديمة لم تذكرها واسمها القديم استبدل بالاسم الجديد «الركا».

في طريقي من رامة وعندما بقي على جبل الستار مايقارب العشرة أكيال تجولت في المنطقة لعلي أعثر على بئر قديمة، وإن كانت الأرض هناك

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٣/١٥٧ .
(٢) المعجم الجغرافي (معجم مختصر : ص ٢/٩١٢ .
(٣) معجم بلاد القصيم : ص ٤/١٥١١ .

استحدث فيها بعض الآبار الزراعية، وقد سألت أعرابياً يقطن هناك عن «الركا» فلم يعرفها ولكنه أفادني عن «الظاهرية» وأشار إلى جهتها وهي خارجة عن الحيز الذي أبحث فيه.

وكنت أركز على أكمات «الأصمعي» التي أشار إليها، وأن إمرة سميت بهذا الاسم لوجودها في أرضها وفي الواقع أن الأكمات تكثر في تلك المنطقة وشكلها ملفت للنظر ولكن أين إمرة؟

واصلت السير حتى بلغت جبل الستار الواقع عن إمرة باتجاه القبلة بما يقارب تسعة أكيال. ومن الثنية التي كان يسلكها حجاج البصرة بدأنا العودة باتجاه الشرق. الطريق واضح والاتجاه محدد تماماً لأن الأعلام تحدده تحديداً دقيقاً وكان يرافقني في تلك الرحلة أخي أحمد وبطريق العودة للبحث عن إمرة، وبعدما قطعنا ستة أكيال وجدته يجنح إلى اليمين فلما قلت له إننا في الاتجاه الصحيح، قال: ولكننا نقرب إلى الجبل الأحمر الكبير الذي تقول إنه يبعد شمالاً عن إمرة ثلاثة أميال، وكأني به هو الآخر سرت إليه عدوى البحث.

وعندما قطعنا مايقارب ثمانية أكيال بدأنا التطلع، ولا أخفي أن الأكمات التي ذكرها الأصمعي رحمه الله كانت تشدنا إلى التجول حولها، وفي أعلى هضيبة صغيرة مطرحة بالأرض عثرنا على شبه برج متهدم عللنا أنه برج مراقبة، ولكن لمراقبة ماذا؟ لاندري.

وقد شاهدنا مزرعة صغيرة قريبة من تلك الهضيبة يفصل بينهما واد شاهدنا فيها رجلا فسألناه عن المنطقة وعما إذا كان يوجد في تلك الأرض مورد ماء قديم (جاهلي) ـ كما يطلق عليه العامةِ في عصرنا هذا ـ فقال: كنت أسكنِ في هذه المنطقة منذ عشرين عاماً ولا أعرف فيها سوى الآبار المهدومة التي جئتم منها الآن فقلنا له إننا لم نمر عليها، قال: هي غرب الهضبة التي كنتم عليها قبل قليل قريباً منها، وسألناه عن اسمها، فقال: اسمها «الركا».

عندما وقفنا عليها وتجولنا حولها إتضح لنا أنها ليست بئرا واحدة وإنما هي ست آبار متجاورة على ضفاف واد ليس بالكبير وجميعها مطمورة وفي جهتها الشمالية آثار لبركة واسعة أو لمبنى آثار أساساته مازالت واضحة، وفي الركنين الغربيين منه مايشبه الأبراج. وبعد فحص الموقع لم يخالجني شك بأن تلك الآبار والأثر بجانبها أنها هي «إمرة» فعلاً لأنها واقعة على ضفاف واد وفي هذا الوادي مايشبه المجرى، وهذا هو طابع نظام مهندسي آبار وبرك طريق حاج البصرة، وكذلك طريق زبيدة فطريقتهم متشابهة إلى حد ما.

ولما كان الأمر يقتضي التوثيق أكثر لأن إثبات ذلك سيغير من مسميات أعلام قائمة معروفة لدى الناس في عصرنا الحاضر. ولعلمي أن الجهد الفردي لا يستطيع إبراز كل المعالم والدلائل التوثيقية ولكن حاولت قدر المستطاع أن أوجد من القرائن مايثبت أن تلك الآبار هي إمرة وليست مورد بادية فقط.

فقد تجولت في الموقع علّي أعثر على بقايا من حطام بعض أواني الحجاج الذين كانوا يردونها قديماً والغالب العثور على بقايا من حطام الأواني الزجاجية والجرار الفخارية.. وبالفعل وجدت بعضاً من قطع الزجاج القديم ويدل عليها عدم صفائها، وكذلك قطع من بقايا جرار مصبوغة باللون الأزرق أو الأخضر، وإن كانت قطعها صغيرة ولكنها تشبه ماهو موجود عند برك طريق زبيدة والجميع قادمون من العراق.. (أنظر إلى الصورة رقم ٦٧ - حيث يبدو شكل القطع الزجاجية والفخارية).

وقد قمت بقياس المسافة من تلك الآبار إلى الستار الواقع عنها باتجاه القبلة وكذلك المسافة بينها وبين الهضب الأحمر الكبير الواقع عنها شمالاً فكانت المسافة مطابقة تماماً كما ذكرها الأقدمون رحمهم الله مما أثبت بما لايدع مجالاً للشك - على الأقل بالنسبة لي - أن تلك الآبار هي منزل حاج البصرة المسمى «إمرة» أما بالنسبة لغيري فإن القول الفاصل فيه يرجع إلى

رقم (٦٧)
منظر بعض القطع الزجاجية والفخارية الملونة المنتشرة في آثار منزل «إمرة»

رقم (٦٨)
منظر يبدو فيه إحدى بركتي منزل «وجرة» المسمى حاليا «الخرابة» وتبدو القبة المقامة بين البركتين يمر الماء من تحتها مع عبارتين .

علماء الآثار عندنا فإذا قالوا كلمتهم فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب، فهل تفعل هذا جهيزة؟!

وقد يتساءل القارىء: ولكن أين الحوطة التي يسكنها أهل الرس عندما يأتون إلى هذا المكان لاستخراج الملح والتي أشار إليها المستشرق «لوريمر»؟

أقول: إنه من المؤسف أن خط الزفت المتجه إلى قرية «الدحلة» والمتفرع من خط «الشبيكيه - دخنة» قد دمر كثيرا من معالم المنطقة المحيطة بالآبار، ولعل الطريق عند إصلاحه أزال مابطريقه من عوائق مثل تلك الحوطة التي أشير إليها، والتي أعتقد أنها أساساً من مساكن حاج البصرة قديماً، ولايستغرب بقاء البنيان على أشده إذا كان مبنيا بالحجارة، والشاهد على ذلك أن المنزل الحادي والعشرين من هذا الطريق - طريق حاج البصرة - ماتزال بركتيه عامرتين يربط بينهما ممرين مائيين مشيد على هذين الممرين قبة كبيرة مازالت قائمة إلى يومنا هذا يستظل بها الناس واسم هذا المنزل «وجرة» وتسميه العامة في وقتنا الحاضر «الخرابة» (أنظر إلى صورة تلك القبة وبركتيها (الصورة رقم - ٦٨ -)

ولاشك أن حجارة مباني منزل «إمرة» قد نقلت على مر السنين إلى القرى المجاورة لها لاستخدامها في طي الآبار وغير ذلك من الأغراض لأنها حجارة مهذبة، ولم يبق في الموقع منها سوى الأساسات الثابتة في الأرض. وباستطاعة أي مهندس معماري رسم شكل المباني التي كانت قائمة حول تلك الآبار إذ أن أساساتها الحجرية مازالت واضحة حتى الآن، وتقع آثار تلك المباني في الجهة الغربية من الآبار ومن يتفحص جنبات الطريق المزفت المار بقرب الآبار يلحظ الحجارة المبعثرة هنا وهناك. مما يوحي أنها من بقايا حجارة مباني ومنشآت هذا المنزل. (وأنظر إلى الصورة رقم ٦٩ ويبدو فيها جانب من آثار آبار إمرة).

رقم (٦٩)
منظر يبدو فيه جانب من آثار آبار «إمرة» على ضفاف الوادي

إضافة :

بعد أن نشر هذا البحث في «جريدة الجزيرة» ولم أقرأ أي تعليق حول ماجاء فيه، إلى جانب بعض المكالمات الهاتفية التي تلقيتها من بعض الإخوة القاطنين بالقرب من تلك المواضع التي تحدثت عنها وكلهم يؤيدون ماتوصلت إليه، شجعني هذا على القيام برحلة استقصائية لهذه المنطقة علني أتوصل إلى معلومات إضافية أكثر دقة مما توصلت إليه في الرحلة السابقة، وخاصة فيما يتعلق بالمسافة بين منزل «إمرة» ومنزل «رامة».

وقد قمت بزيارة تلك الناحية وتجولت حول هضب «متالع» وهضبة «أم سنون» ثم عرجت على آبار إمرة التي تبعد عن متالع ستة أكيال فقط، أي ثلاثة أميال كما يقول الهجري رحمه الله تعالى وذلك من ناحية الجنوب الشرقي فتبين لي أن منزل إمرة واقع على خط العرض ٥٧ً ٢٠َ ٢٥ْ وخط الطول ١٢ً ٢٦َ ٤٣ْ.

ومن آبار إمرة توجهت إلى منزل رامة باتجاه الشرق على درجة (٣٠) وعند الوصول إليها تبين أن المسافة بين المنزلين خمسة وخمسون كيلاً. كما تبين أن منزل رامة واقع على خط العرض ٢٤ً ٤٥َ ٢٥ وخط الطول ٣٠ً ٤٥َ ٤٣ْ.

وعند عودتي من رامة باتجاه إمرة حرصت على التحري عن بقايا أبراج أميال الطريق وعلاماته على نمط ماعثرت عليه في الرحلة السابقة، وذلك بغية قياس المسافة بين الميل والميل الآخر الذي يليه بالأمتار، وقد وفقت في العثور على بقايا ثلاثة منها بحالة لابأس بها، وبقياس المسافة بين كل ميل والذي يليه اتضح أن البعد بينهما كيلين اثنين فقط من غير زيادة ولا نقصان. وبعد العثور على تلك الأميال الثلاثة عرفت أني أسير على الطريق الصحيح: (أنظر صور إثنين من تلك الأبراج الصورة رقم - ٧٠ - ورقم - ٧١).

كنت في الرحلة السابقة أسير باتجاه تقريبي نحو القبلة مع ما أعترض الطريق من عوائق أما في تلك الرحلة فكان السير بإتجاه أكثر دقة وذلك بعد معرفة منزل إمرة وموقعه الصحيح، فكنت أسير هذه المرة على درجة (٢٢٠) باتجاه القبلة، وهذا لايمثل فرقاً كبيراً في الاتجاه الصحيح عن الاتجاه الذي سلكته في المرة السابقة، ولكن إذا كان الأمر يتعلق بالعثور على أميال الطريق والسير بدقة مع الطريق الذي كان يسلكه حاج البصرة قديماً فإن ضبط الاتجاه الصحيح من الأهمية بمكان من الناحية «الطبغرافية».

كنت في الرحلة السابقة - قد قدرت الميل الواحد بـ ١٨٤٨ متراً على أساس الميل الشرعي، وكان هذا مجرد اجتهاد مني لمعرفة المسافة بين المنزلين «رامة وإمرة».

أما الآن فقد اتضح من القياس على واقع الأمر أن المسافة بين كل ميل والميل الذي يليه كيلين اثنين أي ألفي متر (٢٠٠٠ م).

رقم (٧٠)
منظر أحد أبراج طريق حاج البصرة مازال واضح المعالم رغم مرور السنين الطويلة

رقم (٧١)
منظر أثر برج آخر من أبراج الطريق. على يمينه مصلى

فإذا عرفنا أن المسافة بين رامة وإمرة سبعة وعشرون ميلاً كما حددها الأقدمون فلذا تكون المسافة الفعلية بالأكيال بين هذين المنزلين

هي: ٢٧ x ٢ = ٥٤ كم.

وهذا التوافق المتقارب إلى حد بعيد في قياسي للمسافة على الطبيعة، وماحدده الأقدمون يعتبر بمثابة دليل قوي يعضد ماتوصلت إليه. أما حدوث فرق بسيط يقدر بكيل واحد أو مئات من الأمتار فهذا لايلتفت إليه، ولعل من يقوم بقياس تلك المسافة على أساس طبغرافي دقيق يتلافى هذا الفرق البسيط.

وعلى ضوء مشاهداتي على الطبيعة، وتوافق ماقدرته تخمينا مع الواقع المحسوس لم يبق لدي أدنى شك بأن تلك الآبار وآثارها ماهي إلا منزل «إمرة» والتي تسمى حالياً «الركا» وأن جبل «متالع» هو الواقع عنها شمالاً والمسمى حالياً «إمرة».

وكأني بالقاريء يتساءل، فيقول: مادمت ترى أن إمرة هي مايسمى في وقتنا الحاضر «الركا» وأن جبل متالع هو مايسمى حالياً «أمرة» فكيف نوفق بين هذا الرأي وماورد في «معجم بلاد القصيم» من أن متالعاً هو هضبة «أم سنون» وأن «إمرة» هي الجبل الذي تقول أنت إنه «متالع»؟

فأقول: سأجيب على هذا التساؤل خلال مناقشتي التالية لبعض آراء المؤلف حيال بعض النصوص القديمة، التي أوردها واستدل بها فيما ذهب إليه من رأي.

مناقشة الأقوال الواردة في «معجم بلاد القصيم» حول بعض النصوص القديمة المتعلقة «بمتالع»:

أولا - يقول مؤلف معجم «بلاد القصيم» حول «متالع»:

(أم سنون: جبل يقع إلى الغرب من إمرة بينهما حوالي كيلين اثنين في المنطقة التي تقع إلى القبلة من «دخنة» (منعج قديماً) في » الجنوب الغربي من القصيم، وهو جبل كبير في مثل حجم جبل خزاز أحمر اللون.

وأوصاف الجغرافيين القدماء تدل على أنه هو «متالع» في القديم.

المناقشة :

إن القول بأن جبل «أم سنون» أي «متالع» - عند المؤلف - بينه وبين إمرة حوالي كيلين إثنين يقع عنها غرباً. لايتفق مع ماذكره الهجري رحمه الله حيث قال في النص المتقدم: «إن المسافة بين متالع وإمرة ثلاثة أميال» - أي مايقارب ستة أكيال ففرق بين التقديرين.

وكذلك النص الذي قال: «ومتالع عن يمين إمرة بينه وبين إمرة ثلاثة أميال وهو جبل أحمر عظيم». وكذا النص المتضمن: «أن متالعاً جبل أحمر علم من الأعلام حذاء إمرة» ومعنى ذلك أن متالعا محاذ لها ولو كان غربا منها لقال النص: أمام إمرة أو قبلة منها، ولكن واقع الأمر أن متالعاً محاذ لإمرة عن يمينها جهة الشمال.

أما قول المؤلف بأن أم سنون جبل كبير وأن أوصاف الجغرافيين القدماء تدل على أنه هو متالع في القديم.

فلست مع المؤلف في ذلك فأم سنون هضبة عادية كأي هضبة أخرى تماثلها في الحجم ولذلك أطلق عليها من سماها أم سنون، ولم يقل أبو

سنون. أما كون أوصاف الجغرافيين القدماء تدل على أنها جبل متالع في القديم، فلا أرى انطباق تلك الأوصاف على أم سنون لأنها ليست جبلا عظيما، بل هي هضبة عادية وإنما الوصف المشار إليه في النصوص ينطبق على الهضب الواقع عنها شرقاً قريباً منها، وربما تكون هي جزء منه.

ثانياً ـ علق المؤلف على قول لغدة: (وتنظر إذا أشرفت رامة على خزاز والأنعمين ومتالع).

علق بقوله: أقول هذا صحيح إذ أنك تستطيع أن ترى «أم سنون» هذه إذا علوت رامة كما أنها أي أم سنون قريبة جداً من جبل إمرة.

المناقشة :

لست مع المؤلف في هذا التعليل، فالذي يُرَى هو الهضب الأحمر العظيم الواقع شرق أم سنون فهو الموالي للناظر من جهة الشرق وقد تبدو أم سنون الواقعة عنه غرباً كهضبة من هضباته.

ثالثاً ـ ذكر المؤلف أن في أم سنون قلات مياه تدوم مدة طويلة تردها الغنم ويشرب منها الناس وإذا كثر المطر فاضت ولبثت مدة من الزمن يصب منها الماء ويسمع لجريانه خريراً، فلعل هذا هو الذي من أجله سميت عين متالع «الخرارة».

كما علق على أبيات صدقة بن نافع التي من ضمنها هذا العجز من بيت الشعر «وشرب بأوشال لهن ظلال»، علق بقوله: والوشل الذي ذكره في القصيدة موجود في الشرق من جبل «أم سنون» هذا والظلال التي أشار اليها وهي بجهة هذا الوشل وهو الماء القليل وهو يخرج من شطب بين حجرين اثنين كل واحد منهما بقدر البعير.

المناقشة :

أقول إن المؤلف سلمه الله حاول قدر الإمكان تطبيق النصوص الواردة حول «متالع» على هضبة أم سنون، ولكن مشاهدتي لأم سنون وماهو

موجود بشرقيها لايستحق أن يطلق عليه عين خرارة، لأنه لايوجد بأعلى الهضبة مجمعات مياه تحتظ بالماء لمدة طويلة لتغذي تلك العين والأوشال. بل الأوشال ومجاري العين الخرارة، وكذا ظلال صدقة بن نافع موجودة هناك في هضب متالع، وهذا ما سأوضحه لاحقاً إن شاء الله.

رابعاًـ علق المؤلف على قول بن السكيت: «كير جبل ليس بضخم أسفل الحمى في رأسه ردهة ويليه هضب «متالع» علق بقوله: أقول إن المسافة بين أم سنون وكير لاتزيد على ثلاثين كيلاً.

المناقشة :

أقول إن أم سنون لاتلي جبل كير بل الذي يلي جبل كير هو الهضب الأحمر الكبير الذي يطلق عليه حالياً اسم «أمرة» أما أم سنون فهي واقعة خلف هذا الهضب من جهة الغرب وعلى هذا فهي ليست تلي جبل كير، أليس كذلك؟

خامساً ـ عندما أورد المؤلف قول الهجري: «والنتاءة بين سواج ومتالع، ومتالع عن يمين إمرة بينه وبين إمرة ثلاثة أميال وهو جبل أحمر عظيم».

وكذا قول الهجري في موضع آخر: «ثم متالع جبل أحمر علم من الأعلام حذاء إمرة عن يسار الخارج من البصرة».

علق بقوله: أقول وهذان الوصفان ينطبقان على أم سنون هذا الجبل الذي نحن بصدده.

المناقشة :

أقول إن هذين الوصفين ينطبقان على هضب متالع الحقيقي الذي ورد فيه هاذان النصان ولكنهما لاينطبقان على أم سنون كما أسلفت.

سادساًـ أما فيما يتعلق بقول المؤلف: «وفي متالع هذا كان يوم من أيام العرب في الجاهلية أصابت فيه تغلب بني تميم وقد رأينا إنه «متالع» هذا

دون غيره من الأمنكة التي تسمى بمتالع - لأمور ذكرها - وحيث أن تحقيق حدوث هذه المعركة الحاصلة في سفح متالع لايفيدنا في تحديد موقعه كما ظهر لي فليس لي من تعليق على ما أورده المؤلف هنا، ومايمكنني قوله هو أن هضبة أم سنون أصغر من أن يسكن في سفحها قبائل تخوض مثل المعركة التي حصلت الأمر الذي قد تكون المعركة حدثت في سفح جبل آخر اسمه متالع أيضاً.

وإذا رغب القارىء معرفة المواضع التي يطلق عليها اسم «متالع» فما عليه إلا أن يرجع إلى معاجم البلدان القديمة وخاصة «بلاد العرب» للأصفهاني وتعليقات الشيخ حمد الجاسر على تلك المواضع المسماة بمتالع حيث حدد مواضعها تحديداً دقيقاً.

وكذا الرجوع إلى ماكتبه الشيخ حمد: عن دارة متالع ضمن مقال طويل في مجلة العرب (انظر الجزء الرابع من صفحة ٣٤٠ إلى صفحة ٣٤٤) حيث أوضح المواضع المسماة بمتالع وحدد أماكنها وماقيل حولها. وقد تكون المعركة التي حصلت حدثت في سفح أحدها، وأمر تحديد ذلك متروك للمتخصصين والباحثين في تاريخ الجزيرة العربية وماجرى فيها من أيام.

مناقشة الأقوال الواردة في «معجم بلاد القصيم» حول بعض النصوص القديمة التي تكلمت عن «إمرة»

أولاً ـ استرعى انتباه المؤلف التنقاض الحاصل بين النصين الذين أوردهما الهجري رحمه الله تعالى حيث يقول النص الأول: «والنتاءة بين سواج ومتالع، ومتالع عن يمين إمرة بينه وبين إمرة ثلاثة أميال».

ويقول النص الثاني: «ثم متالع: جبل أحمر، علم من الأعلام، حذاء إمرة عن يسار الخارج من البصرة» وكما عودنا الأستاذ محمد العبودي في تحقيقاته الكثيرة عن المواقع لايترك واردة ولاشاردة إلا عالجها بأسلوبه الخاص الممتع إلى أن يصل إلى تحقيق الموضع الذي يبحثه. مما جعله يتوقف عند هذين النصين المتضاربين بشأن تحديد علم واحد ومن قول عالم واحد، وهذا بلاشك شيء يدعو إلى الاستغراب مما يوحي أن في الأمر سراً.

وقد عالج المؤلف هذا الاختلاف بما يلي:

(ويريد بقوله: عن يمين إمرة بالنسبة إليه أي للهجري ولمن كان مثله مقيماً في المدينة المنورة فيمين إمرة معناه وقوعه إلى الجنوب من إمرة. ويؤيد ذلك ماذكره الهجري نفسه في موضع آخر... حذاء إمرة عن يسار الخارج من البصرة ويسار الخارج من البصرة يكون جهة الجنوب)[1].

المناقشة :

أقول إن هذا تحليل جيد لو أن هضبة «أم سنون» أسعفتنا بتطبيق هذه النصوص عليها، ولكن لما كانت حقيقتها وواقعها أنها ليست بمتالع المشار إليه فهي لن تتمكن من إسعافنا والأمر في نظري غير ذلك، فإن الحاج

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٣٩٩/١ .

لايمرون بين مايسمى حالياً بإمرة وهضبة أم سنون وإنما يتركونهما معاً على يمينهم على بعد ستة أكيال تقريباً لينفذوا مع ثنية الستار.

وحتى بالنسبة لما أقوله فلا زال التعارض بين النصين قائما.

فما هو ياترى القول الذي يتمشي مع واقع الأمر من القولين؟

أقول: إن النص الأول هو الأصح لأنه يوافق جميع النصوص الواردة حول الموضوع بغض النظر عن المكان الذي كان موجوداً فيه الهجري رحمه الله تعالى عندما قال هذا القول.

وعبارة «حذاء إمرة» لا غبار عليها، أما عبارة «عن يسار الخارج من البصرة» فهذه العبارة هي محل التساؤل لأنها تتعارض مع النص الأول وبالتالي تتعارض مع النصوص القديمة التي مرت بنا.

والذي أميل إليه أن صحة هذا النص «عن يمين الخارج من البصرة» أو «عن يسار الخارج من مكة» وكثيراً ما يحصل فى النصوص سقط، أو تصحيف، أو سبقة قلم من الناسخ.

وكمثال على ذلك انظر إلى النص الذي مر بنا ضمن النصوص التي أوردناها عن البكري رحمه الله تعالى في كتابه معجم ما استعجم حيث قال: «وخزاز في ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة».

فالصحة التي لايختلف فيها إثنان هي أن يقول: «على يسار طريق البصرة إلى مكة» لأن طريق البصرة إلى المدينة المنورة يبدأ من منزل «النباج» والحجاج الذاهبون إلى المدينة لايمرون بالقرب من خزاز فطريقهم شمالاً من طريق الحاج الذاهبين إلى مكة، وليس من المعقول أن يقرن خزازاً بطريق المدينة لبعده الشاسع مع أن طريق مكة يمر محاذياً له يتركه على يساره فعلاً.

ثانياً ـ وحول قول الزمخشري: إمرة: ماء لبني عميلة على متن الطريق.

وقال ابو زياد:

ومن مياه غني بن أعصر : إمرة من مناهل حاج البصرة .

يقول مؤلف معجم بلاد القصيم: (أقول: كلام الزمخشري وأبي زياد الكلابي عن إمرة يدل على أنها ماء والواقع أن إمرة جبل فيه ماء بل فيه مياه، والاسم هنا للإثنين، وكلام ياقوت بقوله: منزل يشملها)[1].

المناقشة :

تعليقي على كلام المؤلف هو: بما أنه استقر عنده سلفاً ما استقر عند العامة في وقتنا الحاضر أن إمرة هي ذلك الجبل الأحمر العظيم فلذلك استغرب قول الزمخشري، وأبي زياد: أنها مورد ماء، وكذلك قول ياقوت الحموي: إنها منزل فجميع تلك الأقوال لاتتناسب مع وصف إمرة المعروفة في وقتنا الراهن.

أما بالنسبة لي فأقول: إن جميع تلك النصوص القديمة صحيحة لاتحتاج إلى إدخال أي تعليلات عليها. لأن «إمرة» في واقعها وحقيقة أمرها مورد ماء ليس إلا.

وإذا أردنا أن نتساهل ونعطيها وصفاً جبلياً فلا نستطيع أن نمحنها أكثر من قول الأصمعي رحمه الله تعالى من حيث التسمية فقط حيث قال: «إنما سميت إمرة بآكام فيها شبهت بأولاد الضأن».

ولم يقل أحد من علماء البلدان والمؤرخين القدماء أن إمرة جبل، فجميع النصوص مع كثرتها تقول إنها مورد ماء، ومنزل من منازل حاج البصرة.

ثالثاً ـ أورد المؤلف تحت عنوان جانبي قوله:

أوهام :

(روى الحربي عن الأصمعي قوله: «إنما سميت إمرة بآكام فيها شبهت بأولاد الضأن، يقال للصغير منها أمر، وللصغيرة إمرة، قال التوزي:

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١/٤٠١ .

فسألت أعرابياً عما قاله الأصمعي، فقال ماصنع شيئاً إنما سميت إمرة لنماء المال فيها، يقال أمر بنو فلان إذا كثروا».

فإذا كان الأصمعي يريد تفسير قول امرىء القيس في الجب ذي الأمرات فذلك صحيح وهو خارج بحثنا، أما إذا كان يقصد أن إمرة سميت بذلك لوجود آكام فيها فإن هذا وهم، لأن إمرة جبل ذو هضاب حمر وسود كما سبق وصفه)[1].

انتهى النص وتعليق مؤلف معجم بلاد القصيم عليه.

المناقشة :

إن النص الذي رواه الحربي عن الأصمعي رحمهما الله تعالى واضح لا لبس فيه، وليس هناك وهم كما بدا للمؤلف، وفي نظري أن الأصمعي لو وهم في ذلك لما تابعه الحربي، بل إنه يوافقه على قوله هذا.

والأصمعي حينما قال هذا القول قاله والناس مازالوا يردون إمرة، ويعرفونها حق المعرفة، ولو افترضنا أن الأصمعي وهم في ذلك وتابعه الحربى في هذا الوهم فهل يفوت هذا على علماء البلدان والمؤرخين المعاصرين لهما أو من جاءوا بعدهما في العصور السابقة، ولعلي أتساءل هنا: هل ورد نص من النصوص في أي من معاجم البلدان القديمة يقول إن إمرة: جبل ذو هضاب حمر وسود؟! لا أظن ذلك ولم أقرأ شيئاً من هذا بل كلها مجمعة على أن إمرة مورد ماء، ومنزل من منازل حاج البصرة فقط، ومن يتجول حول آبار إمرة التي حددت موقعها سيرى الآكام المنتشرة في أرضها، وهي كما وصفها الأصمعي تشبه الضأن رابضة (أنظر إلى الصورتين رقم ٧٢ ـ ٧٣).

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٤٠٣/١ .

رقم (٧٢)

منظر أكمه تبدو للناظر من بعد كأنها غرفة مبنية من الطين
لكونها منفردة في فلاة مستوية، ويسميها سكان المنطقة «البويت»
ومن يدقق يرى بجوارها شويهات الأصمعي رابضة

رقم (٧٣)

منظر بعض الأكمات الصغيرة المنتشرة حول آثار آبار «إمرة»، وهي التي أشار إليها
الأصمعي، تلفت النظر بشكلها الغريب، ويبدو في الصورة «جبل الستار»

كشف النقاب عن وجه إمرة

بعد تجميع النصوص الشعرية وأقوال أصحاب المعاجم والمؤرخين القدماء، والنظر فيما قاله الباحثون في عصرنا الحاضر خرجت بصورة واضحة لحجم وشكل كل من إمرة، ومتالع.

ولا أخفي أنني أصبت بدهشة كبيرة عندما زرت المنطقة لأول مرة حيث سألت أحد سكان بلدة «الشبيكيه» الواقعة غرباً من متالع وشرقاً من جبل سواج، إذ سألت الرجل عن جبل متالع فلم يعرفه فسألته عن «أم سنون» فأشار إلى هضبة ليست بعيدة وقال: هذه «أم سنون».

وسألته عن الهضب الأحمر الكبير الواقع عنها شرقاً، فقال: هذه «أمره».

الصورة التي كنت رسمتها في ذهني من واقع قراءآتى إهتزت، وتولد لدي عدة تساؤلات:

كيف اختفى هضب متالع من هذه المنطقة؟ وكيف صارت «إمرة» جبلا عظيما ذو شلالات وأوشال مع أن حقيقتها غير ذلك؟

وكيف تحولت هضبة «أم سنون» المتوسطة الحجم في نظري إلى جبل عظيم ذو تلاع وعين خرارة؟ إلى آخر ماتولد لدي من تساؤلات..

من هذه التساؤلات جاءت الحاجة إلى افتراض السبب الذي غير من حقيقة تلك المعالم، وأحدث هذا التبادل العجيب فيما بينها، وإليك السبب الذي افترضته:

هو : أن متالعاً في العصور السابقة ـ والآن مختفياـ مجاور لإمرة، وإمرة أصبحت في عصر الإسلام الأول منزلاً من منازل حاج البصرة، فأخذ هذا المنزل شهرة لم يأخذها منزل من منازل الطريق.

وكأني بإمرة وقد أخذها العُجب بنفسها اتسعت عباءتها حتى أسدلتها على جارها «متالع» فأخفته عن عيون الباحثين في عصرنا الحالي، وأثناء بحثهم كانت تنظر اليهم من خلف نقابها وهم في حيرة من أمرهم.

وهناك في نظري سبب أقوى من هذا وهو: أن حاج البصرة وغيرهم من سالكي هذا الطريق إذا صدروا من منزل رامة وهم في طريقهم إلى مكة يتطلعون إلى المنزل التالي، وهو «إمرة» ولما كانت إمرة مورد ماء حوله أكمات صغيرة لاترى من بعد فإنهم يتطلعون إلى أكبر جبل بجوارها، وأكبر علم باتجاه إمرة قريباً منها هو «متالع» الذي يشاهدونه حالما يصدرون من رامة فيشيرون إليه بقولهم: هذه إمرة، وكذلك عندما يعود الحاج من مكة المكرمة بعد قضاء مناسك حجهم ويصدرون من منزل «طخفة» فكأني بالمُخَدَّراتِ في هواد جهن على ظهور الإبل وقد سئمن طول الطريق يسألن مرشدي القافلة: هل إمرة بعيدة؟ فيشيرون إلى الجبل الأحمر الكبير أمامهم «متالع» هذه إمرة بمحاذاة هذا الجبل «أنظر إلى الصورة رقم ٧٤» لترى بركة منزل طخفة».

رقم (٧٤)

منظر بركة منزل «طخفة» وهي مدورة الشكل ومدرجة لم يتبين من درجاتها سوى درجتين وهي بلاشك عميقة، ويوجد بجوارها عدد من الآبار وخزانات المياه مازالت بحالة جيدة

ولكل ما تقدم يمكنني أن أقول إنه حان الوقت لطرح نقاب إمرة ليبدو وجهها الحقيقي الذي أخفته عن الناس ردحاً من الزمن لنتمكن من إزاحتها إلى مكانها الطبيعي جنوباً من هضب متالع بقدر ثلاثة أميال لتحل مكان مايسمى حاليا بـ «الركا» فهناك آبارها، وآثارها القديمة ولكي يتمكن أي باحث من تطبيق النصوص الواردة بشأنها بعد نقلها إلى مكانها الصحيح دون حدوث أي تعارض بين تلك النصوص.

وإذا أردنا أن نطبق عليها النصوص القديمة فلن نجد نصاً واحداً يتعارض مع الاجراء الذي اتخذناه بشأنها بل إن جميع النصوص تنطبق تمام الانطباق وليس في ذلك غرابة إذ أن هذا هو الوضع الصحيح.

فهي كما وصفها الأقدمون لنا: «منزل في طريق مكة من البصرة بعد رامة إلى جهة مكة»، وهي منهل كما يقول الزمخشري: «إمرة: ماء لبني عميلة على متن الطريق».

وهي مورد ماء كما يقول أبو زياد: «ومن مياه غني أبن أعصر إمرة من مناهل حاج البصرة».

وهي منزل كما يقول السمهودي: «إنها منزل من منازل الحاج العراقي به آبار كثيرة طيبة».

وعندما نزيح إمرة إلى مكانها الصحيح فسنرضي أبا علي الهجري رحمه الله إذ أننا أخذنا بتحديده الدقيق لموقع إمرة حيث أفادنا بقوله: «بين الستار وإمرة من فوقها خمسة أميال».

ويقول في موضع آخر: «ومتالع عن يمين إمرة بينه وبين إمرة ثلاثة أميال».. وجميع النصوص الواردة حول إمرة وصفتها بأنها آبار ماء وليست جبلاً أحمر، ذو تلاع وعين خرارة، وبإمكان أي مهتم بتاريخ المملكة وجغرافيتها أن يزور المنطقة بنفسه على الطبيعة ليتأكد له أن ماقلته يتمشى مع الواقع الصحيح لتلك الأعلام.

ومـوقع إمـرة الآن واضح فـمـا على من يقـصـدها إلا أن يسلك الطريق الخـارج من بلدة «دخنة» إلى «الشبـيكية» و عندما يقـرب من جـبل السـتـار «الربوض» الذي ينفـذ الطريق مع ثنيـة منه ينعـرج طريق فـرعي باتجـاه الشـمـال قاصـداً قـرية «الدحلة» بعد السـير على هذا الطريق الفـرعي ثلاثة أكيال تقريباً يتوقف ويتجه ببصره إلى القبلة على الدرجة (٢١٠) أي باتجاه الغـرب مع ميل إلى الجنوب، حينئذ سـيشـاهد آبار «إمـرة» وآثارها أمامـه بجوار الطريق على ضفة الوادي الغربية وعددها ست آبار مطمورة ماعدا واحـدة وهي الجنوبيـة فـمازالت فـوهتـهـا واضـحـة المعـالم. ومن يدقق النظر سـيشـاهد أسـاسـات المبـاني غربا من الآبار قـريبـة منها. والواقف في هذا الموضع ووجـهه ناحية القبلة يرى أمامه جبل السـتـار على بعد عشـرة أكيال تقريباً «خمسة أميال» وهضب متالع بمحاذاته يميناً أي جـهة الشـمال على بعد ستة أكيال تقريباً «ثلاثة أميال».

خلع عباءة إمرة عن جبل متالع

بإزاحتنا إمرة إلى جهة الجنوب عن موقع متالع لاشك أنها ذهبت وهي تجرجر عباءتها من خلفها بحيث انحسرت عن جبل متالع الذي غطته فترة من الزمن فاصبحنا نشاهده هضباً أحمراً كبيراً يقع شرقاً من جبل سواج وبلدة الشبيكيه «النتاءه قديماً»، وغربا من جبلي «خزاز» و«كير»، وشمالاً من منزل «إمرة» المسمى حاليا «الركا»، وجنوباً من «الخشيبى» وهذا بلاشك موضعه الصحيح الذي وصفه لنا الأقدمون.

إن هضب متالع مستطيل من الجنوب إلى الشمال ـ كما مر بنا وصفه سابقاً ـ إذا دخلته مع وادي «الناصفة» الذى يقسمه إلى قسمين وقطعت مايقارب ثلثي هذا الهضب التفت يميناً لترى تلعة كبيرة في مدخلها أثل وفي وسطها نخل، ثم سر قليلاً والتفت على يمينك أيضاً فستشاهد تلعة أخرى أكبر من الأولى ترى رؤوس النخل في أعلاها «أنظر الصورة رقم ٧٥».

إذا صعدت إلى تلك التلعة وهي حديثة عهد بأمطار وسيول فسترى المياه تجري من بين الصخور تسمع لها خريراً وفي وسط التلعة عدد من النخل المهمل والنباتات التي تغطي مجاري المياه «أنظر إلى الصورة رقم ٧٦».

وإذا صعدت قليلاً فستنقسم التلعة إلى قسمين الأيمن منهما تشاهده كواد كبير مقبل من مسافة بعيدة، كأنك تشاهد وادياً على سطح الأرض نظراً لاستوائه وعدم ملاحظة الانحدار الشديد مثل التلاع الأخرى. «أنظر إلى الصورة رقم ٧٧».

وكأني بياقوت الحموي شاهد تلك التلعة وواديها القادم من البعد على مد البصر من أعالي الجبل وذلك حينما علل لنا تسمية «متالع» في النص الذي مر بنا، وهكذا تلعتنا هذه إنها تأتي من البعد من المواضع العلية كواد

رقم (٧٥)
منظر «العين الحرارة» ويطلق عليها سكان المنطقة اسم «الشلال» يقع في جبل متالع
ويصب عندما يسيل في وادي الناصفة

رقم (٧٦)
منظر لجانب من التلعة التي تغذي الشلال أو «عين متالع الحرارة»

منحدر نراه وقد حفر في الأرض أخدوداً عند نزوله، وعندما صعدت إلى تلك التلعة لأول مرة كان الجو حاراً ولم تهطل أمطار إلا من فترة ليست بقصيرة ورغم ذلك فالماء ينساب في المجرى ويتجمع تحت الصخور الكبيرة التي أعد الناس في ظلالها موانع ترابية ليتجمع الماء في أكثر من موقع.

رقم (٧٧)

منظر الوادي الموجود في أعلى الجبل يغذي تلعة الشلال بالمياه وهو يأتي من البعد ومن أعالي الجبل وهو يرى مثل واد على سطح الأرض ومنه تسيل الأوشال والعين الخرارة

أما إذا كانت التلعة حديثة العهد بأمطار قوية فإن المياه تنزل منها بغزارة ويسمع لصوتها خريراً، ولذا سماها أسلافنا «العين الخرارة»، أما أهل المنطقة في وقتنا الحاضر فيسمونها «الشلال» وفي هذا الوقت يكثر زوارها وخاصة طلاب المدارس.

إن هذا بلاشك جبل متالع الذي تغنى فيه صدقة ابن نافع وتمنى رجوع أيامه فيه عند هاتيك الأوشال والظلال.

ولو أستعرضنا جميع النصوص التي قالها العلماء الأقدمون والتي مر ذكرها معنا في هذا البحث لوجدناها جميعاً تنطبق تمام الانطباق على هذا الجبل وصفاً وموضعاً فهو كما قالوا: جبل أحمر عظيم علم من الأعلام حذاء إمرة.

وإذا ماشاهدنا جبل متالع المسمى في وقتنا الحاضر «إمرة» ندرك مدى انطباق النصوص عليه دون أن نضطر إلى الشك في تلك النصوص أو توهيم بعضها. (أنظر إلى صورتي جبل أو هضب متالع الصورتين رقم ٧٨، ورقم ٧٩).

رقم (٧٨)

منظر جانب من هضب «متالع» وهو الجانب الذي يلي مغرب الشمس وترى هضبة أم سنون قبلة هذا الهضب، كما تبدو أيمن الصورة

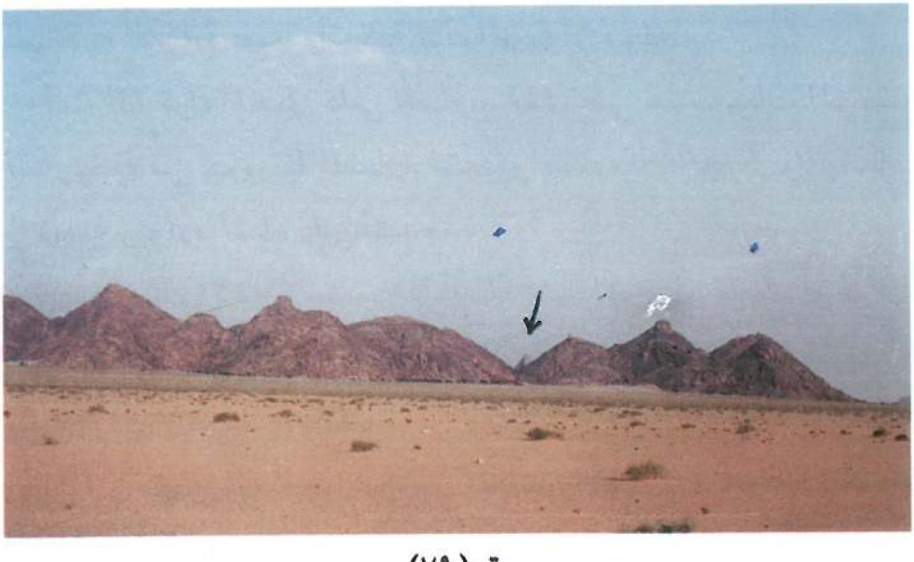

رقم (٧٩)

منظر لجانب من شمالي هضب «متالع» ويبدو في الصورة رأس هضبة أم سنون يطل من خلال رؤوس هذا الهضب - انظر إلى السهم.

كلمة أخيرة :

لكل ما تقدم أظن أنه قد اتضح لنا حقيقة كل من «إمرة» و«متالع» وكذا موقعهما الصحيح.

ولعلي أتساءل وقد يشاركني القارىء: هل يمكن بعد التيقن من أن ماتوصلت إليه هو الصواب أن يتم تغيير هذين المسميين وتسمية كل موضع باسمه التاريخي القديم؟

وكذلك تغيير أي موضع يتوصل إلى حقيقته أي باحث غيري، وذلك فيما إذا ثبت بما لايدع مجالاً للشك أن ماتوصل إليه هو عين الصواب.

ولكن قد يتولد من هذا التساؤل سؤال مفاده:

من هي الجهة التي منوط بها تصحيح مثل تلك الأمور؟ هذا ما لا أستطيع الإجابة عليه، وأتركها لتلك الجهة إن وجدت.

أما إذا ترك الحبل على الغارب فقل على مسميات المواضع التاريخية في جزيرتنا السلام فتغيير مسميات الجبال والهضاب والأودية وموارد المياه على أشده.

وبعض تلك الأعلام سميت بأسماء أشخاص، أو قبيلة، أو نبات، فنجد مثالاً على ذلك: هضب آل فلان، هضبة فلان، أبو قتاد، أم سرحة، أبو هضيد، وهكذا..

وإذا استمر هذا الحبل مفلوتاً فستبدل مسميات مواضع كثيرة على مرأى ومسمع من المؤتمرات الجغرافية التي تعقد بين حين

وآخر، ومن جمعيات الجغرافيا، والأقسام المتخصصة فى جامعاتنا ولعل في قولي هذا تحريكا لهمة ذوي الاختصاص، المناط بهم المحافظة على تاريخ وتراث بلادنا.

أرجو أن يكون فيما قدمت فائدة تذكر وأني هديت إلى الحقيقة التي كنت أنشدها. وهي بلاشك مطمع من سبقوني في ذلك.

وماتوفيقي إلا بالله هو حسبي ونعم المستعان وصلى الله على بنينا محمد وآله وصحبه ،،

الفهـــــــــارس

١ ـ فهرس : محتويات الكتاب

٢ ـ فهرس : المصادر والمراجع

٣ ـ فهرس : الأماكن

٤ ـ فهرس: الخرائط، وصور الجبال والأماكن

فهرس محتويات الكتاب

تمهيد : ٥

الموضع الأول :

هضب القليب . ١٤

رأي مؤلف كتاب «صحيح الأخبار» حول هضب القليب، ومناقشته. ١٨

رأي مؤلف كتاب «معجم عالية نجد» حول هضب القليب، ومناقشته. ٢٠

النصوص الواردة في معاجم البلدان القديمة حول «هضب القليب». ٢٥

تمهيد الطريق أمام الرحلة الميدانية. ٢٨

الرحلةالميدانية. ٣٠

بين «هبا» ومهد الذهب . ٣٨

الاتجاه إلى هضب القليب . ٤١

الرحلة الميدانية الثانية ٤٧

عودة إلى رأي كل من الشيخين : محمد بن بليهد، وسعد بن جنيدل . ٥٠

طخفة ليست «هضب القليب» . ٥١

مدى انطباق النصوص القديمة على هضب القليب . ٥٦

جدول يحتوي على مقارنة ماورد في بعض المصادر التاريخية حول تسلسل أحداث «داحس والغبراء» . ٦٣
المواضع الواردة في الروايات التاريخية ومدى علاقتها بهضب الدياحين بعداً وقرباً . ٦٤
تحديد المواضع التي جرت فيها المعارك بين قبيلتي عبس وذبيان وأهم تلك المواضع «جفر الهباءة» . ٦٨
تحديد «نجد»، ومايسمى بأرض «الشربة» - حدود نجد . ٧٨
حدود أرض الشربة . ٨١
بيت الشعر الذي جَرَّ «هضب القليب» إلى شط «الجرير» . ٨٥
ماذا تعني كلمة «المُضَيَّح» ؟ ٨٩
مدى انطباق النصوص الواردة على هضب الدياحين ٩٣
الخلاصة ٩٨

الموضع الثاني :

أطلال خولة ١٠٢
تحديد مؤلف «معجم عالية نجد» لمكان «ثهمد» . ١٠٣
تحديد مؤلف «صحيح الأخبار» لمكان «ثهمد» . ١٠٦
مناقشة النصوص التي أوردها مؤلف «معجم عالية نجد» . ١٠٨
النصوص التي اعتمد عليها مؤلف «صحيح الأخبار» . ١١٦
«شِرْثَةُ» وبرقتها وتعريف البرقة . ١١٨
«شِرْثَةُ» تفقد برقتها . ١٢١

النص المرشد إلى «ثهمد» والرحلة الميدانية الأولى . ١٢٥
الرحلة الميدانية الثانية ونتائجها . ١٢٧
تساؤلات قد تبدو للقارىء . ١٣٤
هضبة «فَتْخَة» ومدى انطباق النصوص عليها . ١٣٧

الموضع الثالث :

إجلاء الخنافس عن وضح الحمى . ١٤٢
«قُطَيّات» في كتاب «صحيح الأخبار» . ١٤٣
«قطيات» في كتاب «معجم عالية نجد» . ١٤٣
هل «أم المشاعيب» هي «قطيات» ؟ ١٤٥
قطيات لازالت في أفحوصاتها . ١٤٨
النصوص في المراجع القديمة . ١٤٩
الزيارة الميدانية للأقعس وماجاوره . ١٥٣
كيف تحولت القطيات إلى خنافس ؟ ١٦٨
تشابهت الخنافس علينا . ١٧١
مدى انطباق النصوص القديمة على قطيات بعد عودتها . ١٧٣
كلمة أخيرة موجهة إلى الجمعية الجغرافية بجامعة الملك سعود بالرياض . ١٧٧

الموضع الرابع

خَفَا ، وخُفَافُ : ١٧٩
بحث ضمن رسالة . ١٨٢

المنقعة التي دَفَّتْ عليها عقاب ضرية . ١٨٣
«خَفَا» ليست «خُفَافاً» . ١٨٥
البلدانيون وبيت الراعي النميري . ١٩١
محاولة الإقتراب من مكان خفاف . ١٩٤
الخلاصة . ١٩٩
الموضع الخامس :
معدن الأحسن ٢٠٢
معدن الأحسن ومؤلفو عصرنا ٢٠٤
مناقشة رأي مؤلف «معجم عالية نجد» ٢٠٧
العثور على موقع معدن الأحسن ٢١٠
مناجم «عَطِيَّة» وماحولها ليست «معدن الأحسن». ٢١٥
مدى انطباق النصوص القديمة على معدن «الذُّرَيِّعَيْن» . ٢١٧
تحقيق وادي «الرمادية» وماء «الهمجة» وأن اسميهما قديماً
«وادي الجذاة» وماء «الجَذَاةِ» ٢٢٤
معدن الكَوْكَبَةِ . ٢٣٠
معدن «الكوكبة» لازال في مكانه ببلاد بني نمير شرقي جبل
«ثهلان» . ٢٣١
تحديد قرية «معدن العيصان» ٢٣٥
تحديد معدن «الكوكبة» . ٢٣٧
الخلاصة ٢٤٤

الموضع السادس :

الجبل المتخفي بعباءة جارته ٢٤٦

أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر حول «مُتَالِع» . ٢٤٧

أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر عن «إِمَّرَةَ» . ٢٥١

ماذا قال العلماء القدماء عن جبل «متالع» وعن «إمرة» ؟ ٢٥٣

الرحلة الميدانية . ٢٥٨

مناقشة الأقوال الواردة في «معجم بلاد القصيم» حول بعض النصوص القديمة المتعلقة بـ «متالع» . ٢٧٢

مناقشة الأقوال الواردة في «معجم بلاد القصيم» حول بعض النصوص القديمة التي تكلمت عن «إِمَّرَةَ». ٢٧٦

كشف النقاب عن وجه إِمَّرَةَ . ٢٨١

خلع عباءة «إمرة» عن جبل «متالع» . ٢٨٥

كلمة أخيرة . ٢٩٠

المصادر والمراجع

١ ـ الأمكنة والمياه والجبال: لمحمود بن عمر الزمخشري. تحقيق الدكتور إبراهيم السلعراني.
مطبعة السعدون / بغداد .

٢ ـ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع : بقلم حمد الجاسر. منشورات دار اليمامه/ الرياض
الطبعة الأولى .

٣ ـ بلاد العرب : الحسن بن عبدالله الأصفهاني . تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي .
نشر دار اليمامة / الرياض . الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

٤ ـ تهذيب الصحاح : محمد بن أحمد الزنجاني . تحقيق عبدالسلام محمد هارون وأحمد عبدالغفور عطار . دار المعارف.

٥ ـ كتاب الجوهرتين العقيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء : الحسن بن أحمد الهمداني. أعده للنشر حمد الجاسر، مع إضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٦ ـ حلم في نجد : علي الطنطاوي : نشر دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام بالرياض. الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م .

٧ ـ كتاب الخيل : لعبدالله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق محمد العربي الخطابي. دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٨ ـ خزانة الأدب : عبدالقادر البغدادي . تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ـ الطبعة الثانية ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ نشر مكتبة الخانجي/ القاهرة ـ سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٩ ـ شرح ديوان عنترة : الناشر دار الكتب العلمية / بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٠ ـ ديوان ابن مقبل : تحقيق الدكتور عزة حسن ـ طبع إحياء التراث القديم / دمشق سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م .

١١ ـ ديوان الراعي النميري : إصدار المعهدالألماني للأبحاث الشرقية / بيروت عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١٢ ـ سيرة بن هشام : لأبي محمد عبدالملك بن هشام. مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة حجازي بالقاهرة .

١٣ ـ شعراء بني عقيل وشعرهم : الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ ـ طبع شركة العبيكان / الرياض .

١٤ ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار : محمد بن بليهد ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

١٥ ـ صفة جزيرة العرب : لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب

الهمداني. نشر دار اليمامة/ الرياض سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
تحقيق محمد بن علي الحوالي ، أشرف على طبعه حمد الجاسر.
١٦ - العقد الفريد : ابن عبد ربه . تحقيق محمد سعيد العريان . نشر دار الفكر .
١٧ - العرب : مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري، تصدر عن دار اليمامة/ الرياض .
١٨ - على ربى نجد : عاتق بن غيث البلادي . دار مكة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
١٩ - فارس بني عبس : حسن عبدالله القرشي. دار العلم للملايين. الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣ م .
٢٠ - القاموس المحيط : الفيروز آبادي .
٢١ - الكامل في التاريخ : لابن الأثير . نشر دار الفكر/ بيروت سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٢٢ - لسان العرب المحيط : ابن منظور . أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط نشر دار الجيل، ودار لسان العرب ببيروت . سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٢٣ - معجم البلدان : ياقوت الحموي . نشر دار بيروت للطباعة والنشر. طبع سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٢٤ - ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه : محمد بن بليهد . تحقيق الدكتور / محمد بن حسين ـ مطابع الإشعاع سنة ١٤٠٢هـ .

٢٥ ـ معجم عالية نجد ـ أحد أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ سعد بن عبدالله بن جنيدل . منشورات دار اليمامة/ الرياض طبع سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٢٦ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : للبكري . تحقيق مصطفى السقا . نشر عالم الكتب / بيروت ـ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٢٧ ـ مجمع الأمثال : للميداني. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٨ ـ معجم معالم الحجاز : عاتق بن غيث البلادي . الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م للجزء الأول .

٢٩ ـ النقائض ـ نقائض جرير والفرزدق : أبي عبيدة معمر بن المثنى. طبع في مدينة ليدن . مطبعة ابريل سنة ١٩٠٧ م .

٣٠ ـ نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس : بقلم حمد الجاسر . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

٣١ ـ المغانم المطابة في معالم طابه : يعقوب الفيروز آبادي. تحقيق حمد الجاسر. نشر دار اليمامه / الرياض الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٣٢ ـ كتاب «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة : للحربي، تحقيق حمد الجاسر. نشر دار اليمامة/ الرياض . الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٣٣ ـ كتاب المعارف : لابن قتيبة . نشر دار الكتب العلمية / بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .
٣٤ ـ المجاز بين اليمامه والحجاز : عبدالله بن خميس . نشر دار اليمامه / الرياض سنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .
٣٥ ـ معجم بلاد القصيم : محمد بن ناصر العبودي ـ مطابع الفرزدق . الطبعة الثانية ـ سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .
٣٦ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر) : حمد الجاسر . نشر دار اليمامه / الرياض .
٣٥ ـ وفاء الوفاء : للسمهودي. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. دار إحياء التراث العربي/ بيروت . الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

فهرس الأماكن

(أ)

الأباتر ١٩٢ ، ١٩٤، ١٩٥.

أبان ٦١، ٨٣.

أبان الأحمر ٢٤٩، ٢٥٠ .

أبانان ٢٥٢ .

أبرق العزاف ٧١ .

أبو جلال ١٢٧.

أبو ركب ٤٣، ٩٣، ١٢٧.

أبو عقارب ٩٧.

أبو قتاد ٤١.

أُبْلَى ١٨، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٨٠، ٨١ .

أثال ١٩٦.

إثبيت ١٩٢، ١٩٤.

أجأ ٢٠٠ .

الأحاسن ٢٠٣، ٢١١، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١.

أحد ٩.

الأحسن ١٥١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٧، ٢١٨.

الأخرجين ٥ .
أرطاوي حليت ١٢٧ .
الأريض ١٤٢، ١٤٩ .
أسود البرم ٧٢ .
الأسياح ١٩٧ .
الأسوده ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٨٧ .
الأشعرية ١٧٧ .
أشقر البراقة ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩ .
أضاخ ١١٤، ٢٠٢، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩ .
الأعبدة ١٨٨ .
أُفَيْعِيَة ٣١، ٣٢ .
الأقـعس ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٦، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩ .
إمَّرَة ١١، ٥٤، ١١٤، ١١٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥ .
أم احجول ٢٢٠ .
أم الدَّمَار ٤٩، ٩٦ .
أم ردهه ١٦٤ .
أم رقيبة ٢٢٠ .

أم سنون ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨١ .
أم قبعة ١٥٩، ١٦٠ .
أم لِدّام ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧ .
أم المشـاعـيب ١٢١، ١٢٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٠، ١٧٧ .
الأناصر ١٤٠ .
الأنسر ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١١٣، ١٤٠، ١٨٣ .
الأنعمين ١٩٥، ٢٤٨ ، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٧٣ .

(ب)

البتر ١٩٥ .
البتراء ١٩٥ .
البجاديّة ١٥٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٤٠ .
البدائع ٢٥٨ .
بدائع ابن نجم ١٣٠ .
البدي ١٠٥، ١١٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ .
البردان ١٧٢ .
برقة ثهمد ١٠٢، ١١٣ .
برقة الخرجاء ٢١٨، ٢٢٠ .

البصرة ٧١، ١١٥، ١١٩، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٧٨ .
بطن نخل ٧٠، ٧١، ٧٩، ٨٠، ٨٣ .
بطن عاقل ٦، ٢٦٠ .
البكرات ١٢٦، ١٣٧، ٢٠٩ .
البكرة ٢٠٩ .
البكري ١٢٦ .
بئر معونة ١٤، ٨٠، ٨١ .
بيضان ٢٣، ٧٣، ٧٥، ٧٧ .

(ت)

التسرير ١٢٦، ١٨٧، ٢٢٦ .
تمرة ٢٣٠ .
تهامة ٧٨، ٧٩ .

(ث)

الثغر ١٩٦ .
ثهلان ٩، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢ .
ثهمد ١١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ١١١،

١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٨٨ .

(جـ)

جبلة ٦١، ٦٣، ١١٤ .

الجبلين ٥٨ .

الجحفة ٧٩ .

الجذاة ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨ .

الجرعاء ١٩٢، ١٩٤ .

جُزْجُزْ ٥٢، ٥٣ .

الجريسية ٦٥ .

الجريب ٢٣، ٨٢، ١٩٢ .

جفر الهباءة ٢٤، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٧٢، ٧٤، ٧٩، ٨١، ٨٤، ٩٨ .

جلذية ١٩٩ .

(ح)

حائل ١٨٨ .

حبر ٢٠، ٢١، ٢٢، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠ .

حُبَيّ ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦ .

الحـــجـــاز ٢٣، ٢٤ .٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٤، ١٤٨، ١٨٧، ٢٢٠، ٢٢٦ .
حَجْر «اليمامة» ٢٣٤. ٢٣٥ .
الحجون ٣٤ .
حديجة ١٣٧ .
حرة بني سليم ٣٢، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٣ .
حرة خيبر ٨٣ .
حرة رهاط ٨٣ .
حرة كشب ٨٣ .
حرة ليلى ٧٩ .
حزم الدواسر ٢٣٥ .
حزم العيصان ٢٣٤، ٢٣٥ .
حزيز أضاخ ١٠٦، ١١٤، ١١٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥، ١٣٧، ٢٣٥ .
حزيز غني ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١٢٥، ١٣٧ .
حزيز محارب ٨٢ .
حسو عَلْيَا ٢٤، ٦٩ .
حُظَيَّان ٢٠٢ .
حفير الضبيب « معدن » ٩٥، ٩٦ .
حفيرة خالد ١٥٠، ١٧٦، ١٧٧ .
حليت ١٠٦، ١٠٩، ١١٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٧، ٢١٠، ٢٥٢ .

حمى الربذة ٧٢ .
حمى ضرية ٨، ١٢، ١٠٣، ١٠٧، ١١١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٤، ١٧٣، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٨، ٢٠٣، ٢١٧، ٢٥٦ .
حـمـة ذريع ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٤٤.
الحناكية ٧١ .
حنين ١٤. ٧٣ .
حوران ١٥٠ .
حوضى ١٩٦ .
حومل ٨، ٥٨، ٦٠ .
حيد الردامي ١٠٥، ١٠٦، ١١٧ .

(خ)

الخاثرة ٦٣، ٦٧، ٧١ .
خـزاز ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٥ .
الخشيبي ٢٥١، ٢٨٥ .
الخصافة ١٢٦ ،
الخضرمة ٢٠٥ ،
خَفَا ١٠٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣ .

خُفَاف ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩ .
خُف ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١ .
خفيف ١٨٧ .
الخنافس ١٢، ١٤٢، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣ .
الخنفسيات ١٤٨، ١٥٥، ٧٠، ١٧١، ١٧٢ .
الخنفسية ١٥٥، ١٦٨، ١٧٠ .
خنوقة ٢١٨ .
الخوار ٢٠٥ ، ٢١٠، ٢١٥ ، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٩ .
خيَم ١٨٧، ١٩٩ .

(د)

دارة هضب ٩٧ .
دارة هضب القليب ٩٧ .
الدثينة ٢٢٢ .
الدحلة ٢٦٧ ، ٢٨٤ .
دُحَيْضَة ١٠٥، ١١٦، ١٣٨، ١٣٩ .
دخنة ١٠٧، ١١٥، ١٢٧، ١٣٨، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٤ .
الدخول ٨، ٥٨، ٦٠ .
درب زبيدة ٣٠، ٣٢ .
دغانين ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٧٦ .

الدمخاء ٤١ .
الدهناء ٦، ٨ .
الـــدوادمـــي ١٠٢، ١٠٧، ١٥٤، ١٨٧، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٤ .
دومة ٣٤ .

(ذ)

ذات الأباتر ١٩٤ .
ذات الاصـاد ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤٩، ٥١، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٨١، ٩٣، ٩٤ .
ذات الجراجر ٦٣ .
ذات أو ذو «حُسىً» ٢٣، ٢٤، ٢٩و ٦٠، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٩، ٩٨ .
ذات عرق ٧٨، ٧٩ .
ذات فرقين ١٢٦، ١٣٨ .
ذُرَيّع ٢١٨، ٢٢٨ .
الذُرَيَّعَيْن ٢١٠، ٢١٥، ٢٦٥، ٢٢٣، ٢٢٥ .
ذو أثول ١٧١، ١٧٢ .
ذو بقر ٦٣، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٩٨ .
ذو الجذاة ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٨ .
ذو عثث «ذو غَثث» ١٤٨ .
ذو نبق ١٩٧ .
الذئبة ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧ .

(ر)

رامة ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٣ .

الرائغة ٥٤، ٢٤٨ .

الربذة ٦٠، ٦١، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٩، ٨٢ .

الربوض ١١٤ ، ٢٨٤ .

الرجام ١١٥ .

الردهة ١٧ ، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٤٦، ٤٧. ٩٤ .

الرس ١٩٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧ .

الركاء ٢٦١، ٢٧١، ٢٨٣ .

رمرم «جبل» ٣٩ .

رميلة اللوى ١٧٥ .

روضة الأدحال ١٩٦ .

ررضة حمام ١٩٧ .

روضة صبير ٧٥ .

روضة مطربة ١٨٧ .

الرياض ٦، ٩، ١٠٢، ١٠٧، ١٥٤، ٢٢٠، ٢٢٦ .

ريق البنات ٢٢٠ .

الريان ١١٤ .

(ز)

الزباء ٨٢ .

الزور «جبل» ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٧٦ .

(س)

السبتاء ١٩٥ .

الستار ١٠٤، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١٣٨، ١٧٤، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٧، ٢٨٣ .

السدرية ٢٠٦، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٤ .

السر ٢٤٠ .

السرير ٢٥٤ .

سقط اللوى ٨، ٦٠ .

السليل ٢٣٠، ٢٣١ .

السليلة ٨٢ .

سمراء ملفي ١٢٨ .

سمرة ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤١ .

سواج ٥٤، ٨٨، ١١٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٦ .

السوارقية ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٧٣، ٧٦ .

سويقة ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٥، ١٣٧ .

(ش)

الشام ٧، ٩ .
شجان ١٢٦ .
الشبيكية ١١٥ ، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥ .
الشرائع ١٤ .
الشـربة ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٤٧، ١٨٦، ١٨٨.
شـــرثة ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٤٧، ١٨٦، ١٨٨.
شرج ١٩٧ .
شطب ضيدة ١٩٧ .
الشطون ١٥٠، ١٥٤، ١٧٦، ١٧٧ .
شــعب الحــيس ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٩٥، ٩٧، ٩٩.
«الشعب» شعب الشموسين ٨، ٢١، ٥١، ٥٢، ٥٣ .
شُعَبي ١٧١ .
شِعْر ١١٣، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ٢٠٩ .
شقراء ١٩٥ .
الشقب ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٩٩ .

الشقيقة ١٩٨ .
الشهيبية ١٨٧ .
شواحط «جبل» ٣٩ ، ٥٧ ، ٧٣، ٨٤، ٨٥ .
الشوكي ٩ .
الشيماء «هضبة» ٥٤ .

(ص)

صاحة ١٤٠ .
صارة ١٤٠ .
صبيح ١٩٥ .
الصحن ٧٣ .
صفاة الدارة ٤١، ٩٧ .
صفينة ٣١، ٣٤، ٣٨، ٧٩ .
الصمان ٦، ٨ .

(ض)

ضارج ١٤٩، ١٧٤، ١٧٥ .
ضرية ٢١، ٥٢، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٤، ١٥١، ١٧١، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٥٦ .

الضمر والضائن ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨ .
الضمرين ٥ .
ضيدة ١٩٧ .
ضئيدة ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧ .

(ط)

الطائف ٥٢، ١٠٢، ١٠٧، ١٥٤ .
طخفة ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٨٥، ٨٦، ٩٨، ١٠٨، ١١٨، ١٣٥، ٢٤٨ .
طمية ١١٨ .
الطوي ١٤٠ .
طويق ٢٣٠ ، ٢٣٩ .

(ظ)

الظاهرية ٢٦١ ، ٢٦٣ .
الظهران ٦ .
ظهر المعنقة ٧٢ .

(ع)

عاقل ١٤٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٧٧ .

عالج ٩٧ .
العثاعث ١٤٨ .
عدنة ٨٢ .
العذق ٦٣ ، ٦٧، ٦٨ .
العذيب ٧٨، ١٧٤ .
عراعر ٦٣ .
عرجة ١١٤ .
العرج ٧٨ ، ٧٩ .
العرائس ١٠٣، ١٤٣، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٧٦، ١٨٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩ .
العراق ٣٩، ٧٨، ٧٩، ٩١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦ .
العريض ١٤٩، ١٧٥ .
عريق الدسم ١١٣، ١٧٤، ١٧٥
عسعس ١٣٤، ١٣٥ .
عسفان ٧٩ .
عشيرة ٣١ .
عطية ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٥ .
عفيف ١٠٢، ١٠٧، ١٥٤، ٢٠٤ .
العقيقة ٦٣، ٦٧، ٦٩ .
عقلة الصقور ٨٣ .

عكاش ١٨٨، ١٩٧، ٢٢٢ .
العلكومة ٢٢٢ .
عنيزة ٩١ .
عماية ١٤٠ .
عمود الكود ١٨٦، ١٨٩ .
العويصي
العويند ١٨٨ .
العيصان ٢٠٣. ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠ .

(غ)

عثاة ١٤٨ .
غار ذريع ٢٢٠ .
غدير قلهى ٦٣ .
غسل ٢١٤ .
غمرة ٣٠، ٣١، ٧٨، ١٩٢، ١٩٥ .
غول ١٠٩ ١١٥، ١١٨، ١٢٦، ١٣٧ .

(ف)

فَتْخَة ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠ .

فتك ١٩٩ ، ٢٠٠ .
فريقين ١٢٧ ، ١٣٨ .
الفروق ٦١، ٦٣ .
فلج «الافلاج» ١٩٥، ٢٤٠ .
فيضة الأشعرية ١٦٠ .

(ق)

القادسية ٣٢ .
القاعية ١٠٢، ١٠٣، ١٠٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨ .
قاع السوارقية
القريتين ١٨٨، ٢٥٥ .
القشيعين ١٩٥ .
القصيم ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٧٩، ١٠٧، ١١٤، ١٤٠، ١٩٧، ١٩٩، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٢ .
القطبيات ١٥٠، ١٥١، ١٥٥ .
قطن ٦٣، ١٧٤ .
قُطَيّات ٨، ١٢، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨ .
قلهى ٣٤، ٨٥ .
القهب ٧٢ .

(ك)

كبد منى ١٢٧، ١٣٧ .

كبشان ١٢٦ .

كبشات ١٣٥، ١٣٧، ١٤٤، ١٥١، ١٥٤، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩ .

كبيس ١٩٢، ١٩٤ .

الكراكر ١٩٢ .

كشب ١٨ .

الكواكب ١٥٠ .

الكود ١٤٣، ١٥٥ .

الكوفة ١١٩ .

كوير ٢٥٤ .

كـيـر ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٥ .

(ل)

لبنان ٧ ، ٩ .

اللقاطة ٦٧ .

لوذان ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨.

اللوى ١٤٢، ١٧٤، ٢١٨ .

(م)

ماوان ٦١ .

متالع ٦، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥.

مثقب ١٩٥ .

محضورا ٢٠٥ .

المدينة ٩، ٣٠، ٣٢، ٥٧، ٧٠، ٧١، ٧٨، ٨٠، ٨٥، ٢٢٨، ٢٥٤، ٢٧٧ .

مِذْعَى ١٨٥ ،

المذنب ١٩٨ ،

مرأة ٢٠٢ .

«مذروب» مركز عطية ٢٠٥، ٢١٦ .

المريقب ٦٣، ٦٧ ، ٦٨ .

المسلح ٣١ .

المضيح ٢٠، ٢١، ٢٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢ .

معدن الأحسن ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٤ .

معدن البرم ٢٤٠ .

معدن بني سليم ٣٠، ٨٥ .

معدن حليت ٢١١ .
معدن الذريعين ٢١١، ٢١٧، ٢٣٢ .
معدن السدرية ٢٣٦، ٢٣٧ .
معدن سمرة ٢٣٦، ٢٣٩ .
معدن الضبيب ٢٧، ٤٩، ٩٥، ٩٦ .
معدن العيصان ٢٠٢، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٤ .
معدن الكوكبة ٢٠٢، ٢٠٥، ٥٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤ .
المعلق ١٥٥ .
المعنقة ٦٣، ٦٧، ٦٩ .
مغطيات ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٦، ١٧١ .
مكة ٣٠، ٣٩، ٧٢، ٧٨، ٨٠، ١١٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٨٣ .
مكينة ١٨٧، ١٨٨ .
منعج ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٧٢، ٢٧٧ .
منعرج اللوى ١١٢ .
منية ١٠٦، ١١٨، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٧ .
منى ١١٥، ١٢٧ .
مهد الذهب ٣٠، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٦٥ .
مهزول ١٤٨ .

مواجه ٢٥١ .
الموجنية ١٢٦ .
الموقعة ٤٥ ، ٦٥ .

(ن)

النائعان ٢٥٠ .
النبقية ١٩٧ .
النتاءة ٢٤٨، ٢٥٣ .
نجـــد ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٥٢، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٧٠، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ١٨٧ .
النجيرة ٦٨ .
النســار ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٣٨، ١٤٠، ١٨٣ .
الأنسر ١٨٤ .
النسر الابيض ١٨٣ .
النسر الاسود ١٨٣ .
النسير ١٨٣ .
النشاش ١١٤، ٢٤٠ .
«النضادية» نضاد ١٠٩، ١٥٤، ١٨٣، ١٨٤، ٢٢٦ .

النطاف ١٨٨ .
النطوف ٨٢ .
نفحة ١٨٧ .
النفراوات ٦٠ .
نفود السر ١٨٧ .
نفي ٦٤، ١٢٦، ١٢٧، ٢٥٢ .
النقرة ٦١، ٨٣ .
النقيرة ١٧، ٢٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٩٤، ٩٩ .
نَمَلَي ٥ .
النميرة ١١٤ .
النير ٥، ١٠٩، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٤، ١٧٦، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٠.
النِّيصيَّة ١٥٥، ٥٦ .

(هـ)

هبا ٣٢، ٣٣، ٣٨، ٧٥، ٧٦ .
الهباءة ٢٣، ٢٤، ٧٢، ٧٤ .
هجر ٦١ .
الهرارة ٦٥ .
هرشا ٨٢، ٨٣ .

هضب الأشيق ٩، ٥٤، ١٢٧، ٢٥٣ .
هضب الدياحين ١٩، ٢٠، ٣١، ٤١، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٦، ٦٤، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٨ .
هضاب المخامر ٥٤، ١٢٧ .
هضب الشرار «شروري» ١٨، ١٩، ٢٠، ٤٩، ٥٠، ٩٦، ٩٨ .
هضب القتاد ١٩، ٢٠، ٤١، ٩٧، ٩٨ .
هضب القتام ١٩ .
هضب القليب ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٤١، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٦٤، ٦٩، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ٩٨ .
هضب متالع ١١، ٢٥٠، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥ .
هضب المخامر ٩، ١١٣ .
هضب مداخل ١١٣، ١٢٧.
هضبة صنيتان ١٦٤ .
الهمجة ٢٢٥، ٢٤٤ .

(و)

واردات ٦٣، ٦٤، ١٢٦ .

واهب ٢٠، ٢١، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠ .
وجرة ٧٨ .
وعال ١٩٦ .
وادي بحار «ذو» ٢٢٧، ٢٤٤ .
وادي البدي ١٤٢، ١٤٩ .
وادي بيضان ٢٣، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٥٧، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩ .
وادي الجذاة ٢٢٤، ٢٤٤ .
وادي الجرير «الجريب» ٨، ٢٠، ٣٠، ٣٩، ٤٧، ٥٢، ٥٨، ٦٨، ٨٣، ٨٥، ٨٨، ٩٨ .
وادي جهام ١١٦، ١٤٨ .
وادي حجاجة ٧٥ .
وادي الحفير ٩٦ .
وادي الحمي ٩٦ .
وادي حميان ١٨٧ .
وادي الخار ٩٦ .
وادي خرجا ٤١ .
وادي الخفيق ٧٤ .
وادي الدواسر ٢٣٠ .
وادي ذي أجراد ١٢٦ .
وادي الرشاء ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٤ .

وادي الرمادية ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨ .
وادي الرمة ٥٨، ٦٨، ٨٢، ٨٣، ١٩٥ .
وادي الرميدة ٧٤ .
وادي السر ١٨٨ .
وادي شاطا ٧٤ .
وادي الشبرم ١٧٥ .
وادي شدخ ٧٠ .
وادي الشقيق ٧٥ .
وادي الصفا ٦٣، ٦٩ .
وادي صبير ٧٥ .
وادي طينان ٢٢٦، ٢٤٤ .
وادي العرج ٤١ .
وادي العقيق ٣١ .
وادي الغريف ٧٤ .
وادي الفطح ٣٣، ٣٥، ٧٤، ٧٥، ٧٦ .
وادي اللوى ١٧٥ .
وادي مَجْر ٧٥ .
وادي المياه ١٧٥ .
متعرضات «أودية»
وادي نبيع ٧٤ .

وادي هبا ٣٣، ٣٥، ٧٦ .
وادي الوشي ٧٤ .

(ي)

يثلث ١٤٩، ١٧٥ .
يحاميم الأحاسن ٢٢٠، ٢٢٤ .
يذبل ١٧٤ .
يسر ١٨٧، ١٩٩ .
اليعمرية ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٩، ٩٨ .
اليعملية ٧٣، ٧٤ .
اليمامة ١٤٨، ١٥١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٤٠ .

فهرس الخرائط وصور الجبال والأماكن

خارطة رقم (١) مبين عليها «وضح الحمى»، وهضاب «قطيات» والأعلام المحيطة بها.

خارطة رقم (٢) توضح مجرى وادي «التسرير» ومجاري فروعه : الرشاء، وذو بحار «طينان»، ووادي الجذاة «الرمادية»، وماء الجذاة .

صورة رقم (١) منظر أحد المتاريس الحربية في حرة بني سليم ، وكذا منظر جبل «الزور» .

صورة رقم (٢) منظر إحدي آبار «جفر الهباءة» .

صورة رقم (٣) منظر بئر أخرى من آبار «جفر الهباءة» .

صورة رقم (٤) منظر إحدى آبار جفر الهباءة ولكنها مطمورة .

صورة رقم (٥) منظر لبئر رابعة من آبار جفر الهباءة لم تستصلح .

صورة رقم (٦) منظر جبل «شواحط» من جهة الجنوب .

صورة رقم (٧) منظر جبل «رمرم» .

صورة رقم (٨) منظر الجانب الغربي من «هضب القليب» المسمى «هضب الدياجي» .

صورة رقم (٩) منظر «الشقب» الواقع في إحدى تلاع «شعب الحيس» .

صورة رقم (١٠) منظر «النقيرة» وهي مدفونة بالرمل وقد تسمى «الردهة» .

صورة رقم (١١) منظر «الشقب» وهو مليء يماء المطر .

صورة رقم (١٢) منظر «النقيرة» وتبدو مليئة بالرمل الأحمر المشبع بماء المطر وذلك قبل حفرها .

صورة رقم (١٣) منظر «النقيرة» بعد حفرها وإزالة مافيها من رمل وماء .

صورة رقم (١٤) منظر «الهضبة الشيماء» المسماة في الوقت الحاضر «الدودية» .

صورة رقم (١٥) منظر هضبة «طخفة الشيماء» وتبدوبقع السواد واضحة في عرضها .

صورة رقم (١٦) منظر هضبة «طخفة الشيماء» من وجهة الغرب ، وترى بقع السواد فيها أيضاً .

صورة رقم (١٧) منظر الجانب الشرقي من جبال «أبلى» ويبدو يسار الصورة جبل «الموقعة» .

صورة رقم (١٨) منظر وسط «شعب الحيس» الموجود فيه «القليب» و «النقيرة» .

صورة رقم (١٩)منظر الجانب الغربي لشعب الحيس .

صورة رقم (٢٠) منظر الجانب الشرقي لشعب الحيس .

صورة رقم (٢١) منظر «الغار» الموجود في صفحة الجبل الجنوبي للشعب يطل على وسط الشعب .

صورة رقم (٢٢) منظر هضبة «شرثة» من جهة الغرب .

صورة رقم (٢٣) منظر هضبة «شرثة» من جهة الشمال .

صورة رقم (٢٤) منظر هضبة «شرثة» من جهة الجنوب الغربي .

صورة رقم (٢٥) منظر أخذ من أعلى «ثهمد» ويرى في الصورة هضبة منية الحمراء، وطرفاً من منية السمراء .

صورة رقم (٢٦) منظر هضبة «ثهمد» من الشمال وتبدو منفردة في أرض سهلة .

صورة رقم (٢٧) منظر برقة «ثهمد» أخذت الصورة من أعلى هضبتها .

صورة رقم (٢٨) منظر الوشل في أعلى ثهمد أثناء حفر قسمه الأعلى .

صورة رقم (٢٩) منظر القسم الأعلى من الوشل وقد بدا حاجز الماء المكون من ألواح الحجر.

صورة رقم (٣٠) منظر الجزء الأعلى للوشل بعد إزالة بعض الأتربة المتراكمة فيه .

صورة رقم (٣١) منظر الجزء الأعلى للوشل ويرى بوضوح الألواح الحجرية الموضوعة منذ القدم .

صورة رقم (٣٢) منظر جبل «عسعس» ذو الأكتاف ، منظره من الجنوب .

صورة رقم (٣٣) منظر هضبة «سويقة» من جهة الشرق ، ويبدو انشطار قمتها .

صورة رقم (٣٤) منظر جبل «فرقين» ـ ذات فرقين ـ الواقع شمالاً من ثهمد .

صورة رقم (٣٥) منظر هضب أم المشاعيب من جهة الشرق .
صورة رقم (٣٦) منظر هضبة مغطية من جهة الشرق .
صورة رقم (٣٧) منظر لمدخل الرس الموجود في هضبة مغطية .
صورة رقم (٣٨) منظر آخر للرس الموجود في هضبة مغطية .
صورة رقم (٣٩) منظر هضبة «أم قبعة» من جهة الجنوب الشرقي .
صورة رقم (٤٠) منظر هضبة أم قبعة من جهة الغرب .
صورة رقم (٤١) منظر «الجبء» الموجود في عرض هضبة أم قبعة ، ويرى آخرعن يمينه .
صورة رقم (٤٢) منظر لشمالي هضبة أم قبعة ويرى اتجاه الصعود الى الجبء .
صورة رقم (٤٣) منظر جانب من إحدى هضاب قطيات ، ومنظر الحجر الرابض أمامها .
صورة رقم (٤٤) منظر الجانب الآخر للحجر الرابض وسط هضاب قطيات .
صورة رقم (٤٥) منظر قلتة الماء الكبيرة الموجودة في شرق هضبة «أم ردهة» .
صورة رقم (٤٦) منظر هضبتين من هضاب قطيات هما : هضبة «أم أصابع» و هضبة «صنيتان» .
صورة رقم (٤٧) منظر الهضبتين الجنوبيتين من هضاب قطيات ، واليسرى منهما هي «أم أصابع» .

صورة رقم (٤٨) منظر رس الماء الموجود في هضبة «أم أصابع» .
صورة رقم (٤٩) منظر أم أصابع وترى الصخرات فوق قمتها وهي سبب التسمية.
صورة رقم (٥٠) منظر هضبة «الاقعس ـ الخنفسية» كما تسمى حالياً .
صورة رقم (٥١) منظر «الأقعس» من جهة الشرق .
صورة رقم (٥٢) منظر «الأقعس» من جهة الغرب ، وترى الخنفساء قرب القمة .
صورة رقم (٥٣) منظر «الأقعس» من جهة الشمال وترى الخنفساء شبه منعزلة .
صورة رقم (٥٤) منظر هضبة «خفا» من جهة الشرق .
صورة رقم (٥٥) منظر مذروب «عطية» من جهة الشمال الواقع شرق جبل الخوار.
صورة رقم (٥٦) منظر «الذريعين» من جهة الغرب وهو الموجود به الرس ذو الحكايات والأساطير .
صورة رقم (٥٧) منظر إحدى هضاب «الأحاسن» المسماة حالياً «أم حجول» .
صورة رقم (٥٨) منظر الهضبة الجنوبية من «الأحاسن» المسماة حالياً «أم رقيبة».
صورة رقم (٥٩) منظر جبل «الكوكبة» المنقوب بعد إزالة قمته التي كانت تلمع فضة .

صورة رقم (٦٠) منظر آخر لجبل «الكوكبة» المسمى في الوقت الحاضر «سمرة» .

صورة رقم (٦١) منظر نقب من النقوب العميقة الموجودة في جبل «الكوكبة» .

صورة رقم (٦٢) منظر لنقب آخر من نقوب جبل «الكوكبة» المسمى حالياً «سمرة».

صورة رقم (٦٣) منظر إحدي آبار منزل «رامة» .

صورة رقم (٦٤) منظر آثار المباني بالقرب من آبار رامة وتقع في شرقيها .

صورة رقم (٦٥) منظر جبل «خزاز» الذي أوقد في رأسه ذات غداة .

صورة رقم (٦٦) منظر جبل «كير» الذي يتركه حاج البصرة على يمينهم .

صورة رقم (٦٧)منظر بعض القطع الزجاجية والفخارية الملونة الملتقطة من منزل «إمرة» .

صورة رقم (٦٨) منظر بركة منزل «وجرة» المسماة حالياً «الخرابة» وتبدو القبة المقامة فوقها .

صورة رقم (٦٩) منظر يبدو فيه جانب من آثار آبار «إمرة» .

صورة رقم (٧٠)منظر أحد أبراج طريق حاج البصرة ـ أحد أميال الطريق .

صورة رقم (٧١) منظر أثر برج آخر من أميال الطريق ويرى على يمينه مصلى .

صورة رقم (٧٢) منظر أكمة في فلاة من الأرض تبدو وكأنها غرفة .

صورة رقم (٧٣) منظر بعض الأكمات الصغيرة حول إمرة ، وهي التي أشار إليها الأصمعي .

صورة رقم (٧٤) منظر بركة منزل «طخفة» أحد منازل طريق حاج البصرة قديماً .

صورة رقم (٧٥) منظر «العين الخرارة» الموجودة في جبل متالع وتسمى حالياً «الشلال» .

صورة رقم (٧٦) منظر جانب من التلعة التي تغذي عين متالع الخرارة .

صورة رقم (٧٧) منظر جانب من التلعة التي تغذي عين متالع الخرارة .

صورة رقم (٧٨) منظر الوادي الموجود في أعلى جبل متالع يغذي تلعة الشلال بالمياه .

صورة رقم (٧٩) منظر جانب من هضب متالع من جهة مغرب الشمس ، وترى هضبة أم سنون قبلته .

صورة رقم (٨٠) منظر الجانب الشمالي من هضب متالع ، وتبدو هضبة أم سنون يطل رأسها من خلفه .

من محتوى هذا الكتاب

مابين دفتي هذا الكتاب تحقيق لمواضع هامة في «نجد» لم تحدد أماكنها من قبل بدقة مثل :

* **هضب القليب** : وهذا الهضب مشهور في السابق غير معروف في وقتنا الحاضر وقد دارت حوله حروب طاحنة بين قبيلتي : عبس، وذبيان استمرت قرابة أربعين عاماً أثارها سباق بين فرسين .

* **ثهمد وبرقته** : وبرقة ثهمد ذكرها طرفة بن العبد في مطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

* **هضاب قُطَيَّات** : التي يقول فيها امرؤ القيس :

أصاب قطيات فسال اللوى له　　فوادي البدي فانتحى للأريض

خُفَاف : الذي يقول فيه الراعي النميري :

رعت من خفاف حين بقَّ عيابه　　وحل الروايا كل أسحم ماطر

* **قرية معدن الأحسن** : وكذا هضاب الأحاسن، ويحاميم الأحاسن، ووادي الجذاة، وماء الجذاة، وقرية معدن العيصان، ومعدن الكوكبة

* **هضب متالع ، ومنزل إِمَّرَةَ :**

إِمَّرَةُ : أحد منازل حاج البصرة قديماً، وكذا منزل رامة .

مرامر للطباعة الالكترونية
تليفون ٤٧٨٣٥٨٢ فاكس ٤٧٧٩٨٨٣